أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في الحرب

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

أماني زكريا الرمادي

تصميم واخراج موقع نصره رسول الله

www.rasoulallah.net

www.rasoulallah.net

أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في الحرب

تصميم واخراج موقع نصره رسول الله

المحتويات

المحتويات

المحتويات

من هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ؟

قبل الحديث عن أخلاقه صلوات الله وسلامه عليه ، ينبغي - بادىء ذي بدء - التعريف بهذه الشخصية الفريدة الفذّة .

من هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ؟

هو «محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ، بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤي ، بن غالب بن فِهر بن مالك بن النّضر بن كنانة بن خُزيمة بن مُدرِكة بن إلياس بن مُضر بن نزار بن مَعَدَ بن عدنان...هو رجل «من قبيلة و بيت وأبوين أصلح ما يكونون لإنجاب نبي «[١] ،

«فأسرته هي الأسرة الهاشمية نسبة إلى جده الأكبر هاشم بن عبد مناف الذي تولى سقاية ورفادة الحجيج من بني عبد مناف؛ و لقد كان هاشم كريما وقوراً موسرا ًذا شرف كبير ، وهو أول من أطعم الثريد للحجاج بمكة ،وكان اسمه عمرو ؛ فما سُمّي هاشماً إلا لهشمه الخبز ،ولعل من بعض نوادره ، أنه في إحدى مواسم الحج أسند ظهره إلى الكعبة وألقى في قريش خطبته التي جاء فيها :(معشر قريش إنكم سادة العرب وأعظمها أحلاماً وأشرفها أنساباً، معشر قريش إنكم جيران بيت الله ، أكرمكم بولايته وخصّكم بجواره ، فأكرِموا ضيفه وزوار بيته ، فورب هذا البيت لو كان لي مال يحتمل ذلك لكفيتكم إياه ، وأنا مُخرج من طيب مالي وحلاله ما لم يُقطع فيه رحم ، ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام ، فمن شاء منكم أن يفعل ذلك فعل)؛ فكانت قريش تجتهد في إكرام الضيوف وتُخرج من أموالها جزءاً ، فتضعه في دار الندوة ... وكان هاشم هو أول من سن الرحلتين لقريش : رحلتي الشتاء والصيف.

ولقد تزوج هاشم من سلمى بنت عمرو أحد بني عدي بن النجار، قدم المدينة ، وأقام عندها، فحملت بعبد المطلب بن عبد مناف ، جد الرسول صلى الله عليه وسلم وكان عبد المطلب شريفاً مطاعاً ذا فضل في قومه ،وكانت قريش تسميه الفيّاض

١ عباس محمود العقاد . مجموعة العبقريات الإسلامية .- بيروت : المكتبة العصرية ،٢٠٠٤ ، ص٢٠- ١٢

لسخائه ، وأبوه-صلى الله عليه وسلم - عبد الله كان أحسن أولاد عبد المطلب وأعفهم وأحبهم إليه ، وهو الذبيح الذي افتداه أبوه بمائة من الإبل .

أما أمه –صلى الله عليه وسلم- فهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، وهي يومئذ تعد أفضل امرأة في قريش نسبا وموضعا ، وأبوها سيد بني زهرة نسبا وشرفاً «[٢]،[٣]

أما هو-صلى الله عليه وسلم - « فرجل لا يشاركه رجل آخر في صفاته ومقدماته ولا يدانيه رجل آخر في مناقبه الفضلى التي هيأته لتلك الرسالة الروحية المأمولة في المدينة ، وفي الجزيرة العربية ، وفي العالم بأسره ...نبيل عريق النسب وليس بالوضيع الخامل ،فيصغر قدْره في أمّة الأنساب و الأحساب، فقير وليس بالغني المترف فيُطغيه بأس النبلاء والأغنياء ويغلق قلبه ما يغلق القلوب من جشع القوة واليسار، يتيم بين رحماء فليس هو بالمُدلَل الذي يقتل فيه التدليل ملكة الجد والإرادة والاستقلال ،وليس هو بالمهجور المنبوذ الذي تقتل فيه القسوة روح الأمل وعزة النفس وسليقة الطموح وفضيلة العطف على الآخرين ، خبير بكل ما يختبره العرب من ضروب العيش في البادية والحاضرة ، تربى في الصحراء وألف المدينة ورعى القطعان واشتغل بالتجارة وشهد الحروب والأحلاف واقترب من السُّراة[٤] ولم يبتعد عن الفقراء...فهو خلاصة الكفاية العربية في خير ما تكون عليه الكفاية العربية وهو على صلة بالدنيا التي أحاطت بقومه،فلا هو يجهلها فيغفل عنها ، ولا هو يغامسها كل المغامسة فيغرق في لُجّتها ...فكان أصلح رجل من أصلح بيت في أصلح زمان لرسالة النجاة المرقوبة ، على غير علم من الدنيا التي ترقبها «[٥] ذلك محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام» أنموذج الإنسان الكامل ، صاحب الرسالة التي تعد مثالاً رفيعاً في الخير والجمال والحق للدنيا جميعا ؛ منذ بزوغ فجر هذه الرسالة وأمره صلى الله عليه وسلم وأمرها متصل بكل أحداث الدنيا

٢ محمد مهدي عامر . قصة كبيرة في تاريخ السيرة ، ص٨١
٣ صفي الدين المباركفوري . الرحيق المختوم : بحث في السيرة النبوية ص ٤٦-٨٦
٤ علية القوم وسادتهم
٥ عَباس محمود العقاد . مجموعة العبقريات الإسلامية ، نفس المصدر السابق

وتقلباتها في الشرق والغرب .

لقد كانت البشرية قبل أن ُيبعث صلى الله عليه وسلم تمضي في طريق قد طال والتوى وأغلس ، فما أن أرسله الحق بالحق حتى اعتدل هذا الطريق و استوى وأضاء ؛ وارتقت البشرية به وبدعوته مرتبة أخرى إلى الإنسانية . ومن ذلك اليوم إلى اليوم ، وإلى الغد البعيد ستظل الإنسانية كلما التوى بها الطريق أو دجى ،أو أصابتها الحيرة تلتمس في تاريخه وهديه ورسالته النور والخير والحق ، كما تلتمس الأمم والشعوب تجارب أمة تكونت في ربع قرن وسيطرت على الدنيا في أقل من قرن!

بل ويلتمس الزعماء تجارب القائد الذي ساس القبائل فصرف عنها وحشية الجاهلية، وأمدها بالإيمان والعدل،كما يلتمس طلاب الرجولة و العزة و تكامل الشخصية الإنسانية كل صفات الحب و الوفاء و الصدق و القوة في شمائله و تصرفاته صلى الله عليه وسلم.

هذه الحياة القصيرة في عدد سنيها. و التي لم تتجاوز منذ البعث أربعا وعشرين عاماً من أعوام الناس، قد غيرت وجه العالم تغييراً لا يزال له جدته، تزيده القرون المتوالية قوة وامتدادا وتزداد به الدنيا اقتناعا وإيمانا.

نعم، لقد غيرت حياة محمد صلى الله عليه وسلم ودعوته مقاييس الحياة، وعدّلت اتجاه التاريخ، وأمدت البشرية بفيضها الإنساني الضخم الذي ما يزال يدفعها إلى اليوم، والى الأجيال الطويلة المدى من بَعد، نحو الحق و الخير»[٦]

فهو النبي الوحيد الذي استطاع بفضل الله تعالى» في سنوات قليلة ليس لها نظائر في أعمار البشر ولا أشباه في تواريخ الأمم – أن يربي الأمّة التي تستحق أن تحمل القرآن العظيم للعالمين ، ألم يلبث نوح عليه السلام تسعة قرون ونصف القرن ليصلح قومه دون جدوى؟!!

ألم يخلُف موسى عليه السلام في قومه نحو ثلاثمائة نبي ظلوا كذلك ألف عام

٦ أنور الجندي .أقباس من السيرة العطرة ، ص٨-٩، بتصرف يسير

ليُصلحوا بني إسرائيل ، فلما تعذّر إصلاحهم تحولت رسالات السماء عنهم إلى الأبد؟!

ثم ألم يستطع محمد صلى الله عليه وسلم بعناية ربه أن يغير الجزيرة العربية تغييراً حاسماً ، ثم خلال ربع قرن أو أقل تبدلت الأرض غير الأرض، فإذا الأرض التي غبرت دهراً عطشى إلى أثارَةٍ من علِم تفيض حضارة موّارةً بالحياة والعطاء والعدل والرحمة ، وإذا أبناء البوادي يعلِّمون أبناء روما وأثينا والمدائن حقوق الإنسان ومعالم الحضارة وضوابط المعرفة ؟!!!»[٧]

لقد امتاز محمد عليه السلام –كما قال البروفيسور الأمريكي ليك- بوضوح كلامه ويسر دينه و قد أتم في الأعمال ما يُدهش العقول و لم يعهد التاريخ مُصلحا أيقظ النفوس، و أحيا الأخلاق و رفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل نبي الإسلام محمد[٨]

٧ محمد الغزالي . علل وأدوية ، ج٢ ، ص٣-٤.
٨ محمد فهمي عبد ا لوهاب. محمد رسول الإسلام في نظر فلاسفة الغرب مشاهير علمائه وكتابه .-ص٥٤.

هل هو بشر أم غير ذلك؟

نعم ،إنه بشر ولكن ليس كالبشر، « فالناظر إلى سيرة الحبيب صلى الله عليه وسلم وحياته يجد أنها سيرة إنسان من نوع فريد، إنه إنسان بلحمه ودمه وعواطفه وانفعالاته وصورته وحياته؛ ولكنه بزّ أفراد الإنسانية كلهم وفاقهم تقوى وخُلقا وحكمة وحنكة وديناً وسلوكاً، فصدق فيه قول الشاعر :

محمد بشر وليس كالبشر**** بل هو ياقوتة والناس كالحجر

و قول الآخر :

فمبلغ العلم فيه أنه بشر**** وأنه خير خلق الله كلهم

«فبشريته صلوات ربي وسلامه عليه ليست بشرية عادية ... فكيف نتصور أن يكون بشرا عاديا مثلنا من قال له العزيز الحكيم:

(وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا)الطور -٤٨

أما الذين يجعلون بشرية الرسل قضية بعيدة عن وشائج السماء ودروبها ومسالكها بجانبهم الصواب دائما ؛ فهو غبن كبير وحكم جائر لمكانة النبوة ومقام الرسالة ... فبشرية الرسل مسألة لا جدال فيها ، وفى مواضع كثيرة من القرآن الكريم نجد تأكيداً على بشرية الأنبياء ، أما بشريته هو –صلى الله عليه وسلم – فجاء عنها في سورة الإسراء:(قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ؟!!) الإسراء -٩٣

وفى سورة الكهف: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيّ...)الآية١١٠

ومع ذلك، فإنه ينبغي أن نفهم جيدا من روح القرآن ومكانة الأنبياء كما جاءت فيه أن بشريتهم تستلهم السماء أفعالها وتستهدى سلوكها وتسأل الذات العلية علمها ، كما جاء في قول الله تعالى :

«قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنّ اللّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلّا بِإِذْنِ اللّهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكّلِ الْمُؤْمِنُون» إبراهيم- ١١

إنها بشرية خاصة من معدن خاص اصطفاها الله واصطنعها لنفسه ؛ ولهذا فإن الرسل كلهم بشر ولكن البشر ليسوا كلهم أنبياء؛ وليس أدل على أن سلوك الأنبياء ليس بشريا صِرفا كسلوك باقي البشر وخاصة فيما كان له علاقة بالمبادئ والقيم والتشريع شأن موقف القرآن الكريم من نساء النبي ... فالقرآن الكريم يوضح لنا في سورة الأحزاب رأيه في كيفية سلوكهن، بل ويقول صراحة أنهن لسن كباقي نساء البشر ، فكيف بالنبي ذاته؟!!!!»[٩]

«ولقد هوجمت كل الرسل من أقوامهم بسبب أنهم بشر ، منهم على سبيل المثال كما قال سبحانه :

نبي الله شعيب:

«وَمَا أَنْتَ إِلّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ» ٦٨١ - الشعراء

ونبي الله صالح:

فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنّا وَاحِدًا نَتّبِعُهُ إِنّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ» القمر- ٤٥

ونبي الله موسى وأخوه هارون:

فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ» المؤمنون -٧٤

ولقد أجمل الله سبحانه هذا الأمر بخصوص كل الرسل قائلا : « أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ذَلِكَ بِأَنّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلّوْا وَاسْتَغْنَى اللّهُ وَاللّهُ غَنِيٌّ

٩ محمد عبد الرحمن عبد اللطيف . في رحاب السيرة ، ص٠٦١-١٦١ بتصرف يسير

حَمِيد»التغابن٥-٦

أما إذا تحدثنا عن الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم على وجه الخصوص ، فقد كانت بشريته أساساً اتخذه الكفار للتشكيك في رسالته ، كما قال الحق سبحانه وتعالى : «لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ « الأنبياء- ٣

ليس هذا فحسب، وإنما تمنوا أن يكون الرسول ملَكاً ، مع أن الأفضل لهم ان يكون بشراً مثلهم يتحدث لغتهم ويعرف طباعهم وإمكاناتهم ... لأن الرسول لا يبلغ منهج الله فحسب ، وإنما يوضح لهم-بالقدوة- كيف يطبقونه التطبيق الصحيح ، ولو كان القدوة هو ملَك لاستحال عليهم تنفيذ تكليفات الله ، لأن الملائكة تملك إمكانات فوق طاقة اليشر ...لذا فإن من رحمة الله وعدله أن اختار لهم بشراً مثلهم، ولوكانوا هم ملائكة لاختار لهم ملَكا ، كما أشار سبحانه في قوله:

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا» الإسراء ٤٩-٥٩

أي أن الملائكة لا يعيشون الحياة الأرضية التي يعيشها البشر ، ولذلك لا يمكن أن يكونوارُسُلاً ، وإذا أضفنا إلى ذلك أننا ببشريتنا لا يمكن أن نرى الملائكة فإنهم في هذه الحالة سيكونون غيباً عنا ، فكيف نأخذ القدوة ممن هم غيب عنا؟!!

والله سبحانه ينبهنا إلى أنه لو أرسل إلينا ملكاً فلكي نراه لا بد أن يجعله في هيئة رجل يلبس نفس ثيابنا ، وفي هذه الحالة سيكون أمامنا بشراً!!! وذلك كما جاء في قوله سبحانه:

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ»الأنعام-٩

إذن فبشرية الرسل أمر حتمي «[١٠]...ولقد كان محمد صلى الله عليه وسلم – كما قال المؤرخون –نبياً يأتيه الوحي من السماء ،إلا أن حياته كانت حافلة بجوانب خالدة من العظمة والجلال، مستمدة من شخصيته الإنسانية التي صنعها الحق تبارك وتعالى على عينه؛ ولو كانت أعمال الرسول كلها من عمل الوحي وحده، إذن لبطل عمله كعظيم وقائد....فقد كان هذا الوحي توجيها لرسم القواعد الرئيسية ووضع الخطط الكبرى التي إذا ما قررت بالقرآن المنزّل تُرِك للرسول بعد ذلك التصرف و العمل و الاتصال بالناس والتفاهم معهم وبأسلوبه الخاص ووفق طبيعته ومقدرته وذكائه ...وهى جميعا من إعداد الله سبحانه الذي اصطفاه للرسالة.[١١]

«ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطط للحرب بذكاء ومرونة ومبادرة ؛ فالوحي لا يخطط وإنما يرسل المنهج ... ثم تأتي المعجزات لكي تثبّت القلوب ، وترفع الروح المعنوية دون تغيير الأحداث لأن هذه الأخيرة لا تتغير إلا بالتخطيط ، والصبر»[١٢]

ولعله من أمثلة ذلك ما حدث في موقعة «بدر» ،هذه الموقعة الكبرى الفاصلة في تاريخ الإسلام . ذلك أن العرض المنزل من السماء قد اقتصر على قوله تعالى « وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ « الأنفال-٧

ثم ترك لمحمد صلى الله عليه وسلم بعد ذلك أن يهيئ أصحابه . وأن يعد عدة الحرب بعد أن مضت العير . وأن يستشير أصحابه في الأمر.وأن يستمع إلى رأى المهاجرين و الأنصار . فيرى بعضهم أن هذا الموضع الذي نزله الرسول ليس بموضع فيسأل الرسول قائلا:

أهو منزل أنزلكه الله . فلما قال له الرسول : أن لا ، قال إن هذا ليس بموضع ،وأشار بأن يكون المسلمون على الماء وخصومهم لا ماء لهم، وأن يصنع للنبي صلى الله عليه

١٠ محمد متولي الشعراوي. محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : القاهرة: مؤسسة أخبار اليوم، ٩٩٩١.- ص ٤٤- ١٥، بتصرف يسير
١١ أنور الجندي. أقباس من السيرة العطرة ن ص ٥٢١
١٢ عمرو خالد. على خطى الحبيب صلى الله عليه وسلم، ص٨١١-٩١١ ، بتصرف يسير.

وسلم عرشاً يكون فيه .

وقد كان لدى طبيعته الإنسانية وشخصيته أبعد الأثر في تصريف الأمور وتوجيه دفة المعركة وإحراز النصر . وآيةُ ذلك أن أمره لم يكن وحيا، وأنه يخطئ ويصيب ، حتى أن الله تعالى قد عاتبه في إذنه للمشركين في حرب من الحروب.

كما عاتبه على أنه عبس وتولى أن جاءه الأعمى؛ وعلى أنه قضى في أسرى بدر فأطلق سراحهم وقبل فديتهم .

وقد كان لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم من طبيعته الإنسانية ما حقق له الكثير من أسباب النصر . وما وفق إليه من الوصول إلى قمة الظفر فقد أوتى الشمائل التي تجمع الأتباع وتُدنيهم له «ولو كنتَ فظا غليظ القلب لانفضوا مِن حولك «(آل عمران-١٥٩)وقد وصل في ذلك إلى غاية القوة فجمع حوله القبائل المتنافرة و القلوب المختلفة .

هذه الشخصية المحمدية الممتازة القوية العارضة منذ الشباب الباكر التي عُرفت بالأمانة والخلق ، وهى التي ـــ حين أتيح لها أن تلي أمر الرسالة ـ صرفتها بلباقة وحكمة وسداد... إنما رباها الحق تبارك وتعالى وصنعها بتقديره للمهمة التي اختاره لها.

وليست إذن عوامل الحكمة و اللباقة و السداد طارئة عليه وإنما هي طبيعته الصادقة المفطورة على تصريف أمور الناس. هذه الأخلاق التي وسمت صاحبها باسم الأمين منذ شبابه الباكر ، وجعلته موضع تقدير الناس، حتى اختارته أغنى سيدات قريش لتجارتها ووثقت به ...هذه الطبيعة الإنسانية لمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يجهر بالدعوة أو تُوكل إليه ،كانت كذلك غاية في القوة فقد اشترك في أحلاف قريش وفى حرب الفجار . وحمل السلاح منذ صغره . وكان يجمع السهام التي تقع من هوازن ويقدمها لأعمامه وكان يرمي بعضها بنفسه .

حتى انه قال بعد الرسالة : ما أحب إليّ بحلف حضرته في دار ابن جدعان(يعني حلف

الفضول) حمر النعم . لو دعيت به لأجبت.

ومن هذين العلَمين اللذين اشترك فيهما محمد الشاب-صلى الله عليه وسلم- تبدو لنا الأصول الأولى و الجذور الرئيسة واضحة لشخصية الإنسان العظيم[١٣]

ولهذا ، ولكونه ما خرج عن بشريته ، ولكنه كان محاطاً بعناية الله وموفقا بتسديده ومحفوظا بالعصمة الإلهية ومرعياً بالآداب الربانية ؛فإننا نجد في ثنايا حياته وبين سطور سيرته ومضات ، لا بل شريطا طويلاً من المواقف الفذة ممتدا ومتصلاً ، يشع نوراً ويفيض حنانا ويتدفق رحمة ويتفجر عطاء .

فكم مرة وقف في موقف بطولة نادرة فأدهش من حوله وفاجأ من أمامه ، وكم مرة وقف في موقف الرجولة والمسئولية فلم تشُبْهُ شائبة الأنانية أو الضعف البشري ، لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذاته وفي رسالته على حد سواء قدوة في كل شيء...في عقله الراجح ، وخُلقه القويم ، ونظره الثاقب ، وتدبيره الحكيم وسياسته البارعة وصرامته الحازمة وتواضعه الجم وشكيمته القوبة وحذره البالغ وتقديره السليم للمواقف والعواقب ،وما أوجز وأبلغ قول الله العليم الخبير في كتابه الكريم عن نبيه العظيم : « اللهُ أعلَمُ حيثُ يجعلُ رسالتَه» (الأنعام - ٤٢١)...نعم إن علم الله سبحانه قد أحاط بالنفوس الآدمية جمعاء ، فعلم من أحوالها ومراتبها وطاقاتها وأمزجتها كل شيء ، وعلم أن محمدا ًصلى الله عليه وسلم أزكاها نفسا ًوأصفاها خلقا وأعلاها رتبة وأوسعها طاقة وأعدلها مزاجاً فلذلك اختاره واصطفاه واختصه واجتباه لحمل رسالة الدين الخاتم ،والشريعة المهيمنة ، والمسئولية الشاملة عن البشر والأمم أجمعين ، والشرائع والملل إلى يوم الدين ...كل ذلك أمر لا جدال فيه عند العارفين»[١٤]

،ولقد عبر الشاعر عن ذلك خير تعبير حين قال :

«لا يرقى إنسانٌ سماءك بعد ما ***أثنى على أخلاقك الخَلاَق»[١٥]

١٣ أنور الجندي. أقباس من السيرة العطرة ، ص ٥٢١-٧٢١
١٤ عبد الله نجيب سالم . مواقف إنسانية في السيرة النبوية ،ص٥-٦
١٥ عمرو خالد. في ظلال السيرة النبوية ، ص١٣

« وبغض النظر عن كونه نبياً ، فقد كان –صلى الله عليه وسلم- نموذجا ًمثالياً للشخصية الإنسانية الكاملة !!! «[١٦]

لذا فقد كان محمد نبي الإسلام عليه الصلاة و السلام أكمل البشر من الغابرين و الحاضرين و لا يُتصوّر مثله في الآتين»[١٧]

ولقد شرّف الله سبحانه كثيراً من الأنبياء بأن ذكرهم بأسماء من أسمائه الحُسنى ، كنوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحق وموسى وعيسى ويحي ، فقال تعالى في شأن نوح: { ذريّةَ مَن حملنا مع نوحٍ إنهُ كان عبداً شكوراً }الإسراء-٣

وعن إبراهيم عليه السلام : { إنّ إبراهيم لحليم }هود-٥٧

وعن إسماعيل : { فبشّرناه بغلام عليم }الصافات ١٠١

وفي إسحق تعالى لإبراهيم : {إنّا نُبشرك بغلام عليم } الحجر ٣٥

وفي شأن موسى : {وجاءهم رسولٌ كريم }الدخان-٧١

وفي شأنه أيضاً : { لا تخَف إنك أنت الأعلى }طه-٨٦

وذكر يحي فقال سبحانه : { وبَرّاً بوالديه ولم يكُن جبارا ًعصيّاً }مريم-٤١

وفي شأن عيسى عليه السلام: { وبَرّاً بوالدتي ولم يجعلني جبارا ًشقيا ً }مريم ٢٣

ولكنه سبحانه فضل محمد صلى الله عليه وسلم على كل الأنبياء حتى في هذه

١٦ no snoitcefleR milsuM :tehporP a erofeB gnieB namuH A. M deyaS-lE , nimA A=c?etilletaS/telvres/moc.malsignidaer.www//:ptth :morf elbaliava, retcarahC s‹dammahuM tuoyaLEIDF٢٪malsI_revocsiD-hsilgnE-enoZ=emanegap&٥٤٦٢٠٨٩٤٦٤٨١١=dic&C_elcitr

١٧ جاء هذا الكلام على لسان الدكتور شبلي شميل الطبيب و العالم الطبيعي و المصلح الاجتماعي اللبناني النصراني المعروف، في المصدر: محمد فهمي عبد ا لوهاب. محمد رسول الإسلام في نظر فلاسفة الغرب و مشاهير علمائه وكتابه.- القاهرة : المجلس ا لأعلى للشئون الإسلامية ، ٥٧٩١.-ص٥٥

الفضيلة ،فقد جمع له في آية واحدة بين اسمين من أسماءه –سبحانه- ولم يحدث ذلك لأحد في كتاب الله إلا له صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : { بالمؤمنين رءوفٌ رحيم }التوبة -٨٢١

كما أكثر الله سبحانه من ذكر نبيه بأسماءه الحسنى ، ومن ذلك قوله «{ ورسولٌ مُبين }سورة الزخرف -٩٢ ، وقوله : وقوله : {جاءكُمُ الحقُ من ربكم } سورة يونس -٨٠١
وقوله : {قد جاءكُم من اللهِ نورٌ}سورة المائدة -٥١

ولقد امتدح الله سبحانه كل مواطن الخير والشرف المتعلقة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فأثنى على نسبه الشريف قائلاً : {وتقلّبِكَ في الساجدين }سورة الشعراء -٩١٢ ، قال بن عباس في تفسير هذه الآية :أي في أصلاب الآباء آدم ونوح وإبراهيم حتى أخرجه نبياً.

كما أعظم قدر نسائه رضي الله عنهن جميعا في قوله : { يا نساءَ النبي لستُن كأحدٍ من النساء}سورة الأحزاب-٢٣

، وحفظ المكان الذي يقيم فيه ، وأعلى شأنه وأقسم به في قوله : { لا أُقسمُ بهذا البلد وأنتَ حِلٌ بهذا البلد} سورة البلد:١-٢ وقوله سبحانه {والتين والزيتون وطور سينين ، وهذا البلدِ الأمين }سورة التين :١-٣ ، كما شرّف المدينة المنورة وجعلها حرم آخر لا لشيء إلا لتعلّقها بجنابه الأعظم صلى الله عليه وسلم ،وجعل ثواب الصلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم مضاعفة ألف مرة من أي مكان آخر عدا المسجد الحرام «[١٨]

وفوق كل هذا ، فقد اختص الله سبحانه نبيه محمدًا بجملة من الخصائص، لم يخص بها أحدًا قبله من الأنبياء؛ تكريمًا لمقامه بين الأنبياء، وتشريفًا لمكانته بين الرسل، كيف لا وهو خاتم الأنبياء والرسل، وهو خير الخلق على الله .

١٨ علي جمعة .محمد رسول الله إلى العالمين ، ص٦٢- ٩٢

*فمن تلك الخصائص أن الله تعالى ناداه بوصف النبوة والرسالة، وهذان الوصفان من أهم الأوصاف التي اتصف بها نبينا، قال تعالى: { يا أيها النبي } وقد ورد النداء بهذا اللفظ في ثلاثة عشر موضعًا من القرآن؛ ويقول سبحانه مخاطبًا نبيه بصفته رسولاً: { يا أيها الرسول } وقد ورد النداء بهذا اللفظ في موضعين في سورة المائدة؛ فناداه ربه سبحانه في هذه المواضع بأكمل أوصافه، وأرفع مقاماته .

وهذه الخصوصية لم تثبت لغيره من الأنبياء، فكل نبي ناداه الله باسمه ، قال تعالى: { وقلنا يا آدم } (البقرة:٥٣)، وقال: { إذ قال اللهُ يا عيسى ابن مريم } (المائدة:٠١١) وقال: { قيل يا نوح } (نوح:٨٤) وقال: { يا موسى } وقال: { و ناديناهُ أن يا إبراهيم } (الصافات:٤٠١) .

أما الآيات التي ذكر الله فيها نبيه باسمه، فإنما جاء ذلك على سبيل الإخبار، كقوله تعالى: { ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسولَ الله } (الأحزاب:٠٤) وقد ورد اسمه بهذا اللفظ في أربعة مواضع في القرآن الكريم .

*ومما يتعلق بهذه الخصوصية ، أن الله سبحانه نهى عباده عن نداء نبيه محمدًا باسمه الذي سمي به؛ قال تعالى: { لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ الّذِينَ يَتَسَلّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (النور:٣٦) فنهى سبحانه المؤمنين عن نداء نبيهم كما ينادي بعضهم بعضًا، وطلب منهم مناداة نبيه الكريم بصفة النبوة والرسالة؛ تشريفًا لقدره، وبيانًا لمنـزلته، وخصه سبحانه بهذه الفضيلة من بين رسله وأنبيائه .

وفي المقابل، فقد أخبر تعالى عن سائر الأمم السابقة أنهم كانوا يخاطبون رسلهم وأنبياءهم بأسمائهم؛ كقول قوم موسى له: { قالوا يا موسى اجعل لنا إلهًا } (الأعراف:٨٣١) وقول قوم عيسى : { إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم } (المائدة:٢١١) وقول قوم هود : { قالوا يا هود ما جئتنا ببيّنة } (هود:٣٥) .

*ومن الخصائص التكريمية،أن الله سبحانه أقسم بحياة نبيه صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى:

{ لَعَمْرُك إنهم لفي سَكْرتهم يعمَهون } (الحجر:٧٢)؛ والقسم بحياته عليه الصلاة والسلام يدل على علو شرفه، وعظيم مكانته عند الله سبحانه، فلو لم يكن صلى الله عليه وسلم بهذه المكانة الرفيعة، والمنـزلة العظيمة، لما كان للقسم بحياته أي معنى...مع ملاحظة أن هذا التكريم لم يثبت لغيره صلى الله عليه وسلم .

*ومن خصائصه التكريمية أيضاً صلى الله عليه وسلم، أن الله سبحانه وتعالى قدّمه على جميع أنبيائه في الذكر في أغلب آيات القرآن؛ قال تعالى: { إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان } (النساء:١٦٣)، وقال سبحانه: { وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم } (الأحزاب:٧)، فبدأ سبحانه بخاتم المرسلين لشرفه ومكانته .

*ومن خصائصه التكريمية عليه الصلاة والسلام، إمامته الأنبياء في بيت المقدس؛ فقد جمع الله تعالى له جماعة منهم فصلى بهم إمامًا؛ وذلك تأكيدًا لفضله، وتنبيهًا على شرفه؛ وقد أخبر صلى الله عليه وسلم في حديث الإسراء، أنه اجتمع بعدد من الأنبياء، منهم إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام، وصلى بهم إمامًا، والإمامة بالناس لها من الدلالة ما لها، فكيف إذا كانت الإمامة بالأنبياء ؟!

*ومن خصائصه التكريمية صلوات ربي وسلامه عليه أنه يوم القيامة يأتي كل نبي شهيداً عل أمته، ويأتي الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم شهيداً على كل هؤلاء الأنبياء ، لقوله تعالى : «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا «(سورة النساء-الآية ١٤) هذه الاية أبكت النبي صلى الله عليه وسلم لما سمعها، من عِظَم التشريف والتكليف!!!!

*ومن جملة خصائصه التكريمية صلى الله عليه وسلم، أن الله أخذ له الميثاق من جميع الأنبياء، بالإيمان به ونصرته؛ قال تعالى: { وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشّاهِدِينَ } (آل عمران:٨١)، فأخبر سبحانه أنبياءه أن عليهم الإيمان بالنبي محمد

وقت مجيئه، وأن عليهم نصرته وتأييده، وقد أقر الأنبياء بذلك، فآمنوا برسالته، وأقروا ببعثته ؛ وهذه الخصوصية ليست لأحد منهم سواه. وقد روي عن علي بن أبي طالب و ابن عباس رضي الله عنهم، أنهما قالا: ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلا أخذ الله عليه الميثاق، لئن بعث الله محمداً وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته، لئن بُعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه.

*ومما اختص به عليه الصلاة والسلام، أن الله سبحانه قذف في قلوب أعدائه الرعب والخوف منه، حتى لو كانوا على مسافة بعيدة منه، ولم يحصل هذا لأحد قبله، يقول صلى الله عليه وسلم: (نُصرتُ بالرعب مسيرة شهر) رواه البخاري و مسلم .

*ومن خصائصه التكريمية عليه الصلاة والسلام أن أمته خير الأمم، قال تعالى: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ... } (آل عمران:١١٠)، وجاء في الحديث، قوله عليه الصلاة والسلام: (إنكم تتمون سبعين أمة، أنتم خيرها، وأكرمها على الله) رواه الترمذي . وإنما نالت هذه الأمة هذه الخيرية بنبيها محمد عليه الصلاة والسلام ، فإنه أشرف مخلوق على الله، وأكرم الرسل عليه سبحانه .

*ومن خصائصه التكريمية عليه الصلاة والسلام، أن الطاعون والدجّال لا يدخلان مدينته؛ يقول صلى الله عليه وسلم: (على أبواب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون، ولا الدجال) رواه البخاري و مسلم .

*ومن خصائصه التكريمية صلى الله عليه وسلم وجوب محبته، وتقديمها على محبة النفس والأهل والمال والولد، قال تعالى: { قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره } (التوبة:٢٤)

وقال صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) رواه البخاري و مسلم ، وفي حديث عند البخاري : (حتى أكون

أحب إليك من نفسك) .

*ومن خصائصه التكريمية صلى الله عليه وسلم، أنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة؛ واختصاصه بحمل لواء الحمد؛ واختصاصه صلى الله عليه وسلم أيضًا بأنه أول من يدخل الجنة يوم القيامة؛ يبين كل هذا قوله صلى الله عليه وسلم: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ، آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر) رواه الترمذي وفي رواية عند الدارمي : (وأنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة، ولا فخر) .

*ويندرج في هذا النوع من الخصائص التكريمية ، أنه صلى الله عليه وسلم يبعثه الله يوم القيامة مقامًا محمودًا؛ قال تعالى: { عَسى أن يبعثك ربُّك مقاما محمودا } (الإسراء:٩٧)[١٩] والمقام المحمود الذي اختص به رسولنا هو مقام الشفاعة، وهو مقام لم ينله أحد غيره؛ فالناس يكونون يوم القيامة جالسين على ركبهم، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع ! يا فلان اشفع ! حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود. والحديث رواه البخاري

*ومن الخصائص التكريمية ، أنه صلى الله عليه وسلم يكون يوم القيامة أكثر الأنبياء أتباعًا؛ وقد جاء في الخبر أن الأمم يوم القيامة تمر عليه صلى الله عليه وسلم، فيمر النبي وليس معه أحد، ويمر النبي ومعه الواحد فقط، ويمر النبي ومعه الاثنان والثلاثة... ثم ينظر عليه الصلاة والسلام إلى الأفق، فيرى جمعًا عظيمًا من الناس، فيسأل: أتباع من هؤلاء ؟ فيقال له: هذه أمتك وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة) رواه مسلم.

*وهو - صلى الله عليه وسلم – «النبي الوحيد ، بل الإنسان الوحيد الذي حُفظت سيرته وأقوال وأفعاله وحركاته وسكناته في اليقظة والمنام بهذا الشكل، فلم يهتم أحد بحفظ سيرة أحد على وجه الأرض على مر التاريخ بهذا النحو؛ بينما هتم المسلمون بنقل كل شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسسوا العلوم لحفظ

---

١٩ يلاحظ ان كلمة «عسى» من الله تبارك وتعالى تفيد التأكيد

سيرته، وسنته ، ولقد بدأ هذا في عصر صدر الإسلام ، فنجد بن عباس –رضي الله عنه – يتحرى الليلة التي يأتي فيها النبي صلى الله عليه وسلم إلى خالته ميمونة –إحدى زوجاته صلى الله عليه وسلم- ويبيت عند خالته حتى يراقبه صلى الله عليه وسلم في أكله ونومه وعبادته ويتمثل به كما روى ذلك مسلم في صحيحه ، وغيره ....ومن أبرز تلك العلوم التي نشأت علم الحديث والمصطلح ، والذي رأى أن السنة هي :» كل الأقوال والأفعال ، و التقريرات ،حقيقة وحكما ، حتى الحركات والسكنات يقظة ومناما قبل البعثة وبعدها ...فكان حفظ سيرته صلى الله عليه وسلم وأخباره في كتب الصحاح والسنة والسيرة دليلاً واقعيا ً تاريخياً آخر على خصوصية وفضل ذلك النبي ، فليس هناك سجل تاريخي محفوظ لنا بسند متصل إلى أحد الأنبياء إلا له صلوات ربي وسلامه عليه « [٢٠]

*ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الإنسان الوحيد الذي اشتهر بكمال العظمة والتميّز،» فما من مشهور عرفه الناس إلا وهو متميز في ناحية واحدة من نواحي العظمة ، فقد اشتهر شكسبير مثلا ً في ميدان الكتابة الأدبية ، ونابليون في القوة العسكرية ، وغاندي في مجال السياسة،وفولتير في الفكر ، بينما كان الوحيد الذي جمع بين نواحي العظمة بين جنبيه هو رسول الله صلى الله عليه وسلم «[٢١]

وكما قيل: «إن أكمل الخلق عند الله من كمل مراتب الجهاد كلها والخلق متفاوتون في منازلهم عند الله تفاوتهم في مراتب الجهاد ولهذا كان أكمل الخلق وأكرمهم على الله خاتم أنبيائه ورسله فإنه كمل مراتب الجهاد وجاهد في الله حق جهاده وشرع في الجهاد من حين بعث إلى أن توفاه الله عز وجل»[٢٢]

هذه جملة من الخصائص التكريمية التي اختص الله بها رسول الإسلام دون غيره من الأنبياء، وهي بمجموعها تظهر مكانة هذا النبي، ومنزلته عند الله سبحانه ، فهو المفضل من النبيين، وهو المختار على غيره من الخلق أجمعين .

٢٠ علي جمعة . محمد رسول الله إلى العالمين ، ص٤٢، بتصرف يسير .
٢١ عمرو خالد. في ظلال السيرة النبوية : على خطى الحبيب ، ص٣٠.
٢٢ زاد المعاد، متاح في:

هو الصادق الأمين

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمّى الأمين فعرفوا أنه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون فكان أبو جهل يقول : «ما نكذِّبك يا محمد وإنك عندنا لمُصدّق وإنما نكذب ما جئتنا به [٢٣]

البشارات بالنبي صلى الله عليه وسلم في الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد)، والإشارات إليه

لقد مهّد الله سبحانه لقدوم خاتم الأنبياء،وبشّر به في كتب الأديان السابقة ، فذكره –صلى الله عليه وسلم – « في العهد القديم أكثر من مرة، باسمه،وبصفته، وبقبيلته، كما أُشير إليه في أكثر من موضع؛منها -على سبيل المثال لا الحصر- ما يلي:

١- ورد في سِفر التكوين أول أسفار العهد القديم: « لا يزول الصولجان من يهوذا أو التشريع من بين قدميه حتى يأتي شايلوه ويكون له خضوع الأمم « ولم يعرف التاريخ نبياً ساد الأرض وكان له خضوع الأمم بعد يهوذا إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أما صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة ، فهو ما رواه البخاري رحمه الله تعالى بإسناد صحيح إلى عبد الله بن عمرو بن العاص أن هذه الآية التي في القرآن: « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً» [الأحزاب:٥٤] قال: (في التوراة مقابل هذه الآية: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحرزاً للأميين أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخّاباً في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن ليعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويفتحوا بها أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غُلفاً). رواه البخاري

٢- وورد في العهد القديم في نص النسخة المنقحة المعتمدة( ) التي نشرتها

[٢٣] محمد علي الصابوني .صفوة التفاسير .- القاهرة :دار الصابوني ، د.ت. ، ج ١، ص ٦٨٣عن البحر المحيط ٤/ ٢١١

جمعية الكتاب VSRالمقدس البريطانية في الكلام الموجه من الرب إلى موسى –عليه السلام- ما نصه:»أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامي في فمه»(سفر التثنية : ٨١/٨١) ...ولعل في هذه البشارة إشارة لانتقال هذا الأمر من بني إسرائيل إلى العرب إذ لو كان هذا النبي المبشر به من بني إسرائيل لكانت العبارة (أقيم لهم نبياً من وسطهم) أي: وسط بني إسرائيل ، أما «وسط إخوتهم» فهي تعني العرب ؛ ذلك لأن سيدنا إسماعيل هو أبو العرب ، وهو أخو سيدنا إسحق وهو أبو إسرائيل... ولم نسمع بنبي ظهر وأقامه الله تعالى وسط إخوتهم العرب إلا النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

٣- وفي الحديث عن النبي المنتظر الذي سيأتي بالتشريع المبارك في نفس السِّفر ما نصه : « جاء نور الرب من سيناء ، وأشرق لهم من ساعير ، وتلألأ من جبل فاران ، وجاء معه عشرة آلاف قديس ، والشريعة المشعة بيده اليمنى « (سِفر التثنية : ٢/٣٢)...ففي ذلك إشارة إلى مناطق الوحي الثلاث العظمى: سيناء ،وهي مكان وحي موسى عليه السلام ، وساعير وهي مكان وحي عيسى عليه السلام ، وفاران وهي مكة وأرض الحِجاز، وقد سكنها إسماعيل عليه السلام،والذي قال إن فاران هي مكة العهد القديم نفسه ،

حيث ورد في موضع آخر في الحديث عن إسماعيل : « كان الله مع الغلام فكبر ، وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس ، وسكن في بَرِّية فاران ،وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر» (سِفر التكوين :١٢/٠٢_ ١٢)

وإذا كانت التوراة أشارت إلى نبوة تنزل على جبل فاران لزم أن تلك النبوة على آل إسماعيل؛ لأنهم سكان فاران ، والعشرة آلاف قديس هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك عددهم في فتح مكة .

وإلا فمن هو النبي الذي أوحي إليه في جبل فاران (مكة) جاء معه عشرة آلاف من أتباعه ؟

وفي سِفر حبقوق ما نصه: «القديس من جبل فاران مجده غطى السماوات، والأرض

امتلأت بحمده» (حبقوق٣/٣)...وفي ذلك إشارة أخرى لمكة .

أما في العهد الجديد فنجد الكثير من البشارات والإشارت ، فقد كان المسيح عيسى عليه السلام يبشر به كثيراً لأنه ليس بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم بني آخر ،

ولذلك كثرت البشارات حتى فيما نُقل من أناجيل مؤلفة اختلط فيها الصحيح بالمحرّف ، ومن هذه ا لإشارات على سبيل المثال لا الحصر ،الإشارات التالية إليه صلوات ربي وسلامه عليه :

١- يقول المسيح عليه السلام: «لأنه من المناسب لكم أن أرحل بعيداً ؛ لأنني إن لم أذهب بعيداً فإن الهادي لن يجيء إليكم ، ولكنني إذا رحلت فإني مرسله إليكم « (يوحنا : ٦١/٧)

٢- ثم يقول المسيح عليه السلام في وصف هذا الهادي:» فهو إن يتكلم من ذاته ، ولكن سوف يتكلم بما يسمعه من الوحي (يوحنا٦١/٣)..وهذا هو عين ما وصفه به الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم :{وما يَنطِقُ عن الهوى إن هُوَ إلا وحيٌ يُوحَى }سورة النجم –الآيتان٣- ٤

٣- وفي يوحنا من كلام المسيح: « وسوف أطلب من الأب ، وسوف يعطيكم برقليطوس آخر يبقى معكم إلى الأبد « (يوحنا: ٦١/٤١)... والبرقليطوس تعني بالحرف : أحمد ، وهو مصداقاً لقوله سبحانه : {ومُبشراً برسولٍ يأتي من بعد اسمه أحمد } سورة الصف-الآية ٦

٤- وفي سِفر متى يقول المسيح :» وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيلياء المزمع أن يأتي ، من له أذنان للسمع فليسمع « (متى: ١١/٤١)...ومجموع اسم إيلياء هو مجموع جمّل أحمد بالتمام «[٢٤]

---

[٢٤] علي جمعة .محمد صلى الله عليه وسلم : رسول الله إلى العالَمين، ص ٤٧-٣٨

اخلاقه صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

لقد ترك محمد صلى الله عليه وسلم - ذلك الإنسان الكامل -أثره على الناس كإنسان قبل أن يشرِّفه الله بالبعث والرسالة[٢٥]...وفي السطور التالية نستعرض قبساً من أنوار أدبه الجم ، وغيضاً من فيض أخلاقه الرفيعة :

كيف كانت أحواله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة؟

يقول : «جيمس متشنر» المؤرخ الأوروبي المعروف:

«إن محمد رسول الإسلام صلى الله عليه و سلم هذا الرجل الملهم الذي أقام الدين الإسلامي و لد حوالي سنة ١٧٥ من الميلاد في قبيلة عربية كان تعبد الأصنام و كان مُحبا للفقراء و اليتامى و الأرقاء المستضعفين و قد أحدث محمد رسول الإسلام صلى الله عليه و سلم بشخصيته الخارقة للعادة ثورة في شبه الجزيرة العربية و في الشرق كله فقد حطم الأصنام بيديه و أقام دينا خالدا يدعو إلى الإيمان بالله و حده كما رفع عن المرأة قيد العبودية التي فرضتها عليها تقاليد الصحراء»، ويعضد كلامه البروفسور (جارسون دي تاسي) في كتابه (الإسلام) قائلاً:

«إن محمد رسول الإسلام-صلى الله عليه و سلم- و لد في حضن الوثنية و لكنه من نعومة أظفاره أظهر بعبقرية فذة انزعاجا عظيما من الرذيلة و حبا حادا للفضيلة و أخلاقا و نية حسنة غير عاديين إلى درجة أن أطلق عليه مواطنوه في ذلك العهد اسم الأمين»[٢٦]

«لقد شاء الله سبحانه وتعالى أن ينشأ محمد صلى الله عليه و سلم يتيما ًحتى لا يُقال أنه استخدم نفوذ أبيه ،أو أنه استند إلى سلطان غير سُلطان الله «[٢٧]...»لقد كانت الأربعون عاما ًالتي عاشها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الوحي رمزاً في الاصطفاء الرباني، فقد كان طفلا ًيتسم سلوكه بالاتزان، ولا يعرف اللهو ، وكان وهو صبي يسعد الكبار بصفاء حكمته»[٢٨]؛ ولقد «كانت حياة «محمد بن عبد

٢٥ no snoitcefleR milsuM :tehporP a erofeB gnieB namuH A. M deyaS-lE ,nimA c?etilletaS/telvres/moc.malsignidaer.www//:ptth morf elbaliava, retcarahC s‹dammahuM tuoyaLEIDF٢٪malsI_revocsiD-hsilgnE-enoZ=emanegap&٥٤٦٢٠٨٩٤٦٤٨١١=dic&C_elcitrA=

٢٦ محمد فهمي عبد ا لوهاب. محمد رسول الإسلام في نظر فلاسفة الغرب مشاهير علمائه وكتابه ٥.-ص٠١.

٢٧ محمد متولي الشعراوي. محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : القاهرة: مؤسسة أخبار اليوم، ٩٩٩١.- ص١٦

٢٨ المصدر السابق، ص٥٦

الله» قبل أن يأذن الله له بالرسالة حياة إنسانية تمتاز عن حيوات من حوله بالنقاء و العزلة ، كانت على كل حال حياة غريبة أشد الغرابة في جنوحها عن الاضطراب في هذه البيئة الوثنية الحمقاء...كانت مزيجا من الأمانة و الاعتكاف، وكانت صورة من الترقب و الانتظار و كانت النفس الصافية الطاهرة العفة التي اصطنعها الله لنفسه، وصنعها على عينه، و قد تكاملت وأُعدت، ونشأت كالزهرة العاطرة من الأصل الطاهر العف ، بين هذه الأنفاس المحرقة من الضلال و الإثم ؛ فنبت الورد من بين الأشواك.

هذه هي النفس التي أعدها الحق لتطوى صفحة الظلم و الضلال ، وتنشر صفحة النور و التوحيد.

ولقد قامت حياته –صلى الله عليه وسلم - قبل بعثة على الرعي، يقول صلى الله عليه و سلم :

« ما من نبي إلا وقد رعى الغنم قالوا : وأنت يا رســول الله ؟ قال : وأنا ، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة» رواه البخاري

ولعل الحكمة من عمل الأنبياء برعي الغنم ،كما يقول ابن حجر: أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم ، ولأن مخالطتها ما يحصل لهم من الحلم والشفقة؛ هذا بالإضافة إلى الرحلة و التجارة [٢٩]، [٣٠]

ولقد كانت هناك إرهاصات تنبىء بنبوته صلى الله عليه و سلم، منها على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً : تسليم الحجَرعليه

فعن جابر بن سمرة . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن» متفق عليه

٢٩ أنور الجندي. أقباس من السيرة العطرة ،ص ٩، بتصرف

٣٠ ٥١٩٢٣=t?php.daerhtwohs/bv/moc.ratsairys.www//:ptth

ثانياً : الرؤيا الصالحة

فعن السيدة عائشةرضي الله تعالى عنها . قالت « إن أول ما بدىء به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح» متفق عليه

ثالثاً : حُبب إليه العزلة والتحنث

لقول السيدة عائشة في الحديث السابق
: «ثم حبب إليه الخلاء(أي الخلوة) ، فكان يخلو بغار حراء يتحنث _ يتعبد _ فيه الليالي ذوات العدد» ، قال النووي : وهو شأن الصالحين وعباد الله العارفين

وفي هذا استحباب العزلة لفترات تعين المسلم على التفكير في أحوال المجتمع إذا سادت فيه الجاهلية والفساد ؛أما الاعتزال الدائم للمجتمع فهو مخالف لسنّة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يُعرف عنه أنه اعتزل المجتمع، وإنما كان يقول في نبذ هذه الاتجاهات: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم» رواه ابن ماجه

رابعاً : كان مباركاً

لقد كان صلى الله عليه وسلم - منذ أن حملت به أمه - مباركاً، «يروي يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعه عن عمته قالت : كنا نسمع أن آمنة لما حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تقول : « ما شعرت أني حملت ، ولا وجدت له ثقلاً كما تجد النساء إلا أني أنكرت رفع حيضتي، وأتاني آتٍ وأنا بين النوم واليقظة فقال:

«هل شعرت أنك حملت؟»فكأني أقول :ما أدري،

فقال: « إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونبيها ، وذلك يوم الاثنين،

قالت: فكان ذلك مما يقّن عندي الحمل، فلما دنت ولادتي أتاني ذلك الآتي ، فقال : قولي: « أعيذه بالواحد الصمد من شر كل حاسد»[٣١].

و روى ابن سعد أن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: « لما ولدتُه خرج من فرجي نور أضاءت له قصور الشام ، وقد روى الطبري و البيهقي وغيرهما أن إرهاصات بالبعثة وقعت عند الميلاد ، فسقطت أربع عشرة شرفة من إيوان كسرى، وخمدت النار التي يعبدها المجوس، و انهدمت الكنائس حول بحيرة ساوة بعد أن غاضت، ولما قدمت حليمة –مرضعته – إلى مكة تلتمس وليداً ترضعه وكان هو من حظها،رأت من بركته ما قضت منه العجب !!!

فقد خرجت مع زوجها وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر ، تلتمس الرضعاء ، تقول حليمة :(وذلك في سنة شهباء[٣٢] لم تُبقِ لنا شيئاً ، فخرجتُ على أتان لي قمراء[٣٣] ومعنا شارف[٣٤] لنا والله ولا تبِضُّ[٣٥] بقطرة ، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معانا من بكائه من الجوع ، وما في ثديي ما يغنيه ، وما في شارفنا ما يغذيه ولكن كنا نرجو الغيث والفرج ،فخرجت على أتاني تلك ، فلقد أذمّت[٣٦] بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجفاً ، حتى قدمنا إلى مكة نلتمس الرضعاء ، فما منا امرأة إلا وقد عُرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم ،وذلك أنا كنا نرجو المعروف من أبي الصبي ، فكنا نقول: «يتيم، وما عسى أن تصنع أمه وجده ؟» فكنا نكرهه لذلك ، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعاً غيره ، فلما أجمعنا الانطلاق ، قلت لصاحبي والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه ،قال لا عليكِ أن تفعلي عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة ، فلما وضعتُه في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن ، فشرب حتى روي ، وشرب معه أخوه حتى روي ، ثم ناما وما كنا ننام معه قبل ذلك ، وقام زوجي إلى شارفنا تلك فإذا

٣١ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن .صفة الصفوة / تحقيق أحمد بن علي .- القاهرة : دار الحديث، ٢٠٠٢، ص١٢

٣٢ مُجدبة لا خضرة فيها ولا مطر

٣٣ بيضاء

٣٤ الناقة المُسِنّة

٣٥ بض الماء : قطر وسال قليلا قليلاً

٣٦ أبطأت وحبست

بها حافل ، فحلب منها ما شرب وشربتُ معه حتى انتهينا رياً وشبعنا ، فبتنا بخير ليلة ، قالت :يقول صاحبي حين أصبحنا «تعلمي والله يا حليمة لقد أخذتِ نسمة مباركة» ، قالت فقلت : «والله إني لأرجو ذلك» ، قالت ثم خرجنا وركبت أنا أتاني وحملته عليها معي فو الله لقطعت بالركب ما لا يقدر عليه شيء من حمرهم حتى إن صواحبي ليقلن لي : «يا ابنة أبي ذؤيب ويحك أربعي علينا أليست هذه أتانك التي خرجتِ عليها؟!» فأقول لهن : «بلى والله إنها لهي هي»، فيقلن : «والله إن لها شأناً ،» قالت ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها فكانت غنمي تروح عليّ حين قدمنا به معنا شباعاً لُبّناً ،فنحلب ونشرب وما يحلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع ، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: «ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبا ذؤيب» ، فتروح أغنامهم جياعاً ما تبض بقطرة لبن ، وتروح غنمي شباعاً لُبّناً فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته وكان يشب شباباً لا يُشبه الغلمان ، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً[٣٧]، قالت فقدمنا به على أمه ونحن أحرص على مُكثه فينا لِما كنا نرى من بركته ، فكلمنا أمه ، ولم نزل بها حتى ردته معنا «[٣٨]

وهكذا «رجع رسول الله صلى الله عليه و سلمإلى بني سعد ،حتى إذا كان بعده بأشهر على قول ابن إسحق، وفي السنة الرابعة من عمره على قول المحققين ، سلّم الله قلبه من حظ الشيطان ،وطهّره بحادثة شق الصدر، فقد روي مسلم عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه ،فشق عن قلبه،فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقة ، فقال : (هذا حظ الشيطان منك) ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأَمَهُ أي جمعه وضم بعضه إلى بعض ، ثم أعاده في مكانه ، وجاء الغِلمان يسعون إلى أمه –يعني ظئره[٣٩]- فقالوا إن محمداً قد قُتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون ...قال أنس وقد كنت أرى أثر ذلك الخيط في صدره»[٤٠]

فلما أعادته حليمة إلى أهله خوفاً عليه ، كان –صلى الله عليه و سلم جليلاً، مفضّلاً لدى جده عبد المطلب بفضل احترام وتقدير ، وكان يؤثِره على أولاده،ويقول :

٣٧ قوياً شديداً

٣٨ صفي الدين المباركفوري . المصدر السابق، ص١٧

٣٩ مرضعته

٤٠ صفي الدين المباركفوري، نفس المصدر ص٤٧

« إن لابني هذا لشأناً « ، قال ابن هشام : كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة ، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه،لا يجلس عليه أحد من بنيه ،إجلالاً له،فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي وهو غلام جفر حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامه ليؤخِّروه عنه ، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم :» دعوه ابني هذا فو الله إن له لشأناً «، ثم يجلس معه على فراشه ويمسح ظهره بيده ويسُره ما يراه يصنع ؛ أما عمه أبو طالب فكان يحبه حباً يفوق حبه لأولاده ، ويقول: «إن محمداً لمبارك» « [٤١] ، [٤٢]

وكان صلوات ربي وسلامه عليه بادي الكرامات ، فقد أخرج ابن عساكر عن جَلهُمة بن عُرقُطة قال : قدمتُ مكة وهم في قحط ، فقالت قريش : يا أبا طالب أقحط لوادي وأجدب العيال فهلُمّ فاستَسقِ ، فخرج أبو طالب ومعه غلام ،كأنه شمس دُجُنّة [٤٣] تجلت عنه سحابة قتماء[٤٤] ، حوله أُغيلمة ، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ بأضبعة الغلام ، وما في السماء قَزعة[٤٥] ، فأقبل السحاب من ها هنا وها هنا وأغدق و اغدودق وانفجر الوادي وأخصب النادي والبادي... وإلى هذا أشار أبو طالب حين قال :

وأبيضٌ يُستسقَى الغمامُ بوجهه *** ثِمالُ يتامى عِصمةٌ للأرامل

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه و سلم اثنتى عشرة سنة ارتحل به أبو طالب تاجراً إلى الشام وكان في هذا البلد راهب يُعرف ببُحيرَى ، واسمه –فيما يقال – جرجيس، فلما نزل الركب نزل إليهم ، وكان لا يخرج إليهم قبل ذلك، فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : هذا سيد العالمين ، هذا رسول رب العالمين ، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين ، فقال له أبو طالب وما علمك بذلك؟ قال إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجداً ولا يسجدن إلا لنبي وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ، ثم أكرمهم بالضيافة وسأل أبا طالب أن يرده ولا يقدم به إلى الشام، خوفاً عليه

٤١ المصدر السابق ،ص ٤٧-٥٧

٤٢ محمد متولي الشعراوي. محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : القاهرة: مؤسسة أخبار اليوم، ٩٩٩١.-ص ٦٥

٤٣ الظلة

٤٤ غبراء

٤٥ سحابة

من الروم واليهود ، فبعثه عمه مع بعض غلمانه إلى مكة « [٤٦]

وفيما يلي بعض الجوانب من أخلاقه العظيمة صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ، مما يدل على صدق مرجعيته صلوات الله وسلامه عليه .

لقد بعث الله محمداً صلى الله عليه و سلم لهدف واضح ومحدد وهو : أن يتمم مكارم الأخلاق ، لقوله صلى الله عليه وسلم : «إنَما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق»[٤٧]

لذا فإن من الطبيعي والمنطقي أن يكون هو نفسه تام الخُلُق ، قدوة في مكارم الأخلاق:قبل البعثة وبعدها.

أخلاقه –صلى الله عليه وسلم – قبل البعثة

«إن نظرة متأنية إلى حياة الرسول صلى الله عليه و سلم لتشي إلينا بحقيقة واضحة وهي أن حياته صلى الله عليه وسلم منذ ولادته قد تضمنت إعداداً ربانيا ًمتأنياَ له ، تماماً كما أعد الله عز وجل مِن قبله كل من اصطفاهم لحمل رسالته ؛

فقد بين الله تعالى أن الإعداد والرعاية يستمران من المهد إلى اللحد ، قائلا ًعن عيسى عليه السلام : {وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصّلَاةِ وَالزّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا، وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبّارًا شَقِيًّا، وَالسّلَامُ عَلَيّ يَومَ وُلِدتُ ويومَ أموتُ ويومَ أُبعثُ حياً ،ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ} سورة مريم ٣٠-٤٣

ولعل هذه الآيات تحمل من علامات التعجب التي توضح الإمكانات والمهارات وجوانب الإعداد الطويلة التي أهّلته عليه السلام لأن يكون أهلاً لهذه الرسالة ، فلم يكتفِ الله عز وجل بأن يقول لهم أن عيسى بن مريم رسولٌ من رب العالمين ، وإنما ساق لهم جوانب هذا الإعداد، حتى يوجه أفكارهم وعقولهم إلى الاقتناع الكافي وحُسن الاتِّباع عن دراية وفهم عميق .

---

٤٦ صفي الدين المباركفوري ،المصدر السابق، ص ص٥٧-٦٧

٤٧ حديث صحيح

أما عن موسى عليه السلام ، فقد أعده الله تعالى لحمل أعباء الرسالة قائلاً له :{وألقيتُ عليكَ محبة مِنّي ولتُصنعَ على عيني}سورة طه -٩٣

وفي حق إبراهيم عليه السلام يقول الله عز وجل : { وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا }سورة البقرة -٤٢١

ويقول أيضا عز من قائل: { وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ } سورة الأنبياء-١٥

وفي حق يوسف عليه السلام يقول الله تعالى : {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا }سورة يوسف-٢٢

وكما كان الإعداد في الفِكر والعلم ، كان أيضاً في الجسم وقوة البدن ، يقول تعالى في حق طالوت عليه السلام :

{وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ }سورة البقرة -٧٤٢

ولعل هذا الإعداد للنبي الخاتم صلى الله عليه وسلم يتجلى في: اشتهاره بين قومه بحُسن السيرة ،والثقة في مرجعيته ؛حتى أنه « عُرف صلى الله عليه وسلم قبل البعثة بالصادق الأمين ، ما أخلف وعداً ، وما ضرب شيئاً بيده إلا مجاهداً في سبيل الله»[٤٨]

لقد شب رسول الله صلى الله عليه و سلم وربه سبحانه و تعالى يرعاه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية ، لما يريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أنه كان أفضل قومه مروءة ،

وأصدقهم حديثا، وأحسنهم خُلقا ، وأكرمهم حسبا ، وأحسنهم جوارا ، وأعظمهم

٤٨ عمرو خالد. في ظلال السيرة النبوية : على خطى الحبيب، ص٠٣.

حلما، وأعظمهم أمانة، وتنــزها وتكرما ،وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال ، حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة[٤٩]

وإذا تأملنا تسميته بالصادق الأمين ، لوجدنا أن الناس قد يصفوا شخصاً بأنه صادق أو أمين ، ولكنهم لا يطلقون عيه لقب الصادق، والأمين (بتعريف الصفة) إلا إذا كان مُبالِغاً في الصدق والأمانة ، وكأنهم لا يعرفون صادق ولا أمين أكثر منه ، ولقد كانت هذه هي الحقيقة ؛» فقد كان أهل مكة يصدقونه ويحكِّمونه فيما يختلفون فيه، و إذا خافوا على شيء ائتمنوه عليه ، وكانوا حتى بعد أن نزلت الرسالة ورغم كفرهم به وبرسالته لا يجدون من يأتمنونه على كل غال ونفيس يخافون عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لذلك عندما هاجر إلى المدينة طلب من علي بن أبي طالب أن يرد إلى الناس ودائعهم التي ائتمنوه عليها «[٥٠]

وعندما كلفه الله تعالى بالرسالة أثارت بلاغة القرآن حيرتهم ، فأرادوا أن يكذبوا النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يعرفوا كيف يكذبونه ، فقالوا: ساحر مرة ، وشاعر مرة ، ومجنون مرة ثالثة !!!!

ولكن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان على خُلُق عظيم ، ومعنى ذلك أن الأفعال تصدر عنه بيُسر وسهولة وصدق ؛ دون تكلُّف لأن الإنسان غير الصادق لابد أن ينسى ما قاله ، بل ويتخبط في كلامه ، فيقول اليوم ما نفاه بالأمس ، أما الصادق فإنه يرى الأشياء بطبيعته ولا يختلف قوله لأن الصدق عنده مَلَكة ،يصدر عنه بتلقائية لا دخل للفِكر فيها ؛ والرسول صلى الله عليه وسلم كان حين تتنزل عليه السورة الطويلة – كسورة الأنعام مثلاً التي نزلت في ليلة واحدة- ثم يذهب عنه الوحي –وهو الأمي- كان يتلو على أصحابه السورة ويقول : أوحي إلي كذا ، فيكتب من الصحابة مَن يعرف الكتابة الآيات التي نزلت ؛ ثم يأتي وقت الصلاة فيقوم صلى الله عليه وسلم ويقرأ الآيات في الصلاة فتأتي طبق ما أوحي إليه ، ولو أن إنساناً تكلم معك وسجلت له كلاماً ثم طلبت منه أن يعيد نفس الكلام ، ولو بعد دقيقة ، ربما قال نفس المعنى، ولكنه لا يستطيع أبداً أن يقوله بنفس الألفاظ !!!

٤٩ ابن هشام ،عبد الملك. السيرة النبوية ، ج١

٥٠ محمد متولي الشعراوي. محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : القاهرة: مؤسسة أخبار اليوم، ٩٩٩١.- ص١٥

ومن كان خُلقه الصدق فإنه يقول الحق ولو على نفسه ، ومن كان خُلقه الأمانة ، فإنه لا يمد يده إلى ما يملكه غيره ولو كان في قمة الحاجة ...ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد شهد له أهل مكة جميعا ًبأنه الصادق الأمين ...فلما اتهموه بالجنون فيما بعد كانوا يناقضون أنفسهم لأن المجنون لا يُصدّق ولا يؤتمن !!! «[٥١]

وعندما روى رسول الله صلى الله عليه و سلم ما حدث له في الإسراء والمعراج صدقه البعض وكذبه البعض ، وعندما ذهب عدد من الناس إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وأبلغوه بما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال : أوَ قال هذا ؟ قالوا : نعم ، قال أبو بكر: إذن فقد صدق ، فلما اعترض عليه عدد من الحاضرين قال / « أنصدقه في خبر السماء-يقصد الوحي الذي ينزل عليه دون أن يراه أو يسمعه أحد غير الرسول - ونكذبه فيما يقول؟»[٥٢]

وإذا تساءلنا عن مدلول وصفه صلى الله عليه وسلم بالصدق والأمانة بالتحديد دون سائر الصفات ًكالشجاعة مثلاً أو الكرم أو غير ذلك؟

لوجدنا أن الصدق هو «مطابقة الخبر للواقع وضده الكذب وهو الإخبار عن الشيء خلاف ما هو عليه ؛ والصدق من أعظم خصال الخير وهو من مكارم الأخلاق التي جاء الشرع بتأكيدها والأمر بها ؛ والصدق مرآة النفس النزيهة، فالصادق يكشف عن نزاهة نفسه، فليس فيه أي التواء أو اعوجاج بل هو مستقيم استقامة البان، نيّرٌ كالمصباح المتلألئ . والصدق أشرف الصفات المرضية، ورئيس الفضائل النفسية، وما ورد في مدحه وعظيم فائدته من الآيات والأخبار لا يمكن إحصاؤه.
والصدق سجية كريمة تدل على سلامة الفطرة للمتصف بها، وثقته بنفسه وبعده عن التكلف والتصنع، وقد اعتبر الإسلام الصدق أساس كل الخير وأن الإسلام يؤكد على الصدق أكبر تأكيد ويحث الناس على ملازمته ولو كان مظنة لإضرار يسير.

فهو خُلُق رفيع يتمثله الأفاضل من الناس ، ويتنكب عنه الأراذل ، ولذلك كان وصفاً ملازماً للأنبياء عليهم السلام ، وضده ما كان ملازماً للمنافقين وأشباههم .

٥١ محمد متولي الشعراوي. محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : القاهرة: مؤسسة أخبار اليوم، ٩٩٩١.- ص ٤٣١-٦٣١ ، و٠٤١ ، بتصرف يسير.

٥٢ محمد متولي الشعراوي. محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : القاهرة: مؤسسة أخبار اليوم، ٩٩٩١.- ص٨١١

والصدق أقسام :

١ـ الصدق بالقلب : فلا يخالف الظاهر الباطن .

٢ـ الصدق بالأفعال

سواء التي بينه وبين الله تعالى فيعامل الله تعالى بِصِدقِ نيّة وإِخلاص ومحبّةٍ ويَقينٍ ووَفاء ودَوامِ عبادةٍ، أو بينه وبين الخلق ، فيعاملهم بصدقٍ ورَحمةٍ ووَفاءٍ، بغيرِ تقلُّبٍ وبغيرِ كَذِبٍ وخِداعٍ ومَكر ، ولا يغش ولا يخلف إذا وعد

٣ـ الصدق بالأقوال

فلا تخالف الواقع ولا تخالف أفعال صاحبها ...فيقولَ الحقّ   أو يأمر بحقٍّ، أو ينهَى عن باطل، أو يخبِر بما يطابِقُ الواقعَ.

والصّدقُ يكشِف عن مَعدن الإنسان وحُسنِ سريرته وطيب سيرته، كما أنّ الكذبَ يكشف عن خبثِ الطويّة وقبح السيرة. الصدقُ منجاة والكذِب مرداة. الصّدقُ محبوبٌ ممدوح في العقول السليمة والفطر المستقيمة ،لذا فإن الصادق في الدّنيا يُرزَق حسنَ الأحدوثة ومحبّةَ الله ومحبّة الخلق، وتُثَمّن أقوالُه، ويؤمَنُ جانِبُه، ويريحُ النّاسَ من شرِّه، ويحسِن إلى نفسه وإلى غَيره، ويُعافى من الشرورِ والمهالك التي تصيب الكذّابين، ويطمئنُّ بالُه وقلبه، فلا يمزّقه القَلق، ولا يعبثُ به الخوف من الفضيحةِ،وتكونُ عواقبُ الصّادِقِ في حياتِه إلى خَير «[٥٣] ،[٥٤]، [٥٥]

والصدق عدا عن كونه أساس الفضائل النفسية، هو ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية، بل هو أكبر أبواب السعادة للأفراد وللأمة، فحسبك مثلا في المعاملات المادية أن ترى نفسك مسوقا حين تريد ابتياع سلعة أن تفتش عن التاجر الذي

---

٥٣ علي الحذيفي .خطبة الجمعة في المسجد النبوي بالمدينة النبوية بتاريخ : ٥٢- ٧-٥٢٤١هـ اليوم الجمعة ٤١ سبتمبر , ٧٠٠٢ م الموافق ٢٠/رمضان/٨٢٤١هـ
mth.٥٢-٧٠-٥٢٤١anidaM/٥٢anidaM/ten.batohk.www//:ptth

٥٤ علي بن صالح الجبر البطيّح. إضاءات في الصدق ، متاح في:
mth.٣٣٣/leasar/ten.diaas//:ptth

٥٥ علي بن عبد العزيز الراجحي. الصدق والأمانة، متاح في:
mth.٧٢/ihjarla/taoD/ten.diaas

عرف بالصدق.

ولعل أصدق ميزان لرقي أمة من الأمم صدق أفرادها في أقوالهم وأعمالهم، وإنها لأزمة كبيرة تلك التي يعاني منها الناس في تعاملهم عندما يفقدون الثقة فيما بينهم لأنهم يفقدون خلق الصدق وينتشر بينهم خلق الكذب.

وإن الكذب جبن وخسة وجرأة والكذاب لن ينجح في حياته ولن يهتدي إلى الحق والخير فسينكشف للناس عن جبن وخسة تجعل الخيبة ملازمة له في شأنه كله.... والكذبة الواحدة تفتح باب الكذب على مصراعيه ،ومن عرف بالكذب مرة واحدة سقطت مكانته، وقلّت الثقة بحديثه، فلا يلومن بعد ذلك إلا نفسه»[٥٦]

كما أن «الكذب رذيلة محضة تنبىء عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها ، وعن سلوك ينشىء الشر إنشاءً ، ويدفع إلى الإثم من غير ضرورة مزعجة ، أو طبيعة قاهرة « [٥٧]

لذلك يروي أبو سفيان أن هرقل سأله عن صدقه صلى الله عليه وسلم فقال له :» هَلْ كُنْتُمْ تَتّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ، فقال له : قَدْ أَعْرِفُ أَنّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللّهِ» رواه البخاري.[٥٨]

« فالرسول الذي يبلغ منهج الله لابد أن يكون معروفاً معرفة جيدة وأكيدة -قبل الرسالة- لمن يبلغهم ، ليس هذا فحسب بل وان يكون معروفاً بالأمانة ، وصدق القول وحُسن الخُلق حتى يصدقوه فيما يُخبر عن ربه ،لأن من لا يكذب على الناس لا يكذب على الله «[٥٩]

أما الأمانة، فهي التزام الإنسان بالقيام بحقوق الناس من غير تقصير، كما يحب أن

٥٦ .الصدق، خطبة الجمعة بالطائف،٤١ سبتمبر , ٧٠٠٢ م   عثمان بن جمعة ضميرية ptth://ten.rabnimla/batuhkla/ kutbah.asp?media=LRU١٦٨

٥٧ محمد الغزالي. خلق المسلم، ص٦٣

٥٨ علي بن صالح الجبر البطيّح، المصدر السابق

٥٩ محمد متولي الشعراوي. محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : القاهرة: مؤسسة أخبار اليوم، ٩٩٩١.- ص٩٤

يقوموا بحقوقه من غير تقصير»[٦٠]

والأمانة من الأخلاق الفاضلة،فهي أصل من أصول الديانة، وهي ضرورية للمجتمع، لا فرق فيها بين حاكم وموظف وصانع وتاجر ومزارع، ولا بين غني وفقير، ولا كبير وصغير، فهي شرف الغني وفخر الفقير، وواجب الموظف ورأس مال التجار، وسبب شهرة الصانع، وسر نجاح العامل والمزارع، ومفتاح كل تقدم بإذن الله ، ومصدر كل سعادة وفلاح بإذن الله، وليست الأمانة محصورة في الودائع التي تؤمن عند الناس من نقود وجواهر ونحوها، بل الأمانة أوسع من هذا كله، فالأمانة عمل لكل ما لله فيه طاعة، واجتناب كل ما لله فيه مخالفة ومعصية، سواء كان ذلك في عبادة الله أو في معاملة عباده.

ومن معاني الأمانة أن يوضع كل شيء في مكانه اللائق به والمناسب له، فلا يعطي منصب إلا لمن هو أهل وكفؤ له، أما من يعجز عن القيام به ويهمله فلا يجوز إسناده إليه

وحين تستقيم الفطرة وتسلم من اتباع الهوى تتمثل في صاحبها بخلق الأمانة وفي تفسير قوله تعالى : (إِنّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السّمَاوَات وَالْأَرْض وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْأِنْسَانُ إِنّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً) [الأحزاب:٢٧].
يقول القرطبي : (والأمانة تَعُم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال) كما يقول في تفسير قوله تعالى :(وَالّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) [المؤمنون :٨] : (والأمانة والعهد : يجمع كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه قولا وفعلاً ، وهذا يعم معاشرة الناس ، والمواعيد، وغير ذلك، وغاية ذلك حفظه والقيام به)

وحين يعم التعامل بالأمانة يؤدي الذي أؤتمن أمانته ، سواء أؤتمن على قنطار أو دينار، والنفوس البشرية بفطرتها تميل إلى الناصح الأمين ، وتثق بالقوي الأمين، حتى غير المسلمين يؤثرون الأمين ، فقد ورد في قصة أهل نجران لما وافقوا على دفع الجزية أنهم قالوا : (إنا نعطيك ما سألتنا ، وابعث معناً رجلاً أمينا ، ولا تبعث معنا إلا أميناً . فقال : لأبعثن معكم رجلاً أمينا ، حق أمين) ، وأرسل معهم

٦٠ محمد بن صالح العثيمين .الأمانة في الاختبارات، متاح في http://www.islamway.com/?iw_s=Article&iw_a=view&article_id=٢٧٥

أبا عبيدة .

إن من أغلى ما يرزقه الله للعبد، ولا يحزن بعده على أي عرض من الدنيا، ما جاء في الأثر :

(أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا : صدق الحديث، وحفظ الأمانة ، وحسن الخلق ، وعفة مطعم) فالأمانة ركن من هذه الأركان الأخلاقية الأربعة،التي لا يعدلها شيء في الدنيا، بل قد تكون سببا في إقبال الدنيا على العبد ، لما يجده الناس فيه ، كما كانت أمانته صلى الله عليه وسلم - مثلاً- سبباً في زواجه بأم المؤمنين خديجة .
والأمانة صفة مميزة لأصحاب الرسالات، فقد كان كل منهم يقول لقومه:(إِنّي لكم رسول أمين)

[الشعراء : ١٠٧، ١٢٥ ،١٤٣،١٦٢، ١٧٨] .

وكانت تلك شهادة أعدائهم فيهم ؛ كما جاء في حوار أبي سفيان وهرقل ، حيث قال هرقل : (سألتك ماذا يأمركم ؟ فزعمت أنه يأمر بالصلاة ، والصدق، والعفاف ، والوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة ـ قال : و هذه صفة نبي) وفي موضع آخر في صحيح البخاري : (.. وسألتك هل يغدر ؟ فزعمت أن لا، وكذلك الرسل لا يغدرون ..) ولئن كانت هذه صفة أصحاب الدعوات فإن أتباعهم كذلك متميزون ، ولذلك اقترن تعريف المؤمن بسلوكه المميز ، حيث قال صلى الله عليه وسلم :
(والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم) رواه فضالة بن عبيد بإسناد حسن

كما أن صاحب خلق (الأمانة) حريص على أداء واجبه ، بعيد عن المكر والخيانة ، حافظ للعهود ، وافٍ بالوعود .
ورسالة عظيمة مثل رسالتنا لا يصلح لحملها والمضي بها إِلاّ الأمناء[٦١]

وبذلك نرى أن الصدق والأمانة صفتان تجمعان كل خصال الخير، ومن ثم فقد

٦١ http://islamweb.net/ver٢/archive/readArt.php?id=١٠٢٤٦ متاح في: الأمانة.

اتصف الحبيب صلى الله عليه و سلم بكل خصال الخير، ليس اتصافاً عادياً؛ وإنما كان أكثر الناس في مكة اتصافاً بها ، بشهادة أحبابه وأعداءه على حد سواء !!!!

أما إنسانيته : فقد ولدت معه ، ولازمته في أطوار حياته، وميّزته على سائر أقرانه ولداته ، وصانته من كل زلل ، وحمته من كل شطط، ودفعته دائما إلى الخير ، ومثالية السلوك.

فكان نبته رطبة بين قلوب قد قست ، وطباع قد غلظت، وعواطف قد جفت، ومشاعر قد تبلدت ، وعقول قد تحجرت؛وكان زهرة نضرة وسط غابة من الأشواك ، في أطرافها حدة ، وفى جذوعها خشونه وغلظة ، وفى لمستها أذى وإيلام؛ لقد كان –صلى الله عليه وسلم- شجرة سامقة مثمرة ظليلة ، وسط صحراء قاحلة ، وفلاة مُجدبة ... وهو في جميع حالاته : كثير النفع.. عظيم العطاء...ولا عجب إذن - قبل أن يكون رسولاً -أن سلطت عليه الأضواء، ولم تتنازع في إنسانيته الأهواء، وانتزع -عن جدارة- من بين القلوب الغلاظ ، والألسنة الحداد ، اعترافاً بعفة نفسه ، وعذوبة حسه، وسمو سلوكه، وعلو إنسانيته... فكان لقبه الرسمي-كما سلف الذكر- هو: الصادق الأمين![٦٢]

ولقد تجلى هذا الإعداد الرباني له في حسن إدارته للمواقف ،الذي بدا واضحاً في حكمته في إدارة النزاع الذي كان قائماً بين القبائل المتناحرة بشأن وضع الحجر الأسود والتي كادت أن تودي بحروب يذهب فيها هؤلاء المتناحرين، وهنا تجلت حكمته صلى الله عليه وسلم في أن يطلب منهم أن يأتوه بثوب ويضع عليه الحجر الأسود ويطلب من كل منهم أن يحمل طرفاً من أطرافه ، ثم يحمل هذا الحجر ليضعه في مكانه !!!

هذا فضلاً عن حُسن تربيته وتأديبه ،كما قال الله عز وجل : { ألَم يجِدكَ يتيماً فآوى ، ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنَى} سورة الضحى٥-٨ وكما أخبرعن نفسه صلى الله عليه وسلم قائلاً : «أدّبني ربي فأحسن تأديبي» رواه ابن مسعود وورد في ضعيف الألباني»[٦٣]

٦٢ عباس العقاد . مجموعة العبقريات الإسلامية، ص٥-٦ ، بتصرف يسير

٦٣ محمد أحمد عبد الجواد . أسرار التميز الإداري والمهاري في حياة الرسول /تقديم حسين شحاته .- طنطا : دار البشير لثقافة

« فلقد جمع النبي صلى الله عليه و سلم في نشأته خير ما في طبقات الناس من ميزات ، وكان طرازاً رفيعاً من الفكر الصائب و النظر السديد ، ونال حظاً وافراً من حُسن الفِطنة وأصالة الفِكرة وسداد الوسيلة والهدف، وكان يستعين بصَمته الطويل على طول التأمل وإدمان الفكرة و استكناه الحق ، ويطالع بعقله الخصب وفطرته الصافية صحائف الحياة وشؤون الناس وأحوال الجماعات؛ فعاف ما سواها من خرافة ونأى عنها ثم عاشر الناس على بصيرة من أمره وأمرهم ،فما وجد حسناً شارك فيه ، وإلا عاد إلى عُزلته العتيدة فكان لا يشرب الخمر ولا يأكل مما ذُبح على النُصُب ، ولا يحضر للأوثان عيداً ولا احتفالاً ، بل كان من أول نشأته فاراً من هذه المعبودات الباطلة ، حتى لم يكن شيء أبغض إليه منها ،وحتى كان لا يصبر على سماع الحلف باللات و العزّى ، ولا شك أن الله تعالى قد حفظه ورعاه ، فعندما تحركت نوازع نفسه لاستطلاع بعض متع الدنيا ، وعندما هم باتِّباع بعض التقاليد غير المحمودة تدخلت عناية الله سبحانه للحيلولة بينه وبينها ، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :(ما هممتُ بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملونه غير مرتين، ذلك يحول الله بيني وبينه ، ثم ما هممت به حتى أكرمني برسالته : قلت ليلة للغلام الذي يرعى معي الغنم بأعلى مكة : لو أبصرتَ لي غنمي حتى أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب ، فقال : أفعل ، فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفاً ، فقلت : ما هذا ؟ فقالوا عُرس فلان بفلانة ، فجلستُ أسمع ، فضرب الله على أُذُني فنمت ، فما أيقظني إلا حر الشمس ، فعدت إلى صاحبي فسألني فأخبرتُه ، ثم قلتُ ليلة أخرى مثل ذلك ، دخلت مكة فأصابني مثال أول ليلة ...ثم ما هممتُ بسوء)

وروى البخاري عن جابر بن عبد الله قال : لما بُنيت الكعبة ذهب النبي صلى الله عليه وسلم والعباس ينقلان الحجارة ، فقال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم : إجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة ، فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم أفاق ، فقال : إزاري ، إزاري، فشد عليه إزاره ، وفي رواية فما رؤيَت له عورة بعد ذلك .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يمتاز في قومه بخلال عذبة وأخلاق فاضلة وشمائل كريمة ، فكان أفضل قومه مروءة وأحسنهم خُلُقاً وأعزّهم جواراً ، وأعظمهم حِلماً

والعلوم ، ٢٠٠٢ .- ص ٣٦-٤٦، بتصرف يسير .

وأصدقهم حديثاً وألينهم عريكة ، وأعفّهم نفساً وأكرمهم خيراً وأبرهم عملاً وأوفاهم عهداً وآمنهم أمانة حتى سماه قومه ((الأمين)) لِما جُمع فيه من الأحوال الصالحة والخصال المُرضِية ، وكان كما قالت أم المؤمنين خديجة رضي الله تعالى عنها : يحمل الكَل ويُكسب المعدوم ، ويُقري الضيف ، ويُعين على نوائب الحق!!!» [٦٤]

ولقد بدأ القتال صغيرا صلى الله عليه و سلم بحرب الفجار ، قال ابن هشام فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة فيما حدثني أبو عبيدة النحوي عن أبي عمرو بن العلاء هاجت حرب الفجار بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان ...وكان الذي هاجها أن عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن هوازن أجار لطيمة للنعمان بن المنذر فقال له البراض بن قيس أحد بني ضمرة ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة أتجيرها على كنانة قال نعم وعلى الخلق ،فخرج فيها عروة الرحال وخرج البراض يطلب غفلته حتى إذا كان بتيمن ذي طلال بالعالية غفل عروة فوثب عليه البراض فقتله في الشهر الحرام فلذلك سمي الفجار وقال البراض في ذلك شعراً ، منه :

و داهية تهم الناس قبلي *** شددت لها بني بكر ضلوعي

وهذه الأبيات في أبيات له فيما ذكر ابن هشام

قال ابن هشام :فأتى آتٍ قريشاً فقال إن البراض قد قتل عروة وهم في الشهر الحرام بعكاظ وهوازن لا تشعر ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم فاقتتلوا حتى جاء الليل ودخلوا الحرم فأمسكت عنهم هوازن ثم التقوا بعد هذا اليوم أياما والقوم متساندون على كل قبيل من قريش وكنانة رئيس منهم وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم
الرسول صلى الله عليه وسلم يشهد القتال وهو صغير وشهد رسول الله صلى الله عليه و سلم بعض أيامهم أخرجه أعمامه معهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت أنبل على أعمامي أي أرد عنهم نبل عدوهم إذا رموهم بها [٦٥]

٦٤ المصدر السابق ، ص ص ٠٨-١٨، بتصرف يسير

٦٥ ابن هشام، عبد الملك . السيرة النبوية ، ج١

«ولقد زعم بعض المستشرقين أنه عليه الصلاة والسلام قد اشترك فى حرب الفجار بتجهيز السهام ، لأنه عمل أقرب إلى خلقه من الخوض في معمعة القتال .

وكأنهم أرادوا أنه لم يكن قادراً على المشاركة في المعمعة بغير ذلك ... فهذا خطأ في الإحاطة بمزايا هذه النفس العظيمة التي تعددت جوانبها حتى تجمعت فيها أطيب صفات الحنان والكرم وأكرم صفات البسالة والإقدام ..وسيلي الحديث عن شجاعته وإقدامه صلى الله عليه وسلم في الحرب ، وكيف كان بعد بعثته في طليعة رجاله حين تحتدم نار الحرب ويهاب شواظها من لا يهاب ،كأمثال علي بن أبي طالب فارس الفرسان «[٦٦]

وهكذا نشأ الحبيب صلى الله عليه و سلم بأخلاق لا تختلف عن أخلاقه التي عهدها الناس منه بعد البعثة ، مما يعزز مصداقيته ويقوي الثقة في مرجعيته ، صلى الله عليه وسلم .

٦٦ عباس العقاد . عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم ، ص٢٥

أخلاقه صلى الله عليه وسلم بعد البعثة

لما جاءت الرسالة إلى الحبيب صلى الله عليه وسلم كان عليه أن يواجه مجتمعاً من أفسد مجتمعات الأرض ، مجتمعاً يملؤه الطغيان والكفر... حتى حُرمة بيت الله الحرام ،البيت الذي اختاره الله تعالى في الأرض، لم يراعوها ، بل أدخلوا فيه الأصنام ،وعملوا على إفساد أطهر بُقعة في الأرض[٦٧] .... وبالرغم من ذلك ، فقد عُرف الحبيب صلى الله علي وسلم بعد بعثه بالنبوة بتمام أخلاقه ، يقول الإمام محمد الغزالي –رحمه الله – لقد درسنا في مراحل ثقافتنا فلسفة الأخلاق ، ومناهج الفلاسفة ومقاييسهم لضبط سلوك البشر ، وأُعجبنا بما فيها من فِكر عميق وتلمّس للحقيقة واستشراف للمثل العُليا ،ولسنا نُغمط فضل أحد نشد الخير للناس ،واجتهد في إنارة السبل أمامهم ..بيد أنا نلفت أنظار المصنفين إلى أساليب التربية الناجعة ، والأخلاق الرائعة التي جاء بها صاحب الرسالة الخاتمة ،ونقل بها العالم من الغي إلى الرشاد ، وسوف يرون أن في الإسلام كنوزاً حافلة بالنفائس ،دونها ما ورث الناس من فلسفة اليونان والرومان .

ولقد قيل لعالِم مُسلم : هل قرأتَ أدب النفس «لأرسطو» ؟ فقال:

« بل قرأتُ أدب النفس لمحمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام»

لقد قرأنا أدب النفس لأرسطو ولأمثاله من الفلاسفة، وقرأنا أدب النفس لمحمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، فوجدنا ما تخيله الأولون واصطنعوا له بعد العناء صوراً بعضها كامل وبعضها منقوص ، وجدناه قد تحول إلى حقائق حية تجسد فيها الكمال وأضحى سيرة رجل،وأدب أمة وشعائر دين ضخم، ذلكم هو أدب النفس لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم «[٦٨]

ويكفي ما قاله عنه سبحانه في كتابه العزيز:» لقد كان لكُم في رسولِ اللهِ أسوةٌ حسنةٌ لمَن كان يرجو اللهَ واليومَ الآخر» الأحزاب-١٢، ومن المؤكد أنه لا يعرف قدر رسول الله إلا الله؛ وإن قدره عند الله لعظيم! وإن كرامته صلى الله عليه

٦٧ محمد متولي الشعراوي. محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نفس المصدر السابق، ص٧٧[١]

٦٨ محمد الغزالي. خُلُق المسلم - ج١،ص ٥-٦

وسلم عند اللــه لكبيرة !

فقد علِم الله سبحانه أن منهج الإسلام يحتاج إلى بشر يحمله ويترجمه بسلوكه وتصرفاته، فيحوّلِه إلى واقع عملي محسوس وملموس، ولذلك بعثه صلى الله عليه وسلم- بعد أن وضع في شخصيته الصورة الكاملة للمنهج- ليترجم هذا المنهج ويكون خير قدوة للبشرية جمعاء»[٦٩] فالمبشِّر بالدين لابد وأن يكون قدوة ، وإلا فإن أحداً لن يستمع إليه، وهذا ينطبق على الدين وحده دون سائر العلوم ، فقد يأخذ الناس العلم – مثلاً - عن عالم كيمياء فاسق ، أو مهندس كافر،أو طبيب لا يلتزم بالأخلاق الكريمة...ولكنهم لا يأخذون دينهم إلا عن عالم يتمسك بمنهج الدين ،وبالسلوك الحسَن ؛ أما إذا كان في سلوكه ما يُشين ، فإنهم بنصرفون عنه [٧٠] ...أما محمد صلى الله عليه وسلم ، «فهو المصطفى وهو المجتبى... فلقد اصطفى اللــه من البشرية الأنبياء واصطفى من الأنبياء الرسل واصطفى من الرسل أولى العزم واصطفى من أولى العزم محمد صلى الله عليه وسلم، ثم اصطفاه ففضله على جميع خلقه... شرح له صدره ،ورفع له ذكره ،ووضع عنه وزره ، وزكّاه في كل شيء :

زكاه في عقله فقال سبحانه:.» ما ضَلّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى»[النجم: ٢]

زكاه في صِدقه فقال سبحانه:» وَمَا يَنطِقُ عَن الهوىَ»[النجم: ٣].

زكاه في صدره فقال سبحانه:.»ألم نَشْرح لَكَ صَدْرَكَ» [الشرح: ١]

زكاه في فؤاده فقال سبحانه:»مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأى»[النجم: ١١] .

زكاه في ذكره فقال سبحانه: «وَرَفعنَا لَكَ ذكْرَكَ»[الشرح: ٤].

زكاه في طهره فقال سبحانه: «وَوَضعنَا عَنكَ وزْرَكَ» [الشرح :٢].

٦٩ خيرية صابر.الأم قدوة متحركة في أرجاء البيت،مقالة على الموقع:
A=g naleht&٥٩٦٢١=elcitra.١csim/bewi/slp/ten.bewmalsi//:ptth

٧٠ محمد متولي الشعراوي . محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . نفس المصدر، ص٣٩ * شديد القوى هو جبريل عليه السلام

زكاه في علمه فقال سبحانه: «عَلّمَهُ شَديدُ القُوىَ « [النجم: ٥].*

زكاه في حلمه فقال سبحانه: «بِالمؤمِنينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ»[التوبة :٨٢١]

زكاه كله فقال سبحانه:» وَإنّكَ لَعَلَى خُلقٍ عَظِيمٍ « [القلم: ٤].»[٧١]

و أي شهادة بعد شهادة رب العالمين على عَظَمة خُلقه صلى الله عليه وسلم ؟!!!!!

لقد كانت أخلاقه مستمَدة من عند الله ، فهو ــ سبحانه ــ الذي صنعه على عينه ، وأدّبه فأحسن تأديبه، وجعله بشراً سوياً ، وخلقاً رضياً، وكيف لا ؟ وقد سئلت أم المؤمنين عائشة ــ رضوان الله عليها ــ عن أخلاقه ، فأجابت : « كان خلقه القرآن»...وهل القرآن إلا كتاب الله ، وهدى السماء؟؟

لقد قال عنه أقرب الناس إليه :

عن أنس رضي الله عنه قال:» كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خُلقًا «(رواه الشيخان وأبو داود والترمذي)

وعن صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت:» ما رأيت أحسن خلقًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم « رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن.

وكان أحب الناس إليه: أحسنهم خلقاً ، وأكثرهم أدباً ، وأقومهم سلوكاً..لقوله صلى الله عليه وسلم :

« إن أحبّكم إليّ ، وأقربكم منى منازل يوم القيامة : أحاسنكم أخلاقاً .. الموطئون أكنافاً .. الذين يألفون ويؤلَفون»!!

وكان أرفع وسام لرسول ، وأسمى وصف لنبي .. ما جاء في محكم التنزيل : «

٧١ محمد حسان. الشفاعة:خطبة مكتوبة،ومتاحة على موقع moc.rabnimla.www

وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم»(القلم-٤)

ومما لا ريب فيه ، أن أخلاقياته وشمائله ــ عليه أفضل صلاة ، وأزكى تسليم ــ قد انعكست على أصحابه ، وتأصلت في هديه، وكانت الصوت العالي في دعوته، و النور الساطع المشمع من رسالته ، فعمّت ، واستمرت ـ ولو لم يتخلق بها المعرضون ـ وكفاها ... إنها أخلاق محمد ... أو أخلاق القرآن.[٧٢]

وفيما يلي بعض النماذج المشرقة من جوانب أخلاقه العظيمة بعد البعثة :

أولاُ:أدب السلوك وفن التعامل لديه صلى الله عليه وسلم

إن المتتبع لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم يجد أنه كان دائم البِشر، سهل الخُلُق ليس بفظ ولا غليظ ، حسَن السلوك ،يجيد آداب الصحبة ، «يستمع لزوجاته،وأبناءه ،وأحفاده وأعداءه،وحتى للحيوان، ويستمع للمجنون، وللطفل ، وللعجوز» [٧٣]

«وكان يملك –بعد توفيق الله - من بُعد النظر والقدرة على قراءة الأحداث ، واستنباط النتائج ما ساعده على حُسن التفاعل مع مشاعر الناس المختلفة ، والفوز بقلوبهم قبل عقولهم ،كما ساعدته لمساته الإنسانية الساحرة، و جاذبية شخصيته،ولطف معاشرته للناس ،على أن يكسب قلوب أعداءه قبل أصحابه...لقد كان معروفاً بين الناس بحُسن أخلاقه، وكان للجميع كالأب الحنون...وهو الذي لم يرَ أبيه !!!

لقد كان محمد صلى الله عليه وسلم وسيظل أبداً، خير قدوة للبشر في فنون الحب وحسن التعامل مع الآخرين ،

كما يمكننا أن نتعلم منه - في عصرنا الحاضر الذي يتصف بالعولمة - فن العلاقات

٧٢ عباس محمود العقاد . عبقرية محمد ، ص٥-٦، بتصرف يسير

٧٣ جاسم محمد المطوع . زوجات النبي صلى الله عليه وسلم في واقعنا المعاصر .- ص٣٣١.

الإنسانية السليمة «[٧٤]

* فقد كان – صلى الله عليه وسلم – «إذا مشى مع صحابه يجعلهم أمامه فلا يتقدمهم،ويبدأ من لَقيه بالسلام،وكان إذا تكلم يتكلم بجوامع الكلم،كلامه فصل ، لا فضول ولا تقصير،أي على قدر الحاجة.

*وكان يقول:»من حُسن إسلام المرء تركُه ما لا يَعنيه»سنن الترمذي ، وكان يقول:» من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليَقُل خيراً أو ليصمت»صحيح البخاري.

*وكان طويل السكوت ، دائم الفِكر،دمث الخُلُق،ليس بالجافي ولا المُهين،يعظِّم النعمة وإن قلّت، لا تُغضبه الدنيا وما كان لها،فإذا تعرض للحق لم يعرفه أحد.

*وكان لا ينتصر لنفسه أبداً، و إذا غضب أعرض وأشاح ،وإذا فرح غض طرفه،كل ضحكه التبسم.

*وكان يشارك أصحابه في مباح أحاديثهم إذا ذكروا الدنيا ذكرها معهم،وإذا ذكروا طعاماً أو شراباً ذكره معهم ، وكان لا يعيب طعاما يقدم إليه أبداً، وإنما إذا أعجبه أكل منه وإن لم يعجبه تركه... وسُئل –صلى الله عليه وسلم عن البِر فقال»حُسن الخُلُق»صحيح مسلم

*وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم يقبل بوجهه وحديثه على أشر القوم يتألفهم بذلك - رواه الطبراني والترمذي

*وكان صلى الله عليه وسلم «يحرص أشد الحرص على أن يسود الود والألفة بين المسلمين، فكان يوصيهم- فيما يوصيهم- بقوله: إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر. حتى تختلطوا بالناس. من أجل أن ذلك يُحزنه»رواه مسلم

٧٤ no snoitcefleR milsuM :tehporP a erofeB gnieB namuH A. M deyaS-lE ,nimA

:morf elbaliava, retcarahC s‹dammahuM
oZ=emanegap&٥٤٦٢٠٨٩٤٦٤٨١١=dic&C_elcitrA=c?etilletaS/telvres/moc.malsignidaer.www//:ptth
بتصرفtuoyaLEIDF٢٠٪malsI_revocsiD-hsilgnE-en

و قوله:»لا يقيم الرجل رجلاً من مجلسه ثم يجلس فيه»رواه البخاري عن عبد الله بن عمر

وقوله :»إذا قام أحدكم». وفي حديث أبي عوانة »»من قام من مجلسه ثم رجع إليه، فهو أحق به » رواه مسلم

وقوله:»لا يحل لرجل أن يجلس بين اثنين إلا بإذنهما»حديث حسن رواه أبو داود

وقوله :» يُسلِّم الصغير على الكبير ، والمار على القاعد، والراكب على الماشي، والقليل على الكثير»رواه البخاري ومسلم والترمذي

*ويحدثنا «كلوة بن الحنبل» فيقول:» بعثني صفوان بن أمية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهَدِيّة فدخلت عليه ، ولم استأذن ولم أسلم ، فقال لي الرسول:»إرجع فقل:» السلام عليكم ،أأدخل؟» [٧٥]

*ثم يتجلى سمو خُلُقه وحسن أدبه في حفاظه الشديد على كرامة الكائن البشري -الذي كرّمه المولى سبحانه- ومراعاته الذكية لمشاعر الناس وأحاسيسهم،ومما يدل على ذلك :أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يواجه أحداً بأخطاءه وإنما كان يقول:

« ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا ..» تاركاً الفاعل الحقيقي يحس بذنبه ويعرف خطأه دون أن يعرف الآخرون عنه شيئا.

*ويحكي « معاوية بن الحكم قائلاً : «بينما أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم فقلت: (يرحمك الله) فرماني القوم بأبصارهم.
فقلت: واثكل أمياه،ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون أفخاذهم.
فلما رأيت أنهم يصمتونني سكت».

٧٥ أبو بكر جابر الجزائري.هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب.- ص ٩٣٣

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه... فو الله ما قهرني ولا ضربني ولا شتمني وإنما قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس... إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن..!») رواه مسلم[٧٦]

*وكان صلوات الله وسلامه عليه يحرص على أن يظل صدره سليما نحو أصحابه ، فعن بن مسعود ،قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يُبلِّغني أحدٌ منكم عن أحد من أصحابي شيئاً ، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر « رواه أحمد

*ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة دعاه أبو أيوب الأنصاري للإقامة ببيته ،وكان منزلاً يتكون من طابقين ، فطلب أبو أيوب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يقيم في الطابق العلوي ، فلما سأله عن السبب قال : « يا رسول الله إنا لا تقدر ولا نطيق أن تكون أقدامنا فوقك ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم اعتذر منه بذوقٍ راقٍ ، وبيّن له أنه صلى الله عليه وسلم يتوقع زيارة الكثير من الناس له،ومن ثم فهو لا يحب أن يمروا على زوجة أبي أيوب ويكشفوا عورات البيت ، وأقام في الطابق السفلي ...وكانوا يشاركونه صلى الله عليه وسلم في الطعام حيناً ، ويقدمونه له بمفرده حيناً آخر حتى إذا فرغ منه تتبعوا أثر أصابعه ليتبركوا بها، وفي إحدى الأيام عاد صحن الرسول صلى الله عليه وسلم كما كان ،لم تمسسه أصابعه الشريفة ، فسأله أبو أيوب :» لمَ لَم تأكل يا رسول الله ألم يعجبك الطعام ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « لا ولكن الطعام فيه ثوم ،وأنا رجل أناجي ربي ويأتيني الملَك ، فلا أحب أن أؤذيه برائحة فمي» [٧٧]
*وكان صلوات الله وسلامه عليه يتخير في خطابه ويختار لأمته أحسن الألفاظ وأجملها ، وألطفها ، وأبعدها من ألفاظ أهل الجفاء والغلظة والفحش فلم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا ولا فظا .

*وكان يكره أن يستعمل اللفظ الشريف المصون في حق من ليس كذلك ،وأن يستعمل اللفظ المهين المكروه في حق من ليس من أهله .[٧٨]

٧٦ مقالة منشورة في باب:» لطائف» ؛ على موقع فور إسلام

٧٧ عمرو خالد .في ظلال السيرة النبوية : على خطى الحبيب، ص ٦٢١، بتصرف يسير

٧٨ mth.٦٩٠٢daz=f?psa.yalpsid/moc.malsi-la.haris//:ptth

*ومن تآلفه للأصحاب و الأتباع انه ما جلس إليه أحد إلا ظن أنه أقرب الناس إلى نفسه.

*و كان صلى الله عليه وسلم يقول إذا أذاع أمراً: ليبلِّغ الشاهد الغائب كما كان يوصى بأن يحمل إليه أمر من لا يستطيع رفع حاجته.فيقول :» أبلغونى حاجه من لا يستطيع إبلاغى حاجته، فانه من أبلغ سلطانا حاجه من لا يستطيع إبلاغها إياه ثبت الله قدمه يوم القيامه» .[٧٩]رواه البيهقي عن هند ابن أبي هالة ، المصدر: دلائل النبوة .

*وكان يقابل الناس ببشاشة ، ولا ينزع يده حتى يكون الآخَر هو الذي ينزعها ، ولا ينصرف حتى يكون محدثه هو المنصرف و إذا أشار إلى أخطاء الناس لم يذكرهم.

*وكان مَن جالسه أو قاومه في حاجة صابره حتى يكون هو المتصرف ومن هنا أوتى من القدرة ما تقصر عنه قوى الأفراد وتعجز عنه طاقاتهم ، ذلك مصدر الامتياز الإنسانى والاصطفاء الربانى.

*ولقد كانت قريش على خصومتها له تهاب فيه هذا الإشعاع الروحي وتخشاه فقد كانت تعرف من استكناهها لطبيعة امتيازه عليها بالعفاف والوفاء والصدق والأمانة.

*ولقد عقد له « لواء الزعامة والقيادة « بالفقر والتواضع لا بالمال والثراء فكان يعود المريض ويقبل دعوة العبد ، ويدعو أصحابه بأحب الأسماء اليهم . ويخفض جناحه للمسلمين وهو سهل في أخذه وعطائه . وكان الأعرابي يدخل فيناديه باسمه مجرداً فيحلم عليه ويعطف ، وبلغ من بساطته أن يدخل عليه الداخل فلا يعرفه فيسأل أيُكم النبي .[٨٠]

*وروي عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم ،

---

٧٩ أنور الجندي . أقباس من السيرة العطرة، ص٦٥

٨٠ المصدر السابق، ص ٨٦

فلما رآه قال بئس أخو العشيرة و بئس ابن العشيرة، فلما جلس تطلق النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة :يا رسول الله ، حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:» يا عائشة متى عهدتِني فحاشًا، إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس- أو ودعه الناس- اتقاء شره « رواه البخاري

*وقالت عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن رجل شيء لم يقل له قلت كذا وكذا، بل قال ما بال أقوام يقولون كذا وكذا «رواه أبو داود، وأخرجه النسائي بمعناه، وهو صحيح

أدبه و أخلاقه في شتى الجوانب _ صدقه صلى الله عليه وسلم

أ- صِدقه صلى الله عليه وسلم :

كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين قبل البعثة ، ظل هكذا بعدها وحتى آخر لحظة من حياته ، ولقد شهد له بذلك الجميع ؛ قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه :» لَمّا قَدِمَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النّاسُ إِلَيْهِ وَقِيلَ قَدِمَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم قَدِمَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم قَدِمَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم فَجِئْتُ فِي النّاسِ لأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَلَمّا اسْتَثْبَتُّ وَجْهَ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم عَرَفْتُ أَنّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذّابٍ «. رواه الترمذي

قَالَ الْإِمَام أَحْمَد رَحِمَهُ اللَّه حَدَّثَنَا عَبْد اللَّه بْن نُمَيْر عَنْ الْأَعْمَش عَنْ عَمْرو بْن مُرَّة عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ اِبْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ : لَمَّا أَنْزَلَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتك الْأَقْرَبِينَ» أَتَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّفَا فَصَعِدَ عَلَيْهِ ثُمَّ نَادَى « يَا صَبَاحَاهُ « فَاجْتَمَعَ النَّاس إِلَيْهِ بَيْن رَجُل يَجِيء إِلَيْهِ وَبَيْن رَجُل يَبْعَث رَسُوله فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَا بَنِي عَبْد الْمُطَّلِب ; يَا بَنِي فِهْر ; يَا بَنِي لُؤَيّ أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَل تُرِيد أَنْ تُغِير عَلَيْكُمْ صَدَّقْتُمُونِي ؟ « قَالُوا نَعَمْ قَالَ « فَإِنِّي نَذِير لَكُمْ بَيْن يَدَيْ عَذَاب شَدِيد «

فَقَالَ أَبُو لَهَب تَبًّا لَك سَائِر الْيَوْم أَمَا دَعَوْتنَا إِلَّا لِهَذَا ؟ وَأَنْزَلَ اللَّه « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَب وَتَبَّ «َرَوَاهُ الْبُخَارِيّ وَمُسْلِم وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ

وعن ابن عمر رضي الله عنهم ، قال:» كان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول إلا حقاً».

أما الكاتب المستشرق الإنجليزي (هـ جي ويلز) :

«إن من أرفع الأدلة على صدق محمد كون أهله وأقرب الناس إليه يؤمنون به، فقد كانوا مطلعين على أسراره، ولو شكوا في صدقه لما آمنوا به. .»[٨١]

٨١ خُلُق الصدق، متاح على :
mth.٠٠١laqm/rasna/moc.taiemalsi//:ptth

ب- أمانته صلى الله عليه وسلم :

كان صلى الله عليه وسلم أكثر أمين في مكة ، لذا فقد وثقت قريش بأمانته ، فلم يخنهم حتى مع العداوة؛ وكانت أعظم أماناته تبليغ الرسالة .

كما كان من حرصه على الالتزام بهذا الخُلُق العظيم يكثر من الدعاء: ((اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم)) ولما سُئل عن سبب إكثاره من هذا الدعاء، قال: ((إن المرء اذا استدان حدث فكذب، ووعد فأخلف)) [٨٢]

وكان عليه الصلاة والسلام يقول: ((مُطل الغني ظلم)) أي من أخّر مما عليه وهو قادر على رده فهو البغيض الظلوم الممقوت المُلام.»[٢٨٣]

كما كان من دعائه صلى الله عليه وسلم التعوذ من الخيانة ويقول عناه إنها بئست البطانة [٨٤]

٨٢ mth.tb/fer/moc.snoitcastraeh.www//:ptth

٨٣ محمد بو سنة . الأمانة ، متاح في:
٤٨٤٢=LRUaidem?psa.aabtuhk/batuhkla/ten.rabnimla.www//:ptth

٨٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان صلى الله عليه و سلم يقول اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة» حديث حسن صححه الألباني

ج- كرمه صلى الله عليه وسلم :

«كان الكرم المحمدي مضرب الأمثال،فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرد سائلاً وهو يجد ما يعطيه،فقد سأله رجل حُلة كان يلبسها،فدخل بيته فخلعها ،ثم خرج بها في يده وأعطاها إياه،وسأله رجل فأعطاه غنماً بين جبلين،فلم يكن الرجل مصدقاً ،فأسرع بها وهو ينظر خلفه خشية أن يرجع النبي الكريم في قوله،ثم ذهب إلى قومه فقال لهم:» يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر!»... وحسبنا في الاستدلال على كرمه صلى الله عليه وسلم حديث بن عباس الذي رواه البخاري :»قال بن عباس حين سئل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:» كان رسول الله أجود الناس وكان أجود ما يكون في شهر رمضان،حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن ،فكان صلى الله عليه وسل أجود من الريح المُرسلة» .

وفيما يلي بعض الأمثلة العجيبة على جوده وكرمه صلى الله عليه وسلم:

*أعطى الرسول الكريم العباس رضي الله تعالى عنه من الذهب ما لم يُطِق حمله.

**وأعطى معوذ بن عفراء ملء كفيه حُليا وذهباً لما جاءه بهدية من رُطب وقِثّاء.

***جاءه رجل فسأله، فقال له ما عندي شيء ولكن إبتع عليّ فإذا جاءنا شيء قضيناه»!![٨٥] رواه عمر بن الخطاب، المحدِّث: العراقي، المصدر: تخريج الأحياء

و روى مسلم : وما سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ، فقال لا !!!

فقد كان أحسن الناس معاملة . وكان إذا استسلف سلفا قضى خيرا منه . وكان إذا استسلف من رجل سلفا قضاه إياه ودعا له فقال : بارك الله لك في أهلك ومالك إنما جزاء السلف الحمد والأداء

٨٥ أبو بكر الجزائري.هذا الحبيب محمد ،ص٤٣-١٤٣

د- عفوه صلى الله عليه وسلم عند المقدرة :

لقد أوتى صلوات الله وسلامه عليه العفو عند المقدرة ، فقد عفا عن أهل مكة بعد قدرته عليهم؛ وصفح عن اضطهاد ثلاثة عشر عاماً؛ وعفا عن أهل الطائف بعد أن ردوه رداً غير جميل ،وأعاد سبايا هوازن وكانت ستة آلاف ،و تأليف قلوب بعض المسلمين بأضخم قدر من الهبة في أول غزوة بعد فتح مكة [٨٦]

هـ- صبره صلى الله عليه وسلم :

كان الصبر هو خُلق محمد صلى الله عليه وسلم،فقد صبر وصابر طيلة عهد إبلاغ رسالته الذي دام ثلاثاً وعشرين سنة،فلم يجزع يوماً، ولم يتخلّ عن دعوته وإبلاغ رسالته حتى بلغ بها الآفاق التي شاء الله تعالى أن تبلغها،وباستعراض المواقف التالية تتجلى لنا حقيقة الصبر المحمدي الذي هو فيه أسوة كل مؤمن ومؤمنة في معترك الحياة:

صبره صلى الله عليه وسلم على أذى قريش طوال فترة بقاءه بينهم بمكة ،فقد ضربوه وألقوا روث الجزور على ظهره ، وسبوه واتهموه بالجنون مرة وبأنه ساحر مرة ،وبأنه كاهن مرة، وبأنه شاعر مرة ،وعذبوا أصحابه وحاصروه معهم ثلاث سنوات مع بني هاشم في شعب أبي طالب، وحكموا عليه بالإعدام وبعثوا رجالهم لتنفيذ الحكم إلا أن الله عز وجل سلّمه وعصم دمه.[٨٧]

كما احتمل مساءة قريش طويلا. ودعا إلى الله فلم يسلم له في ثلاث سنوات إلا أربعين رجلاً،لم يعتمد في دعوته ولا في زعامته على الخوارق أو الظواهر الغيبية، فلما كسفت الشمس عند موت ولده إبراهيم قال أنها من آيات الله و لا تنكسف لموت أحد و لا لحياته.[٨٨]

وصبره على الجهلاء، فقد أخبرنا أبو يعلي ، حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا محمد بن خازم ، حدثنا العمش ، عن شفيق ، عن عبد الله ، قال : « قسم لنا رسول الله صلى

٨٦ أنور الجندي. أقباس من السيرة العطرة،ص٤٥

٨٧ خالد محمد خالد.إنسانيات محمد،ص١

٨٨ أنور الجندي.أقباس من السيرة العطرة .، ص٥٥

الله عليه وسلم قَسماً فقال رجل من الأنصار : إن هذه القسمة ما أُريد بها وجه الله ، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمرّ وجهه وقال :رحمةُ الله على موسى ، قد أوذيَ بأكثر من هذا فصبر»(صحيح أخرجه أحمد)[٨٩]

و صبره صلى الله عليه وسلم عام الحزن حين ماتت خديجة الزوجة الحنون التي صدّقته حين كذبه الناس، وآوته حين طرده الناس، وأعطته حين حرمه الناس، وواسته حين اتهمه الناس...وصبره حين مات العم الحاني الحامي المدافع عنه ،فلم توهن هذه البلايا من قدرته وقابل ذلك بصبر لم يعرف له في تاريخ الأبطال مثيل و لا نظير.

كما صبر صلى الله عليه وسلم على الجوع الشديد،فقد مات صلى الله عليه وسلم ولم يشبع من خبز الشعير مرتين في يوم واحد قط!!!وهو الذي لو أراد أن يملك الدنيا لملكها ولكنه آثر الآخرة ونعيمها؛ ومن امثلة ذلك موقفه في غزو ة الخندق حين كان الصحابي يربطعلى بطنه الحجر من الجوع، وكان صلى الله عليه وسلم يربط على بطنه الشريفة الحجرينمنشدة الجوع.

وصبر صلى الله عليه وسلم في وفاة إبنه إبراهيم الذي رزقه الله تعالى به وهوفي الستين من عمره من مارية القبطية،فما فعل إلا أن رضي بقضاء ربه وقال: «إن ا لعين لتدمع وإن القلب ليحزن ، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون»

وصبره أيضاً صلى الله عليه وسلم على وفاة جميع أبناءه في حياته ما عدا فاطمة- رضي الله عنها- التي ماتت بعده بستة أشهر.

وصبره في كافة حروبه في بدر وفي أُحد وفي الخندق وفي الفتح وفي حنين وفي الطائف حين حاربته البلدة كلها ،وفي تبوك فلم يجبن ولم ينهزم ولم يفشل ولم يمل، حتى خاض حروبا عدة وقاد سرايا عديدة ،فقد عاش من غزوة إلى أخرى طيلة عشر سنوات !!![٩٠]

٨٩ عصام الدين سيد الصبابطي.- القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩١، ص ٧٤

٩٠ خالد محمد خالد.إنسانيات محمد،ص٥١

فأي صبر أعظم من هذا الصبر؟!!

و- رحمته صلى الله عليه وسلم :

كان صلى الله عليه وسلم يرحم الناس»رحمة الأقوياء الباذلين وليست رحمة الضعفاء البائسين،وكان يمارسها ممارسة مؤمن بها، متمضخ بعطرها، مخلوق من عجينتها»[٩١] حتى أن ربه قال عن رحمته صلى الله عليه وسلم لسائر الخلق»وما أرسلناكَ إلا رحمةً للعالمين»الأنبياء-٧٠١،وقال عن رحمته للمؤمنين خاصة:» بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم» التوبة-٨٢١

أولاً: رحمته بالضعفاء

ومنهم الأطفال و النساء الشيوخ والمرضى والخدم :

لقد كان صلى الله عليه وسلم يوصي بالضعفاء رحمة بهم فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إذا أمّ أحدكم الناس فليخفف، فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض وذا الحاجة، وإذا صلى لنفسه فليطوِّل ما شاء» رواه مالك والجماعة لابن ماجة لكنه رواه عن حديث عثمان بن أبي العاص، مع اختلاف في الألفاظ

كما كان صلوات الله وسلامه عليه بالأطفال رفيقا عطوفاً حليما، ولعل كتب السيرة تزخر بمواقفه صلى الله عليه وسلم مع الأطفال، وحبه لهم، ورحمته بهم،واحترامه لهم،وملاطفته ومداعبته إياهم...وهي مواقف كثيرة فيما يلي نذكر بعضها:

أ- موقفه مع حفيديه الحسن والحسين

حيث كان صلى الله عليه وسلم يحبهما ويلاعبهما ويحنو عليهما،وفيما يلي بعض المواقف لهما مع خير جد [٩٢]:

---

٩١ المصدر السابق، ص ٦٢١-٧٢١

٩٢ خالد محمد خالد . إنسانيات محمد،القاهرة، دار المعارف،٨٩٩١، ٨٣٣.- ص ص٦١-٣٣ ،

*»عن عبد الله بن شداد رضي الله عنه قال:»خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسناً أو حسيناً،فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم،فوضعه ثم كبّر للصلاة فصلى،فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها،قال أبي فرفعت رأسي وإذا الصبي على ظهر الرسول الكريم،وهو ساجد،فرجعت إلى سجودي؛ فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة،قال الناس:» يا رسول الله إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يُوحى إليك،فقال :»كل ذلك لم يكن،ولكن ابني ارتحلني ،فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته»!!!

*عن عبد الله بن بريدة،عن أبيه،قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران،فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما،ووضعهما بين يديه،ثم قال: «صدق الله «إنما أموالُكم وأولادُكم فتنة»،فنظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران ،فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»

*روى البخاري أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: «قبّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده «الأقرع بن حابس التميمي «جالس، فقال الأقرع:»إن لي عشرة من الولد، ما قبّلت منهم أحداً»،فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ثم قال: «مَن لا يَرحم لا يُرحم»، وروت عائشة رضي الله عنها أن أعرابي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: «أتقبِّلون صبيانكم؟! فما نقبِّلهم»،فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:»أو أملِك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟»

* ومن تمام حبه لهما وحرصه على مصلحتهما أنه كان يؤدبهما بلطف مع بيان السبب ،فقد روي أبو هريرة قائلا: «أخذ الحسن بن علي رضي الله تمرة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:»كخ ،كخ، إرم بها،أما علمت أنّا لا نأكل الصدقة ؟»

ب- و رحمته بالأطفال

كما حدث مع أخٍ أصغر لأنس بن مالك،وكان يُدعى «أبا عمير»،

فعَنْ أَنَس بْنِ مَالِك رضي الله عنه قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللّه أَحْسَنَ النّاس خُلُقاً. وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْر. قَالَ: أَحْسِبُهُ قَالَ: كَانَ فَطِيماً. قَالَ: فَكَانَ إِذَا جَاءَ رَسُولُ اللّهِ فَرَآهُ قَالَ: «أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟»[٩٣] قَالَ: فَكَانَ يَلْعَبُ بِهِ)) وفي يوم من الأيام رأى النبي صلى الله عليه وسلم عميراً يبكي فقال : « ما يبكيك يا عمير ؟ « فقال : يا رسول الله لقد مات النغير . فجلس النبي صلى الله عليه وسلم ساعة يلاعبه ، فمر الصحابة فوجدوا النبي يلاعب عميراً ، فنظر إليهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال : « مات النغير فأردت أن ألاعب العمير» رواه البخاري

ورحمته صلى الله عليه وسلم باليتيم

، فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه» رواه ابن ماجة

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من عال ثلاثة من الأيتام كان كمن قام ليله وصام نهاره وغدا وراح شاهراً سيفه في سبيل الله وكنت أنا وهو في الجنة أخوين كهاتين أختان» وألصق إصبعيه السبابة والوسطى ، رواه ابن ماجة ..

وعن أبي هريرة رضي الله عنه « أن رجلاً شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه فقال له : « إن أردت تلين قلبك، فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم » رواه الحاكم في المستدرك ..

وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « من مسح رأس يتيم أو يتيمة لم يمسحه إلا لله ، كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنات ، ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده ، كنت أنا وهو في الجنة كهاتين ، وقرن بين أصبعيه » رواه أحمد وقال حديث غريب ..

---

٩٣ النغير هو العصفور الصغير

ج- رحمته صلى الله عليه وسلم لبكاء الصبي في الصلاة

حتى أنه كان يخففها،فعن أنس رضي الله عنه قال:» ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة، ولا أتم من النبي صلى الله عليه وسلم،وإن كان ليسمع بكاء الصبي ،فيخفف عنه مخافة أن تُفتن أمه»، ويؤكد الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك بنفسه،فيقول-كما روى أبو قتادة-:(إني لأقومُ في الصلاةِ أُريدُ أن أطوِّلَ فيها، فأَسمعُ بكاءَ الصبيِّ فأَتجوّزُ في صلاتي كراهِيةَ أن أشُقّ على أُمِّهِ) رواه البخاري «[٩٤]

هـــ - اصطحابه صلى الله عليه وسلم الأطفال للصلاة

و مسحه خدودهم ، رحمة وإعجاباً وتشجيعاً لهم، فعن جابر بن أبي سمرة رضي الله عنه قال:»صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الأولى- أي الظهر- ثم خرج إلى أهله وخرجت معه فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدّي أحدهم واحداً واحداً، قال: «وأما أنا فمسح خدي فوجدت ليده برداً أو ريحاً كأنما أخرجها صلى الله عليه وسلم من جونة عطار»!! [٩٥]

و-إعطاؤه صلى الله عليه وسلم الهدايا للأطفال

فقد روى مسلم عن أبي هريرة قال:» كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا أخذه قال:» اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مُدِّنا»، ثم يدعو أصغر وليد يراه فيعطيه ذلك الثمر!!!

ز- صلاته صلى الله عليه وسلم وهو يحملهم، فقد ثبت في الصحيحين عن «قتادة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي وهو حامل أُمامة بنت زينب بنت رسول الله ،وهي لأبي العاص بن الربيع، فإذا قام حملها، وإذا سجد وضعها، فلما سلّم حملها .

٩٤ لمصدر السابق ،ص ٧٥

٩٥ محمد سعيد مرسي. فن تربية الأولاد في الإسلام،القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية،١٩٩٨- ص ٨٤

ح - إحترامه-صلى الله عليه و سلم- للأطفال

، ودعوته لعدم الكذب عليهم، فقد كان(الصغار يحضرون مجالس العلم والذكر معه، حتى كان أحد الغلمان ذات يوم يجلس عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم،وعلى يساره الأشياخ، فلما أتى النبي بشراب شرب منه ،ثم قال للغلام: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ فقال الغلام:» لا يا رسول الله ، لا أوثر بنصيبي منك أحداً، فأعطاه له النبي صلى الله عليه وسلم)!![٩٦]

وعن عبد الله بن عامر رضي الله عنه،قال:»دعتني أمي ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا فقالت ها تعال أعطك «،فقال لها صلى الله عليه وسلم: «ما أردتِ أن تعطيه؟» قالت «أعطيه تمرا» ، فقال لها أما أنك لو لم تعطِه شيئا كُتبت عليك كذبة»

وعن أنس رضي الله عنه قال إن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله فتنطلق به حيث شاءت - رواه البخاري

وعن انس رضي الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم يمر بالصبيان فيسلم عليهم - رواه البخاري واللفظ له ومسلم

ح- وصيته صلى الله عليه وسلم بالبنات

-حيث كان العرب يئدونهن في الجاهلية- قائلاً:» من كان له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن، وضرائهن،وسرائهن دخل الجنة» فقال رجل :»و ثنتان يا رسول الله؟» قال:» و ثنتان»،فقال آخر:» وواحدة؟» قال: «وواحدة»[٩٧]

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ولدت له ابنة فلم يئدها ، ولم يهنها ، ولم يؤثر ولده عليها ـ يعني الذكر ـ أدخله الله بها الجنة » مسند الإمام أحمد

٩٦ المصدر السابق، ص٩٥

٩٧ المصدر السابق-ص٧٣

ز- رحمته صلى الله عليه وسلم بخادمه «أنس بن مالكٍ»

«أنس بن مالك» رضي الله عنه، حيث كان يناديه ب»يا بُني» أو» يا أُنيس»- وهي صيغة تصغير للتدليل- يقول أنس:» خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين،والله ما قال لي أف، ولا لِم صنعت ؟ ولا ألا صنعت؟»[٩٨]

وقَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه : كَانَ رَسُولُ اللّه مِنْ أَحْسَنِ النّاسِ خُلُقاً. فَأَرْسَلَنِي يَوْماً لِحَاجَة فَقُلْتُ : وَاللّهِ لاَ أَذْهَبُ. وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِه نَبِيُّ اللّه . فَخَرَجْتُ حَتّى أَمُرّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السّوقِ. فَإِذَا رَسُولُ اللّه قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي. قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ. فَقَالَ: « يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ ؟ » قُلْتُ: نَعَمْ. أَنَا أَذْهَبُ ، يَا رَسُولَ اللّهِ « رواه مسلم

رحمته صلى الله عليه وسلم بالنساء :

عن أنس رضي الله عنه قال : رأى النبي صلى الله عليه وسلم النساء والصبيان مُقبلين قال : حسبت أنّهُ قال : من عُرسٍ ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم مُمثِلاً فقال : «اللهم أنتُم مِن أَحبِّ النّاس إِليّ» قالها ثلاث مرار « رواه البخاري ، ولولا هذا الحب منه صلى الله عليه وسلم لما أكثر من توصيته بهم ولما رفع من قدرها بعد أن كانت ضعيفة وليس لها حق في الجاهلية ، فكان هذا مناسباً أن تجد المرأة مكاناً عظيماً في قلب الحبيب صلى الله عليه وسلم و يا له من شرف كبير تميزن به .

شبه الرسول صلى الله عليه وسلم النساء بالقوارير، إشارة إلى ما فيهن من الصفاء والنعومة والرقة، وإلى ضعفهن وقلة تحملهن؛ ولذا فإنهن يحتجن إلى الرفق، ففي مرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وكانت معه نساء منهن أم سليم، وغلام أسود يقال له أنجشة يحدو (أي ينشد والإبل تتراقص وكان ذلك يؤذي النساء)، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أنجشة رويدك، رفقا بالقوارير» رواه البخاري [٩٩]

« إستوصوا بالنساء خيرا فإنهن خُلقن من ضلع أعوج وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبتَ تقيمه كسرته، فاستوصوا بالنساء خيراً» ؛(فنجد آخر كلماته صلى الله

٩٨ المصدر السابق،ص٩٦

٩٩ http://www.habibona.com/index.php?option=com_content&task=view&id=١٢&Itemid=٧٤

عليه وسلم حين حضرته الوفاة:» الصلاة، وما ملكت أيمانكم،حتى جعل يغرغر بها صدره وما يكاد يفيض بها لسانه!!![١٠٠]وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أبوك « رواه البخاري .

ويوصي بالنساء قائلاً:

و أخرج أبو يعلى ما رواه أبو هريرة رفعه : «أنا أول من يفتح باب الجنة ، فإذا امرأة تبادرني فأقول : من أنت ؟ فتقول : أنا امرأة تأيمت على أيتام لي» (أي قعدَت على تربية أولادها بعد وفاة أبيهم ولم تتزوج)

وكان لا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي لهما الحاجة وقال عنهم في حديث أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم : «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ، أو القائم الليل ، الصائم النهار» رواه البخاري .

والساعي هو الذي يذهب ويجيء في تحصيل ما ينفع الأرملة والمسكين من معونة ونفقة ، والأرملة بالراء المهملة التي لا زوج لها سواء كانت تزوجت أم لا، وقيل هي التي فارقت زوجها، قال ابن قتيبة: سميت أرملة لما يحصل لها من الإرمال وهو الفقر وذهاب الزاد بفقد الزوج ، يقال أرمل الرجل إذا فني زاده ، والمسكين هو من لا شيء له، وقيل من له بعض الشيء .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره ، واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً» رواه البخاري ، فجعل هنا من أساس الإيمان بالله واليوم الآخر وسبباً رئيساً له أن لا تؤذي جارك بأي شئ كان سواء بالقول والسب والشتم ، أو بالفعل بوضع الأذى أمام بيته أو بتسليط أبناءك يؤذون أبناءه أو بإزعاجه في نومه أو غير

---

١٠٠ أبو الحسن الندوي- سيرة خاتم النبيين للأطفال، القاهرة- دار الكلمة٨٩٩١

ذلك ، وتحسن إليه إلى أبعد الحدود وتترفق به .. والجار هنا ليس فقط الذي يفصل بينك وبينه جدار واحد إنما قال العلماء فيه أنه قد يصل إلى أربعين بيتاً من كل جهة ، وإذا كان هذا الجار قريباً لك فإن له حقان : حق الرحم وحق الجار وقال في رسول الله : « مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورِّثُه « ، وحتى وإن كان يهودياً فلا يسقط عنه حق الجار فإنه قد كان لرسول الله جاراً يهودياً وكان هذا الجار يؤذيه كثيراً وفي يوم من الأيام استفقد أذاه فلم يجده فلما ذهب إليه وجده مريضاً وعاده .. وكان هذا سبباً في إسلام الجار اليهودي.

وبعد هذا العرض لأهمية حق الجار قرن معه حق النساء ووصى بهن ليُظهر عظم حقهن أيضاً فالمرأة هي الأم والأخت والخالة والعمة والجدة والبنت والحفيدة، فالنساء خلقن من أصل معوج ، وهي عوجاء مثل الضلع لكون أصلها منه .. فعلى الرجل أن يتركها على اعوجاجها في الأمور المباحة ، ويعمل على مداراتها لاستمالة النفوس وتألف القلوب، ويأخذ العفو منهن والصبر على عوجهن، وأن من رام تقويمهن فإنه الانتفاع بهن مع أنه لا غنى للإنسان عن امرأة يسكن إليها ويستعين بها على معاشه ، فكأنه قال: الاستمتاع بها لا يتم إلا بالصبر عليها.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيرٍ له ، فحدا الحادِي[١٠١] فقال النّبيُّ صلى الله عليه وسلم : «ارْفقْ يا أَنجَشهُ ، ويحكَ بِالقَوَارِير»[١٠٢] رواه البخاري .

عن سعدَ بنَ أبي وقاص قال : « استأذنَ عمرُ على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وعندَهُ نساءٌ من قُريشٍ يُكلّمنَهُ ويَستكثرنَهُ عاليةً أصواتهنّ ، فلما استأذنَ عمرُ قمنَ يبتَدرْنَ الحجابَ ، فأذنَ له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ورسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يضحكُ ، فقال عمرُ: أضحَكَ اللهُ سِنّكَ يارسولَ الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «عَجِبتُ من هؤُلاءِ اللاتي كنّ عِندي ، فلما سمِعنَ صوتكَ ابتدَرنَ الحجابَ» قال عمرُ: فأنتَ يا رسولَ اللهِ كنتَ أحقّ أن يَهبْنَ ، ثم قال : أي عدوّات أنفُسِهنّ ، أتهبنَنَي ولا تَهبنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلنَ: نعم، أنت أفظّ وأغلظُ من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم. قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم

١٠١ الحادي : هو الذي يتغنى للإبل في السفر الطويل حتى يحفزها على السرعة في السي

١٠٢ القوارير :النساء، وسميت النساء بالقوارير لرقتهن .

:«والذي نفسي بيدِهِ، ما لِقَيَكَ الشيطانُ قطُّ سالكاً فجّاً إلاّ سَلكَ فجّاً غيرَ فجك» رواه البخاري

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : «ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا بيده قط ، ولا امرأة ، ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل من شئ قط ، فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيئا من محارم الله ، فينتقم لله» رواه ابن حبان في صحيحه

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : «يا عائشة أرفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيراً دلهم على باب الرفق» وفي رواية :

« إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق « رواه أحمد و المنذري وقال رواتهما رواة الصحيح .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنّهُ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نساء قريشٍ خيرُ نساءٍ ركِبنَ الإبل : أحناهُ على طِفلٍ ، وأرعاهُ على زوجٍ في ذات يدِه » رواه البخاري .

وعن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت : جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا. فَأَطْعَمْتُهَا ثَلاَثَ تَمَرَات. فَأَعْطَتْ كُل وَاحدَة منْهُمَا تَمْرَةً. وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لتَأْكُلُهَا. فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا. فَشَقّتِ التّمْرَةَ، الّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا، بَيْنَهُمَا. فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا. فَذَكَرْتُ الّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللّهِ . فَقَالَ: « إِنّ اللّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنّةَ. أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النّارِ » رواه مسلم

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني ، فلم تجد عندي غير تمرة واحدة ، فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته ، فقال : ((من يلي من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهن كن له ستراً من النار)) رواه البخاري

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: « قَدِمَ على النبيّ صلى الله عليه وسلم

سَبيٌ، فإذا امرأةٌ من السبي تحلب ثَديَها تَسقي ، إذا وَجدَت صَبيّاً في السبي أَخَذَته فألصَقَتْه ببَطنها وأرضَعَتْه. فقال لنا النبيُّ صلى الله عليه وسلم: أتُرَونَ هذهِ طارحةً وَلدَها في النار؟ قلنا: لا، وهي تَقدِر على أن لا تَطرَحهُ. فقال: اللّهُ أرحمُ بعبادِه من هذهِ بولَدِها» رواه البخاري

أما ما قاله الغربيون في هذا الصدد ، فنذكر منه ما قالته «مدام بيرون رئيسة الدفاع عن حقوق المرأة في باريس: أن محمد لم يكن عدوا للمرأة مما يظهر من أقوال بعض الناس – تريد الأوروبيين- الذين أساءوا فهم روح التشريع الذي جاء به فينبغي أن نتصور الزمان الذي عاش فيه لنعرف قيمة إصلاحاته ..»[١٠٣]
رحمته- صلى الله عليه وسلم- بالحيوان،ومن الأمثلة على ذلك:

*قصته مع الجمل

الذي رآه صلى الله عليه وسلم حين دخل بستاناً لرجل من الأنصار،
عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال : ((ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلته وأردفني خلفه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تَبَرّز كان أحب ما تَبَرّز فيه هدف يستتر به أو حائش نخل ، فدخل حائطاً لرجل من الأنصار ، فإذا فيه ناضح[١٠٤] له ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حن وذرفت عيناه ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه وسراته ؛فسكن ، فقال : من رَبُّ هذا الجمل ؟ فجاء شاب من الأنصار فقال : أنا ، فقال : ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملّكَكَ الله إياها فإنه شكاك إليّ وزعم أنك تجيعه وتدئبه [١٠٥]، ثم ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحائط فقضى حاجته ، ثم توضأ ثم جاء والماء يقطر من لحيته على صدره ، فأسر إليّ شيئاً لا أحدث به أحداً فحرّجْنا عليه أن يحدّثنا ، فقال : لا أفشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم سره حتى ألقى الله » رواه أبو داود والإمام أحمد وقال شاكر: صحيح ..

١٠٣ محمد فهمي عبد ا لوهاب. محمد رسول الإسلام في نظر فلاسفة الغرب مشاهير علمائه وكتابه.-القاهرة : المجلس ا لأعلى للشئون الإسلامية ، ٥٧٩١.-ص ٤٤.

١٠٤ ناضح: جمل

١٠٥ تُدئبه: أي تُرهقه من كثرة العمل .

**وقصته مع الطيور وفراخها، والنمل :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((كُنّا مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم في سَفَرٍ فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِه فَرَأَيْنَا حُمّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتْ الْحُمّرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرُشُ جَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فقال: مَنْ فَجّعَ هذه بِوَلَدِهَا ؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إلَيْهَا ، وَرَأى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرّقْنَاهَا فقال : مَنْ حَرّقَ هذِهِ ؟ قُلْنَا: نَحْنُ ، قال: إنّهُ لاَ يَنْبَغِي أنْ يُعَذِّبَ بالنّارِ إلاّ رَبُّ النّارِ)) رواه أحمد ، وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح ..

***ووصيته بسائر الحيوانات :

فقد روى البخاري وغيره مرفوعاً : ((دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض)) ، وفي رواية له أيضاً : ((عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت ، لا هي أطعمتها وسقتها إذا هي حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض)) والخشاش بالمعجمتين والشينين المعجمتين : هو حشرات الأرض والعصافير ونحوهما..

كما أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفق في ذبح الحيوان والإحسان إليه في ذلك وقال لمن أضجع شاة وهو يحد شفرته : ((أتريد أن تميتها موتتين ؟ هلا حددت شفرتك قبل أن تضجعها ؟!)) رواه الطبراني في الكبير والأوسط والحاكم واللفظ له وقال صحيح على شرط البخاري ..

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه أنه قال: < ثنتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحدّ أحدكم شفرته وليرح ذبيحته> رواه مسلم ..

وقد حذر صلى الله عليه وسلم من اتخاذ الحيوان وكل ذي روح غرضاً ، أي هدفاً للرمي « روى الشيخان . عن الضحاك عن بن عباس قال : «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل كل ذي روح إلا أن يُؤذي»

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه دخل دَارَ الْحَكَمِ بْنِ أَيُّوبَ فرأى غلماناً نَصَبُوا دَجَاجَةً يَرْمُونَهَا. فَقَالَ أَنَسٌ: « نَهَى رَسُولُ اللّهِ أَنْ تُصْبَرَ الْبَهَائِم « رواه البخاري ..

وروى الحاكم وغيره : (أن رجلا قال يا رسول الله إني لأرحم الشاة أن أذبحها فقال له : إن رحمتها رحمك الله). يعني إذا ذبحتها فاذبحها وأنت راحم لها ..

وكان يأمر بالرفق حتى في قتل الحيوانات وذبحها ، قال صلى الله عليه وسلم : «إن الله محسن يحب الإحسان ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، و إذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، و ليحد أحدكم شفرته ، ثم ليرح ذبيحته»(صحيح الجامع)

وعَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَمْرو أَنّ رَسُولَ اللّه صلى الله عليه وسلم قَالَ: « مَا مِنْ إنْسَانٍ قَتَلَ عُصْفُورا فَمَا فَوْقَهَا بِغَيْرِ حَقّهَا إلاّ سَأَلَهُ اللّهُ عَزّ وَجَلّ عَنْهَا» قِيلَ : يَا رَسُولَ اللّهِ وَمَا حَقُّهَا ؟ قَالَ: « يَذْبَحُهَا فَيَأْكُلُهَا وَلاَ يَقْطَعُ رَأْسَهَا يَرْمِي بِهَا » رواه النسائي .

وكان صلى الله عليه وسلم ينهى عن إرهاق الحيوان بإيقافه وإطالة الجلوس عليه من غير ضرورة إلى ذلك وقد دخل على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل ، فقال صلى الله عليه وسلم : <اركبوها سالمة ودعوها سالمة ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق فرب مركوبة خير من راكبها وأكثر ذكراً لله منه > رواه الإمام أحمد .

كما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الضفدع وقال : ((لا تقتلوا الضفادع فإن نقيقها تسبيح ولا تقتلوا الخفاش فإنه لما خرب بيت المقدس قال يا رب سلطني على البحر حتى أغرقهم)) رواه البيهقي ، و اسناده صحيح..

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنه قالَ : « نَهَى رسولُ الله عن التّحرِيشِ بَيْنَ البَهَائِمِ » رواه أبو داود ، وهو الإغراء وتهييج بعضها على بعض كما يفعل بين الجمال والكباش والديوك وغيرها. ووجه النهي أنه إيلام للحيوانات وإلعاب لها بدون فائدة بل مجرد عبث ، وكما يُفعل في الوقت الحاضر فيما يقال عنه رياضة الثيران وهو التحريش بها وتهييجها حتى لا يمكن السيطرة عليها ومن ثم قتلها ، فأين ما يدعونه

جمعية الرفق بالحيوان من هذه الرياضة غير الانسانية؟!

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : ((بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فشرب ثم خرج ، فإذا كلبٌ يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي ، فنزل فملأ خُفه ثُمّ أمسكه بفيه ، فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له)) قالوا : يا رسول الله ، وإن لنا في البهائم لأجراً ، فقال : ((في كل ذات كبد رطبة أجراً)) رواه البخاري ومسلم ..

رحمته بالمرضى:

وكان صلى الله عليه وسلم يدنو من المريض ويجلس عند رأسه ويسأله عن حاله فيقول «كيف تجدك ؟»

وذكر أنه كان يسأل المريض عما يشتهيه فيقول «هل تشتهي شيئا ؟» فإن اشتهى شيئا وعلم أنه لا يضره أمر له به .

وكان يمسح بيده اليمنى على المريض ويقول «اللهم رب الناس أذهب البأس واشفه أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما»
وكان يقول: «امسح البأس رب الناس بيدك الشفاء لا كاشف له إلا أنت» وكان يدعو للمريض ثلاثا كما قاله لسعد : «اللهم اشف سعدا اللهم اشف سعدا اللهم اشف سعداً»

وكان إذا دخل على المريض يقول له «لا بأس طهور إن شاء الله» [١٠٦]

رحمته بالخدم

ولقد شملت رحمته صلى الله عليه وسلم الخدم والأرقاء فقال صلى الله عليه وسلم : «من كانت له أمة فأدبها ثم أعتقها وتزوجها، فله أجران» رواه الشيخان

١٠٦ mth.٠٢١١daz=f?psa.yalpsid/moc.malsi-la.haris//:ptth

وروى أبو ذر رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال عن الخدم :«هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم» رواه مسلم

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:» إذا صنع لأحدكم خادمه طعامه ثم جاء به، وقد ولى حره ودخانه، فليقعد معه فليأكل، فإن كان الطعام قليلاً فليضع في يده منه أكلة أو أكلتين» (أي لقمة أو لقمتين) رواه مسلم

وقال صلى الله عليه وسلم : «من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه» رواه مسلم

وقال صلى الله عليه وسلم لأبي مسعود، عندما رآه يضرب مملوكًا له: «اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام» فانتهى عن ضربه وأعتقه حتى لا يمسه الله بعذاب نتيجة هذا الفعل ؛ رواه مسلم

كما أمر صلى الله عليه وسلم بأن يعامل العبيد مثل معاملة الأبناء، وكان صلى الله عليه وسلم يوصي – وهو في فراش الموت- بحسن معاملة الأرقاء...فقد روى أنس رضي الله عنه أن غلاماً يهودياً كان يخدم الرسول صلى الله عليه وسلم، فلما مرض،عاده الرسول الكريم فقعد على رأسه وقال له :» أسلِم « فنظر إلى أبيه و هو عنده،فقال:»أطع أبا القاسم»، فأسلم الغلام، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول:» الحمد لله الذي أنقذه من النار»!!(رواه البخاري) [١٠٧]

١٠٧ محمد سعيد مرسي.فن تربية الأولاد.ص٢٠٤

ثانياً:رحمته صلى الله عليه وسلم بأُمَته

كان الحبيب صلى الله عليه وسلم أرحم الأنبياء -عليهم صلوات الله وسلامه –بأمته، فقد كان بها رءووفاً رحيما،كما أخبر بذلك المولى سبحانه :

«لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ» التوبة-٨٢١ ،وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم : «رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» إبراهيم ٦٣ وقول عيسى عليه السلام : «إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» المائدة-٨١١فرفع يديه وقال اللهم أمتي، وبكى ؛فقال الله عز وجل:«يا جبريل، اذهب إلى محمد -وربك أعلم- فسله ما يبكيك؟» فأتاه جبريل عليه السلام، فسأله، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قاله وهو أعلم؛ فقال الله :«يا جبريل ، اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك» رواه مسلم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا» رواه الشيخان والترمذي وأحمد

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
«خُيِّرتُ بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتي الجنة، فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى، أترونها للمؤمنين المتقين؟ لا، ولكنها للمذنبين المتلوثين الخاطئين» رواه ابن ماجة ورواه أحمد عن ابن عمر ورواه عنه أيضًا الطبراني، قال الهيثمي رجاله الصحيح غير النعمان بن قراد وهو ثقة

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أُعطيت سبعين ألفًا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر، قلوبهم على قلب رجل واحد، فاستزدت ربي عز وجل، فزادني مع كل واحد سبعين ألفًا» رواه أحمد وأبو يعلى

ولعلّ من أبلغ مظاهر شفقته ورحمته صلى الله عليه وسلم بأمته موقفه في عرصات القيامة ، في يوم يشيب لهوله الولدان ، عندما يشفع الشفاعة العُظمى ، كما في حديث أنس بن مالك الطويل وفيه :«فأنطلقُ فأستأذنُ على ربِّي فيُؤذن لي ، فأقومُ بين يديه ، فأحمدُهُ بمحامِدَ لا أقدر عليه الآن ، يُلهمُنيه اللهُ ، ثمّ أخِرُّ له ساجدًا ، فيقال لي : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يُسمع لك وسل تُعطه ، واشفع تُشفّع ، فأقول : ربِّ أمّتي أمّتي فيقالُ : انطلق فمن كان في قلبه مثقالُ حبّةٍ من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها ، فأنطلق فأفعل ، ثمّ أرجع إلى ربِّي فأحمده بتلك المحامد ، ثمّ أخر له ساجدًا ، فيقال لي : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يُسمع لك وسل تُعطه واشفع تُشفّع فأقول : أمّتي أمّتي ، فيقال لي : انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبّةٍ من خردل من إيمان فأخرجه منها ، فأنطلق فأفعل ، ثمّ أعود إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ، ثمّ أخر له ساجدًا ، فيقال لي : يا محمد ارفع رأسك وقل يُسمع لك ، وسل تُعطه واشفع تشفّع ، فأقول : يا ربِّ أمتي أمتي ، فيقال لي : انطلق فمن كان في قلبه أدنى من مثقال حبّةٍ من خردلٍ من إيمان ، فأخرجه من النّار فأنطلق فأفعل» رواه مسلم

هذه الصور المشرقة تعطينا جانبًا عظيمًا من جوانب رأفته ورحمته وشفقته صلى الله عليه وسلم على أمته ، فها هو يقول : «مثلي كمثل رجل استوقد نارًا فلما أضاءت ما حولها ، جعل الفراشُ وهذه الدّواب التي في النّار يقعن فيها ، وجعل يحجُزُهُنّ ويغلبنَهُ ، فيقتحمنَ فيها ، قال : فذلكُم مثلي ومثلُكُم ، أنا آخِذٌ بحُجَزِكُم عن النّار ، هلمَّ عن النّار ، هلمَّ عن النّار . فتغلبُوني تقحّمون فيها» رواه مسلم

وصدق عليه الصلاة والسّلام ؛ فكم واجهه من أذى قريش ، حين ضربوه وسبوه ،وأخرجوه من أحب البلاد إليه وما زال يدعوهم ويدعوهم ، ويعفو عن مُسيئهم ، ويحلم عليهم حتى أنقذ الله به الكثير منهم من النّار .[١٠٨]

وكان صلى الله عليه وسلم يأسى على قومه ، ويأسف أشدّ الأسف عليهم ، قال تعالى : «عَزِيزٌ عَلَيهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيكُمْ بِالمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ» التوبة : ٨٢١

١٠٨ محمد سعيد مرسي.فن تربية الأولاد.ص٢٠٤

وكان صلى الله عليه وسلم يخشى أن يموتوا على الكفر ، وتتجلى رأفته ورحمته في أبهى صورها في دعوته لهم ، وإصراره على إنقاذهم من النار ، مع ما جابهوه به من الأذى والاستهزاء والسُّخرية . . فعن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية:«وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين» الشعراء : ٢١٤صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصّفا ، فجعل يُنادي : «يا بني فهر! يا بني عدي !» لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرّجل إذا لم يستطع أن يَخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش فقال : «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تُريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيّ؟» قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقًا .

قال : «فإنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب : تبًا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ، فنزلت : «تَبّتْ يَدَا أَبِي لَهَب وّتَبّ ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ» صحيح البخاري

ومن مواقفه معهم ما رواه عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته : أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله ! هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال : «لقد لقيتَ من قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة[١٠٩] ؛ إذ عرضت نفسي على عبد يا ليل بن عبد كلال ، فلم يُجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرتُ فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال : إنّ الله عز وجل قد سمع قول قومك لك ، وما ردُّوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، قال : فناداني ملك الجبال وسلّم عليّ ، ثم قال : يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك ، فما شئت ؛ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[١١٠] . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يُخْرِج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا» صحيح البخاري

وفي هذا الموقف الشّريف منه دليلٌ على فرط رحمته وشفقته بهم ، رغم الأذى الشديد الذي لقيه ، والقدرة على الانتقام .

١٠٩ أي: بالطائف
١١٠ جبلين بمكة

ولقد استمرّ عليه الصّلاة والسّلام في دعوته ولم ييأس ، صابرًا مُثابرًا ، وأحزنه عدم استجابة كثيرٍ منهم فأنزل الله عليه : «لَعَلّكَ بَاخِع نّفْسَكَ ألاّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» الشعراء : ٣ .

قال ابن كثير : ((وهذه تسليةٌ من الله لرسوله في عدم إيمان من لم يؤمن به من الكفّار؛ كما قال تعالى : «فَلاَ تَذهَبْ نَفْسُكَ عَلَيهِمْ حَسَرَاتٍ» فاطر : ٨ ، وكقوله: «فَلَعَلّكَ بَاخِع نّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِم» الكهف : ٦ الآية ؛قال مجاهد وعكرمة وقتادة وعطية والضحّاك والحسن وغيرهم : لَعَلّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ ،أي قاتل نفسك ، قال الشاعر :

ألا أي هذا الباخع الحزن نفسه لشيءٍ نحته عن يديه المقادر «([١١١]) .

وإنّما سلاّه الله بهذا ؛ لأنه كان شديد الحزن والأسف على قومه ، يحبُّ إسلامهم ، ويخشى عليهم العذاب الأليم ، وقد اقتضت حكمته - تعالى - أن يكون الإيمان مبنيًّا على الاختيار ، ولذا قال تعالى : «وَلَو شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النّاسَ حَتّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» يونس : ٩٩

وهذا موقفٌ عظيمٌ منه صلى الله عليه وسلم ؛ فمع ما ناله منهم لم ينتقم وصبر وتحمل الأذى ، في سبيل أن يسلموا . . وكان كذلك فقد دخلوا بعد فتح مكة في دين الله أفواجًا كما قال الله عز وجل : «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ ، وَرَأَيتَ النّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا ، فَسَبّح بِحَمْدِ رَبّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنّهُ كَانَ تَوّابًا» سورة النصر

ثالثاً : رحمته بالجماد :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه لما أشرفنا على المدينة نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى أُحُد فقال : « هذا جبل يحبنا ونحبه « ثم نظر إلى المدينة فقال : « اللهم إني أُحرِّمُ ما بين لابتيها[١١٢] بمثل ما حرم إبراهيم مكة ،اللهم بارك لهم في مُدِّهم وصاعهم[١١٣] «) رواه البخاري ..[١١٤]

١١١ ابن كثير ، أبي الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (٤٧٧هـ) تفسير القرآن العظيم . ١٣٣/٣ ، طبعة دار الفكر ، بيروت ، ١٠٤١هـ .

١١٢ لابّتيها: هكا حِرّتان (أي هضبتان مرتفعتان) ، الحِرة الشرقية والحِرّة الغربية

١١٣ المُد والصاع هي مكاييل وموازين للحبوب والتمر والمقصود هنا البركة في ثمار المدينة

١١٤ رحمة الحبيب صلى الله عليه وسلم بالحيوان والنباتات ، متاح في:

وفاؤه صلى الله عليه وسلم :

مما تحلى به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، من الأخلاق الفاضلة ، والشمائل الطيبة ، الوفاء بالعهد، وأداء الحقوق لأصحابها ، وعدم الغدر، امتثالاً لأمر الله في كتابه العزيز حيث قال: «وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» الأنعام ١٥٢

وتخلق الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الخلق الكريم ظاهر بيّن ، سواء في تعامله مع ربه جل وعلا ، أو في تعامله مع أزواجه ، أو أصحابه ، أو حتى مع أعدائه .

ففي تعامله مع ربه كان صلى الله عليه وسلم وفياً أميناً ، فقام بالطاعة والعبادة خير قيام ، وقام بتبليغ رسالة ربه بكل أمانة ووفاء ، فبيّن للناس دين الله القويم ، وهداهم إلى صراطه المستقيم ، وفق ما جاءه من الله ،وأمره به ، قال تعالى: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (سورة النحل- ٤٤) . فقد سألته السيدة عائشة يوماً حين كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه لماذا يجهد نفسه بهذا الشكل وقد غفر الله تعالى له ما تقدم من ذنبه وما تأخر،فكان رده صلى الله عليه وسلم:» أفلا أكون عبداً شكورا»؟!!!!

وكان وفياً لزوجاته ، فحفظ لخديجة رضي الله عنها مواقفها العظيمة ، وبذلها السخي ، وعقلها الراجح ، وتضحياتها المتعددة ، حتى إنه لم يتزوج عليها في حياتها ، وكان يذكرها بالخير بعد وفاتها ، ويصل أقرباءها ، ويحسن إلى صديقاتها ، وهذا كله وفاءاً لها رضي الله عنها . «وذات يوم زارته بالمدينة سيدة عجوز فخفّ عليه الصلاة والسلام للقائها في حفاوة بالغة، وغبطة حافلة، وأسرع فجاء ببردته النفيسة وبسطها على الأرض لتجلس عليها العجوز؛ وبعد انصرافها سألته عائشة رضي الله عنها عن سر حفاوته بها فقال:» إنها كانت تزورنا أيام خديجة»!!!

وكان وفياً لأقاربه ، فلم ينس مواقف عمه أبي طالب من تربيته وهو في الثامنة من عمره ، ورعايته له ، فكان حريصاً على هدايته قبل موته ، ويستغفر له بعد موته

mth.slamima/aamhar/moc.eebanla.www//:ptth

حتى نهي عن ذلك»

وكان وفياً لسائر الكائنات ؛ فبين غرفته بالمسجد ومكان المنبر حيث كان يؤم المسلمين في الصلاة بضع خطوات ..كان يقطعها كل يوم عند كل صلاة ولقد أحب هذه الأمتار من الأرض لأنها كانت ممشاه إلى الله، وإلى قرة عينه الصلاة، ولقد أخذه الحب لها والوفاء حتى أكرمها وأجلّها وقال:» ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة»!![١١٥]»

تواضعه صلى الله عليه وسلم :

«كان صلى الله عليه وسلم متواضعًا ، لم يرد الدُّنيا وزينتها ، ولو أرادها لكانت له ، بل أراد ما عند الله والدار الآخرة ، فأناله الله شرف الدُّنيا والآخرة ، فاسمه قرين اسم الله عز وجل قال مجاهد في قوله تعالى : «ورفَعنا لك ذِكرَك» سورة الضحى-٤ لا أذكر إلا ذُكرت : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله([١١٦]) . وسنده صحيح .

وقد كان ابن عباس يحدث : أن الله - تبارك وتعالى - أرسل إلى نبيه صلى الله عليه وسلم ملكًا من الملائكة ومعه جبريل ، فقال الملك : إنّ الله يُخيِّرُكَ بين أن تكون عبدًا نبيًا ، وبين أن تكون ملكًا ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبريل : كالمستشير ، فأشار جبريل بيده : أن تواضع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «بل أكونُ عبدًا نبيًّا»

قال : فما أكل بعد تلك الكلمة طعامًا مُتكئًا([١١٧]) .

وحدثنا أحمد بن منيع وسعيد بن عبد الرحمن المخزومي وغير واحد قالوا أنا

---

١١٥ ١]٢٦١٤١١=di&A=gnal?php.trAdaer/evihcra/٢rev/ten.bewmalsi.www//:ptth

١١٦ أخرجه الإمام محمد بن إدريس الشافعي (٤٠٢هـ) في مسنده (ص٣٣٢) ، رواية أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم (٦٤٣هـ) عن الربيع بن سليمان المرادي (٠٧٢هـ) ، دونه أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر النيسابوري (٠٦٣هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١١٧ أخرجه الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ) في الكبرى (١٧١/٤/ برقم ٣٤٧٦) . تحقيق د. عبد الغفار البنداري ، وسيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١١٤١هـ/١٩٩١م

سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيد الله عبد الله بن عباس عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله :» لا تُطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»

ويمكن أن نضرب أمثلةً على تواضعه في عدة صور :

من مظاهر تواضعه في دعوته :

كان صلى الله عليه وسلم يدعو في مكة إلى الإسلام ، وكان أكثر من استجاب له ضعفاء ومساكين مكّة ، والسبب في ذلك لين جانبه لهم ورفقه بهم ، وتعليمهم ، حتى وقر الإيمان في قلوبهم . . وهكذا هم أتباع الأنبياء ، وقد أمره الله بالجلوس معهم ، وامتدحهم بقوله «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُم بِالغَدَاةِ وَالعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَينَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا» الكهف : ٨٢

وعن سعد قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم: اطرد هؤلاء، لا يجترئون علينا ، قال : وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما ، فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع ، فحدّث نفسه فأنزل الله عز وجل :< وَلاَ تَطْرُدِ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ(الأنعام -٢٥) > رواه مسلم

وكان مرّة مشغولاً بأحد عظماء قريش يدعوه إلى الإسلام ، وجاءه ابن أم مكتوم الأعمى ، فأعرض عنه وأقبل على هذا السّيد فعاتبه الله فيه(أخرجه ابن حبان في صحيحه)

تيسير النبي صلى الله عليه وسلم ورفقه

كان صلى الله عليه وسلم مثالاً للإنسان الرفيق ، رقيق القلب ، وهو القائل صلوات الله وسلامه عليه: «يسِّروا ولا تعسروا، وسكِّنوا ولا تنفروا» رواه البخاري

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيًا بال في المسجد، فثار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : «دعوه، وأهرقوا على بوله ذنوبًا من ماء، أو سجلاً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تُبعثوا معسِّرين» رواه البخاري

وهو القائل صلى الله عليه وسلم في الرفق: «من يُحرم الرفق يحرم الخير»رواه مسلم

وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه» رواه مسلم

وقال أيضاً :صلى الله عليه وسلم «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه» رواه مسلم

هكذا أدّبه ربه فأحسن تأديبه ، فتواضع صلى الله عليه وسلم للنّاس فأقبلوا على دعوته وآمنوا به ، وصدّقوه وعزّروه ، ونصروه ، حتّى كان الإسلام في سنوات معدودة مسيطرًا على جلِّ جزيرة العرب سلمًا ، ثم تمدد في عهد الخلفاء الراشدين خارج الجزيرة العربية ، ففي بضع سنين دخل إلى الشام والعراق ومصر وكانت حواضر الدنيا في ذلك العصر.

عدم تميزه على أصحابه :

من مظاهر تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن يتميز على أصحابه بملبس ، ولا مجلس ، ولا غير ذلك ، وكان الغريب إذا أتاه لا يعرفه من بين أصحابه ، فهذا ضمام بن ثعلبة دخل على جمله فأناخه في المسجد ثم عقله ، ثم قال لمن كان في المسجد : أيكم محمد والنبي صلى الله عليه وسلم متكئ بين ظهرانيهم . فقالوا : هذا الرجل الأبيض المتكئ» رواه البخاري

ويبدو أنّ هذا قد تكرّر دائمًا ، فرأى الصحابة أن يُظهروا مكانه صلى الله عليه وسلم

؛ حتى يُعرف ، لئلا يحوجوا كلّ من لا يعرفه للسؤال عنه صلى الله عليه وسلم ، فعن أبي ذر وأبي هريرة قالا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس بين ظهري أصحابه ، فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل ، فطلبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجعل له مجلسًا يعرفه الغريب إذا أتاه ، قال : فبنينا له دُكّانًا من طين ، فجلس عليه ، وكُنّا نجلس بجنبتيه>أخرجه أبو داود في سننه

ولم يكن شخصٌ أحبّ إليهم رؤيةً منه ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لِما يعلمون من كراهيته لذلك([١١٨]) .

جلوسه مع الأرملة والمسكين والصغير :

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يمشي في حاجاتهم ويُساعدهم ، فعن عبد الله بن أبي أوفى ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يأنف ، ولا يستنكِف أن يمشي مع الأرملة والمسكين ، فيقضي لهُما حاجتَهُما» أخرجه الدارمي في مسنده

وهو بهذا يضرب لأمّته أروع الأمثلة في التواضُع ولين الجانب ، فهو يقول مُرشدًا ومُعلِّمًا : «ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» البخاري

وهذا أنس يُخبر : أنّ امرأةً كان في عقلها شيءٌ ، فقالت : يا رسول الله ! إنّ لي إليك حاجة ؟ فقال : يا أم فلان ! انظُري أي السِّكك شئت ، حتى أقضي لك حاجتك ، فخلا معها في بعض الطُّرق ، حتى فرغت من حاجتها.أخرجه مسلم في صحيحه

وهكذا ظهر بهذه الصور الرائعة ما كان عليه الرسول عليه الصّلاة والسّلام من كمال الخُلُق ، وروعة التواضُع ، حتى ألفه الصغير والكبير ، والخادم والمرأة .

زيارته لأصحابه وإجابته للدعوة وأكله من كل الطعام :

كان صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة من دعاه ، ولا يتردد في ذلك وإن كان على

١١٨ يحي بن عبد الله البكري . أثر معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم في نشر الإسلام

شيءٍ يسير ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه : أنّ خياطًا بالمدينة دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على خبز شعير وإهالة سنخة ، وكان فيها قرعٌ ، قال أنس : فكنتُ أرى النبي صلى الله عليه وسلم يُعجبه القرع . قال : فكنت أقدِّمه بين يديه ، فلم يزل القرع يعجبني منذ رأيته يعجبه صلى الله عليه وسلم > أخرجه ابن حبان في صحيحه .»[١١٩]

لقد كان ذلك القائد أبعد الناس عن مطامع الحياة فلا عجب أن يغرى ذلك أصحاب المثل العليا بالإعجاب . رجل يعرض نفسه للحتوف و المخاطر و الخصومات و يحتمل الأذى في أشد صوره قسوة و مرارة في سبيل فكرة لا مطمع من ورائها .

وكان إلى ذلك يحلب شاته بيده ويرقع ملابسه ويخصف نعله وقد عمل فى المسجد و الخندق بيده وحمل التراب وجمع الحطب وكان يردف خلفه . ويكره أن يتمثل له الناس قياما ؛ ويجلس حيث ينتهى به المجلس ؛ وإذا مشى مشى الناس من أمامه وحوله.

وكان يدخل الداخل إلى المسجد فلا يعرف محمدا بين أصحابه من بساطته حتى يسأل أيكم النبى؛ هذا بالإضافة الى بساطة فى الطعام و الملبس[١٢٠]

عن عباس أن رسول الله دخل على أم هانئ يوم فتح مكة وكان جائعا فقال لها : أعندك طعام ؟

قالت : ان عندى لكسرة يابسة . وانى لأستحى أن اقدمها لك .

فقال : هلميها .

فكسرها فى ماء وجاءته بملح . فقال : ما من ادام ؟ .

قالت : ما عندى الا شئ من خل .

قال : فهلميه.

١١٩ يحي بن عبد الله البكري . أثر معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم في نشر الإسلام

١٢٠ أنور الجندي . أقباس من السيرة العطرة ، ص٤٩-٥٩

فلما جاءت به صبه على طعامه فأكل منه ثم حمد الله و أثنى عليها وقال : نعم الإدام الخل يا أم هانئ. لا يقفر بيت فيه خل وهذه كانت مائدة الرسول يوم الفتح الاكبر .[١٢١]

حُسن عشرته لزوجاته:

كانت سيرته صلى الله عليه وسلم مع أزواجه حسن المعاشرة وحسن الخلق، فهو خير قُدوة للأزواج ، وهو الذي قال صلوات الله عليه وسلامه:< خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي، وما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم > رواه ابن عساكر عن علي، والترمذي عن عائشة، وابن ماجة عن ابن عباس

ومن حسن عشرته لزوجاته رضوان الله تعالى عليهن هذه الصور المشرقة:

كان صلى الله عليه وسلم يسرب إلى عائشة بنات الأنصار يلعبن معها. وكان إذا هويت شيئا لا محذور فيه تابعها عليه وكانت إذا شربت من الإناء أخذه فوضع فمه في موضع فمها وشرب وكان إذا تعرقت عرقا - وهو العظم الذي عليه لحم - أخذه فوضع فمه موضع فمها وكان يتكئ في حجرها ويقرأ القرآن ورأسه في حجرها وربما كانت حائضا وكان يأمرها وهي حائض فتتزر ثم يباشرها وكان يقبلها وهو صائم وكان من لطفه وحسن خلقه مع أهله أنه يمكنها من اللعب ويريها الأحباش[١٢٢]وهم يلعبون في مسجده وهي متكئة على منكبيه تنظر.

و سابقها في السفر على الأقدام مرتين، فسبقته مرة، وسبقها مرة؛ فقال لها: « هذه بتلك».

وتدافعا في خروجهما من المنزل مرة . وكان إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ولم يقض للبواقي شيئا وإلى هذا ذهب الجمهور .

وكان إذا صلى العصر دار على نسائه فدنا منهن واستقرأ أحوالهن فإذا جاء الليل

١٢١ المصدر السابق، ص٦٩

١٢٢ وفد جاء من الحبشة قدموا عرضاً للعب بالسيوف في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

انقلب إلى بيت صاحبة النوبة فخصها بالليل . وقالت عائشة :»كان لا يفضل بعضنا على بعض في مكثه عندهن في القسم وقل يوم إلا كان يطوف علينا جميعا فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ التي هو في نوبتها فيبيت عندها».

وكان إذا سافر وقدم لم يطرق أهله ليلا (أي لم يفزعهن بطرق الباب ليلاً) وكان ينهى عن ذلك. [١٢٣]

وكان عليهن حليماً، و بهن رفيقا عطوفاً ، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها :

كان بيني وبين رسول الله كلام فقال : من ترضين ان يكون أن يكون حكما بيني وبينك ؟ أترضين بأبي عبيدة بن الجراح ؟ قلت : لا ذلك رجل هين لين يقضى لك قال : أترضين بأبيك ؟ قلت : نعم.

فلما جاء أبو بكر قال رسول الله : اقصصي . قلت : اقصص أنت . فقال الرسول : هي كذا وكذا . فقلت :» أقصِد»[١٢٤]، فرفع أبو بكر يده فلطمني وقال لي : أتقولين يا بنت أم رومان لرسول الله اقصد ؟ من يقصد إذا لم يقصد رسول الله فجعل الدم يسيل من أنفي ورسول الله يحجزا بيننا ويقول لأبى بكر :

«أنا لم نرد منك هذا» وجعل يغسل الدم من ثيابى ويقول :<أرأيتِ كيف أنقذتك من الرجل؟»[١٢٥]

ويروي البخاري في صحيحه عن أنس بنمالك، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند بعض نسائه ، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام ، فضربت التي في بيتها النبي صلى الله عليه وسلم يد الخادم ، فسقطت الصحفة فانفلقت فجمع النبي صلى الله عليه وسلم فلق الصفحة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول: «غارت أمكم» ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من

---

١٢٣ mth.٦٣٠١daz=f?psa.yalpsid/moc.malsi-la.haris//:ptth

١٢٤ أي: قُل الحق، وهي مزحة من عائشة مقصود بها الدلال على زوجها صلى الله عليه وسلم

١٢٥ محمد عبده قناوي.أزاهير نبوية، ص٥١٢-٦١٢

عند التي هو في بيتها؛فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كُسرت صحفتها ، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت

لقد كان صلوات الله وسلامه عليه –كما رأينا- في بيته «بشرًا كغيره ، يقوم على حاجات نفسه ، وربما ساعد أهله في شؤونهم،وهو في هذا يضرب المثل والقدوة للناس بفعله ،ثم يقول: «خيرُكُم خيرُكُم لأهله وأنا خيركُم لأهلي» أخرجه ابن حبان في صحيحه .

قال الأسود:سألت عائشة:ماكان النبي يصنع في بيته؟قالت:كان يكون في مهنة أهله-تعني خدمة أهله-فإذاحضرت الصّلاةُ،خرج إلى الصّلاة>(رواه البخاري)

وفي رواية قالت : كان رسول الله يخصِفُ نعله ، ويَخيطُ ثوبه ، ويعملُ في بيته كما يعمل أحدكم في بيته(أخرجه ابن حبان في صحيحه)

وفي رواية عنها : «ما كان إلا بشرًا من البشر : كان يفلي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه»أخرجه ابن حبان في صحيحه «[١٢٦]

وكان ينصح أهل بيته بالرفق :فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : ((يا عائشة أرفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيراً دلهم على باب الرفق)) وفي رواية : «إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق» رواه أحمد و المنذري وقال رواتهما رواة الصحيح

قالت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت عليّ غضبى»، فقلت : من أين تعرف ذلك ؟ فقال : «إذا كنتِ راضية فإنك تقولين : لا ورب محمد ، وإذا كنت عليّ غضبى قلت : لا ورب إبراهيم» صحيح البخاري

وما أكثر الإشارات في هذا الحديث الشريف إلى رفق الرسول صلى الله عليه وسلم بالمرأة ، وعطفه عليها ، وتكريمه لها؛ فالحديث يشير إلى أنه صلى الله عليه

١٢٦ يحي بن عبد الله البكري . أثر معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم في نشر الإسلام .

وسلم وهو النبي الرسول ، لا يأبى أن تكون زوجه عليه غضبى وليس قليلا ما تكون غضبى كما يفهم من الحديث وفي هذا توجيه لأزواج اليوم الذين يستنكرون أن تكون زوجاتهم عليهم غضباوات ولا يتقبلون استرضاءهن والإشارة الثانية في إفصاح النبي صلى الله عليه وسلم عن سر معرفته لحال

كون عائشة غضبى أو راضية ، وبقولٍ فيه من الدعابة مالا يخفى ، فأي رفق أعظم من هذا الرفق ، وأي إكرام للمرأة أبلغ من هذا الإكرام؟!

وممن ؟ من سيد البشر أجمعين وخاتم الأنبياء والمرسلين،أفيأنف أحد بعد هذا ، من مغاضبة زوجته له ، ويعظم في نفسه استرضاؤه لها ؟

هناك بعض الفوائد أيضا نستقيها من هذا الحديث، منها : تواضعه صلى الله عليه وسلم وذلك بطلب رضا عائشة رضي الله عنها، وان رسولنا الكريم هو رسول الرحمة للعالمين والناس أجمعين[١٢٧]

---

١٢٧ محمد رشيد العويد. رسالة إلى مؤمنة ، متاح في:
lmth.٢٦١٠٢t?php.xedni/noisrevfiol/murof/moc.yawmalsi.tawahka//:ptth

شجاعته صلى الله عليه وسلم:

الشجاعة من الأخلاق الفاضلة ، والخلال الشريفة التي تميز بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي من لوازم القيادة ، ولا أدلّ على ذلك من تكليف الله عز وجل له بالقتال لوحده ، وتحريض المؤمنين فحسب : «فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ المُؤْمِنِينَ» النساء : ٤٨

فلما امتثل لأمر ربه ، أيده بجنود من البشر المؤمنين والملائكة ،فكانت مشاركته لجنوده البواسل في الحرب «هي مشاركة القائد الذي لا يعفى نفسه وقد أعفته القيادة من مشاركة الجند عامة فيما يستهدفون له ، فهي شجاعة لا تؤثر أن تتوارى حيث يتاح لها أن تتوارى ، وعندها العذر المقبول بل العذر المحمود .

وإذا كان القائد خبيراً بالحرب قديراً عليها غير هياب لمخاوفها، ثم اكتفى منها بالضروري الذي لا محيص عنه؛ فذلك هو لَرسول تأتيه الشهادة بالرسالة من طريق القيادة العسكرية، وتأتى جميع صفاته الحسنى تبعاً لصفات الرسول .[١٢٨]

وقد شهد له عليٌ رضي الله-وهو الفارس المغوار- بالشجاعة، فقال : «كنّا إذا حمي البأس ولقي القومُ القومَ اتّقينا برسول الّله صلى الله عليه وسلم ، فلا يكون أحد منّا أدنى إلى العدو منه» أخرجه الحاكم في المستدرك»[١٢٩]

وقال علي رضي الله عنه أيضاً : «لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أقربنا على العدو،وكان من أشد الناس يومئذٍ بأساً» [١٣٠] ومن بعض دلائل شجاعته صلوات ربي وسلامه عليه موقفه أمام قريش بمفرده

...فعن عروة ، عن عبد الله بن عمرو ،

قال : قلت له : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانوا يظهرون من عداوته ؟ قال : حضرتهم ، وقد اجتمع أشرافهم يوما في

١٢٨ عباس محمود العقاد. عبقرية محمد، ص٣٥، بتصرف يسير

١٢٩ يحي بن عبد الله البكري. أثر معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم في نشر الإسلام

١٣٠ عصام الدين سيد الصبابطي . أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه ،ص٧٥

الحجر ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ، سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم ، أو كما قالوا : فبينا هم في ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه [ص: ٠٩٢] ببعض القول . قال : فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم مضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ، ثم قال : أتسمعون يا معشر قريش ، أما والذي نفسي بيده ، لقد جئتكم بالذبح . قال : فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم ، فوالله ما كنت جهولا . قال : فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه . فبينما هم في ذلك طلع (عليهم) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ، وأحاطوا به ، يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا ، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم ؛ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم : أنا الذي أقول ذلك . قال : فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه . قال : فقام أبو بكر رضي الله عنه دونه ، وهو يبكي ويقول : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ؟ ثم انصرفوا عنه ، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا نالوا منه قط. (أخرجه ابن حبان في صحيحه)

هذا الموقف إن دل على شيء فإنما يدل على شجاعته صلى الله عليه وسلم، ووقوفه في وجه قريشٍ كافّة ، وتحمُّله الأذى في سبيل إيصال دعوته.[١٣١]

وكذلك الموقف الذي وقفه حين جاءه عمه أبو طالب يرجوه أن يكف عن دعوته رفقاً به ...فقد حدث أن زعماء قريش جاءوا أبا طالب فقالوا: «يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا ، وإما أن تخلي بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه فقال

١٣١ يحي بن عبد الله البكري . أثر معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم في نشر الإسلام

لهم أبو طالب قولا رفيقا ، وردهم رداً جميلاً ، فانصرفوا عنه . ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه ثم شري الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا ، وأكثرت قريش ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بينها ، فتذامروا فيه وحض بعضهم بعضا عليه ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى ، فقالوا له <يا أبا طالب إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا ، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى تكفه عنا ، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين >أو كما قالوا له .

ثم انصرفوا عنه فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا بإسلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لهم ولا خذلانه .

فظن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قد بدا لعمه فيه أنه خاذله ومسلمه وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم – بشجاعة نادرة : «يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته» قال ثم استعبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبكى ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب فقال أقبل يا ابن أخي ، قال فأقبل عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال اذهب يا ابن أخي ، فقل ما أحببت ، فو الله لا أسلمك لشيء أبداً.[١٣٢]

كما أن في الهجرة وحدها»شمائل» لمحمد صلى الله عليه وسلم تزهو على التاريخ، وما طوت صفحاته من أحداث البطولة.

وان في بقاء الرسول بمكة بعد أن أذن لأصحابه بالهجرة، يرقب جموعهم وهى تنحدر إلى الشمال فتمضى في غفلات الليل، وتحت أجنحة الظلام تطوى هذه القفاز ولا تبالي ما تلاقى من آلام السرى ومتاعب الاختفاء ولا تسأل عما تركت وراءها في مكة من أهل، وما خلفت من أبناء وأموال، وهى فرحة مشرقة يزيدها هذا الفرح

١٣٢ الروض الأنف، الجزء الثاني، متاح في :
aeS&لووضعوا+الشمس+في+يميني=txeThcraeS&٠=tesffO?psa.psiDhcraeS/moc.malsi-la.haris//:ptth
mth.١٠٠٢dwr=f&lla=epocS&EBQ=leveLhcraeS&toor=epyThcr

قوة على المضي إلى (يثرب) التي آوت ونصرت.

إن في بقاء الرسول في مكة حتى تنتهي هذه الأفواج إلى مقرها وحتى لا يبقى في مكة من المؤمنين إلا ثلاثة، لمثل من أمثلة القيادة الحازمة فى رجولتها وشجاعتها وصبرها قل أن يدانى ...فها هو قائد الدعوة يواجه الخصوم العتاه بنفسه، من غير أنصار، ويظل باقيا في مكة مقيما لا يبرح حتى يسبقه كل أنصاره إلى المدينة. وهو لا يمضى حتى يطمئن إلى أنه قد اسلم الكتيبة المؤمنة إلى مكانها المأمون.[١٣٣]

وفي أحداث الهجرة إلى المدينة المنورة بعد أن ضيق مشركوا قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين حتى جاء الإذن بها ، فخرج عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة وفق استراتيجيات دقيقة ، وسرية تامة ، فقد أخفى الرحلة حتى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه لموعد ، وتحرك الركب المبارك إلى غار ثور ، ومنه إلى المدينة.

لقد أعطتنا تلك الرحلة بكل ما جاء فيها من معجزات وأحداث دروساً عظيمة، وأول هذه الدروس ذلك الإيمان الذي غرسه صلى الله عليه وسلمفي نفس كل مسلم إلى يوم القيامة، عندما كان في غار ثور، ووقفت جموع المشركين على بابه ، ولم يكن بينهم وبين أن يصلوا إليه إلا أن يطأطئ أحدهم رأسه إلى موضع قدميه فينظر في الغار، وفي هذه الساعة الحرجة يُسِرّ أبو بكر الصديق رضي الله عنه في أذُن رسول اللهصلى الله عليه وسلم قائلاً : «يا رسول الله ، لو نظروا تحت أقدامهم لرأونا .. ، فيأتي الجواب في ثبات وشجاعة نادرة:»يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما!» ، لأنّ استشعار معية الله تعالى تستوجب أن لا يخشى المرء شيئاً !!!وقد أكد الحق سبحانه وتعالىفي كتابه العزيز ما كان في الغارفي الآية :»إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» التوبة-٤٠

ولقد رأت الجموع المطارِدة خيوط العنكبوت التي أمرها الله سبحانه أن تنسجه

١٣٣ أنور الجندي. أقباس من السيرة العطرة، ص٦١-١٧

على باب الغار ، فلم يصدقوا أن رجلاً أو رجلين يستطيعان دخول الغار رغم وجود هذا النسيج من العنكبوت، ونظروا في الدليل الذي قادهم إلى هذا المكان، فقال لهم الرجل في استغراب: وصل إلى هنا ، ولا أدري إن كان هبط إلى الأرض أو صعد إلى السماء. [١٣٤]

ولقد كان صلى الله عليه وسلم قائدا عرف بالبطولة الحربية و الشجاعة فقاتل بيده، وكان إذا اشتد البأس، أقرب الناس إلى العدو.[١٣٥]

و من مواقف شجاعته صلى الله عليه وسلم أنه حدث أن فزع أهل المدينة فانطلق الناس يبحثون عن الصوت فلقيهم الرسول راجعا، وقد سبقهم وابتدر الخبر على فرس عرى ، والسيف فى عنقه فاستقبلهم ذاهبين وهو راجع فلما رآهم قال مطمئنا: لن تراعوا . لن تراعوا.[١٣٦]

وخروجه هذا في الليل ليطوف بالمدينه مستطلعاً ، وقد هددها الأعداء بالغارة والحصار أمر لو لم تدعه إليه الشجاعة الكريمة لم يدعه إليه شئ .. لأن المدينة كانت يومئذ حافلة بمن يؤدون عنه مهمة الاستطلاع وهو قرير في داره، ولكنه أراد أن يرى بنفسه فلم يثنه خوف ولم يعهد بهذا الواجب إلى غيره.»[١٣٧]

فلم يكن يستطيع أي شجاع صنديد أن يزاحم رسول الله في الشجاعة التي تربع على قمتها وسيزال كذلك، وها هي بعض الأمثلة التي تبرهن على شجاعته:

يقول الصحابى الجليل عمران بن حصين : (ما لقى النبي كتيبة إلا كان اول من يضرب).

وكان عليه السلام إذا لقي العدو يخترق صفوفه في ثبات وخفة حتى أن عمه العباس رضي الله عنه كان يأخذ بخطام دابة النبي حتى لا يلتحم بالأعداء داخل صفوفهم . ويقول على بن ابى طالب : (كنا إذا حمى البأس ، واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ـــ صلى الله عليه و سلم ـــ فما يكون احد اقرب إلى العدو منه، ولقد رأيتنى يوم

١٣٤

١٣٥ أنور الجندي. أقباس من السيرة العطرة،ص

١٣٦ المصدر السابق ،ص٤٥

١٣٧ عباس محمو دالعقاد. عبقرية محمد، ص٣٥

بدر ونحن نلوذ برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو أقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ بأسا .[١٣٨]

وفى حنين واجه المسلمون نبال المشركين في عماية الصبح . وهى تقذفهم في قوة وعنف فكروا راجعين ووقف رسول الله وهم يفرون عن يمينه وشماله . وثبت ثباتا عجيبا . ومضى يردد في قوة :

أنا النبي لا كذب *** أنا ابن عبد المطلب[١٣٩]

«ولقد كانت حياته كلها صلى الله عليه وسلم نضالاً وكفاحاً وجهاداً لا يفتر في سبيل إرساء قواعد الدعوة بمفهومها الرباني ودعم أساسها السلوكي في نفوس أمه الإسلام لتكون هديا لأمم الدنيا وتتعانق في سيرته صلى الله عليه وسلم صور الرحمة و العفو مع صور الكفاح والجهاد في سبيل الله .»[١٤٠]

شبهة والرد عليها

«من خصائص العظمة النبوية في محمد صلي الله عليه وسلم أنه وُصف بالنقيضين علي ألسنة المتعصبين من أعداء دينه ..فهو عند أناس منهم صاحب رقه تحرمه القدرة علي القتال ، وهو عند أناس آخرين صاحب قسوة تُغريه بالقتل وإهدار الدماء البشرية في غير جريره..وتنزّه محمد عن هذا وذاك..

فإذا كانت شجاعته صلي الله عليه وسلم تنفي الشبهة في رقة الضعف والخوف المعيب ، فحياته كلها من طفولته الباكرة تنفي الشبه في القسوة و الجفاء..اذا كان في كل صله من صلاته بأهله أو بمرضعاته أو بصحبه أو بزوجاته أو بخدمه مثلاً للرحمة التي عز نظيرها في الأنبياء .

ولا نقف كثيراً عند الحوادث التي ذكرها المتعصبون ليستدلوا بها على إهدار الدماء في غير جريرة. فأكثرها لم يثبت قط ثبوتاً يقطع الشك فيه، ولا سيما

١٣٨ محمد عبد قناوي. أزاهير نبوية ، ص٧١٢

١٣٩ أنور الجندي. أقباس من السيرة العطرة، ص٤٣١-٥٣١

١٤٠ محمد عبد الرحمن عبد اللطيف. في رحاب السيرة، بتصرف .

القول بتحريض النبي صلي الله عليه وسلم علي قتل عصماء بنت مروان اليهودية لأنها كانت تهجو الإسلام و المسلمين، فإن النبي صلي الله عليه وسلم قد نهي في قول صريح عن قتل النساء وكرر نهيه في غير موضع، حتي قال بعض الفقهاء بمنع قتل المرأة وإن خرجت للقتال ، ما لم يكن ذلك لدفع خطر لا يدفع بغير قتلها .

والحادث الوحيد الذي يستحق الالتفات إليه هو مقتل كعب بن الأشراف الذي كان يهجو المسلمين ، ويقدح في دينهم ، ويؤلب عليهم الأعداء ، ويأتمر بقتل النبي صلى الله عليه وسلم ، ويدخل في كل دسيسة تنقض معالم الإسلام .. وكان مع قومه بني النضير معاهداً على أن يحالف المسلمين ، ويحارب من يحاربونهم ، ولا يخرج لقتالهم ، ولا يقابلهم إلا بما يقابل به الحليف حليفه من المودة والمعونة .

فنقض العهد وزاد على نقضه تأليب العرب مع قومه على النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه ، وإنه رجع إلى المدينة ، فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم وافترى عليهن وعليهم ما ليس يفتريه رجل شريف، وليس يرضاه في عِرضه عربي غيور.

ولقد ورد في حديث مقتله أن الرهط الذين خرجوا لقتله انتهوا إلى حصنه ، فهتف بو أبو نائلة ــ وكان حديث عهد بعرس ــ فوثب في ملحفته .. فأخذت امرأته بناحيتها وقالت : « إنك امرؤ محارب ، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة !».

وصدقت امرأته حين وصفته بأنه محارب يعامل معاملة المحاربين وقد حنثوا في أيمانهم ، فلم يكن راعيا لعهده ، ولم يكن له وازع من نفسه ولا من قومه ، ولم يكن مأموناً على المسلمين وهو لائذ بحصنه .. فهو أقل الناس حقاً في أمان .

وجاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم أقر مقتله ، فعاب بعض المؤرخين الأوربيين ذلك ، وحسبوه خروجاً على سنن القتال ، يشبه فعلة نابليون حين أمر باختطاف الدوق دنجان ومحاكمته بغير حق .. مع ما بين الحادثين من بون بعيد بيناه من قبل فلا نعود إليه..إلا أننا نوجز هنا ، فلا نزيد على أن نشير إلى حكم القانون الدولي في أحدث العصور على من يؤخذون بصنيع معيب كصنيع ابن

الأشرف ، وإن لم يبلغ مبلغه من الغدر والكيد والإساءة إلى الأعراض. وذلك هو حكم الأسير الذي ينطق بعهد الشرف ألا يعود إلى القتال ، فإن القانون الدولي يوجب عليه أن يوفى بعهده ويوجب على حكومته ألا تندبه إلى عمل ينقض ما عاهد الأعداء عليه ، ويقضى بحرمانه حق المعاملة كما يعامل أسرى الحرب إذا شهر السلاح على الذين أطلقوه ، أو على حلفائهم المحاربين في صفوفهم ، ويصح إذن أن يحاكم كما يحاكم المذنبون ويقضى عليه بالموت .

فقوانين العصر الحديث إذن تعاقب بالموت جريمة أهون من جريمة كعب بن الأشرف بكثير، لأنه تجاوز الغدر إلى التأليب والائتمار و ثلب الأعراض . وليس في توقيع هذه الأحكام قسوة ولا رحمة ، لأن المرجع فيها إلى الضرورة التي أوجبت القصاص وفرضته على الناس في أحوال السلم بين أبناء الأمة الواحدة ، فضلاً عن أحوال القتال بين الأعداء .

****

وهكذا رأينا بعض اللقطات من جوانب أخلاقه صلى الله عليه وسلم ، وكيف كانت بعد البعثة ، فبهذه الشمائل جميعا كان» المثل الكامل» للشخصية الإنسانية الفردية وكان المثل الأعلى للزعامة و القيادة في سيرته وشمائله يجد الزعماء و المحاربون و الساسة و المفكرون عنده خلاصة الدراسات التجريبية للإنسان الكامل.[١٤١]

وعلى الرغم من كل ذلك ؛ فقد كان دائماً يدعو ربه-كما روت عائشة رضي الله عنها -قائلاً:

« اللهم كما حسّنتَ خَلْقي فأحسن خُلُقي»!!! رواه أحمد ورواته ثقات

وكان يستعيذ بالله عز وجل من سوء الأخلاق ؛عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول : «اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق» رواه أبو داود والنسائي

١٤١ أنور الجندي. أقباس من السيرة العطرة، ص٨١

أخلاقه -صلى الله عليه وسلم- في الحرب مع الأعداء

«في الوقت الذي يظنّ فيه البعضأن أسباب النصر مقتصرة على من ملك القوّة والعتاد، في الأسلحة والرجال ، وغيرها من الأسباب الحِسّية ، تأتي السُّنّة لتكشف عن جانب آخر من أسباب النصر ، ألا وهو النصر بالأمور المعنوية كالرعب والهيبة ، وهي إحدى الخصوصيّات التي منحها الله لنبيّه – صلى الله عليه وسلم - ، وأسهمت بشكلٍ فعّال في نشر الدعوة ، والدفاع عن الملّة ، وقذف الرعب في قلوب الأعداء .

فقد روى الإمام البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (: أُعطيتخمسا، لم يعطهن أحد قبلي : نُصِرتُ بالرُّعب مسيرة شهر ، وجُعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة)

ويظهر أثر هذه الهيبة بجلاء على الصعيدين الفردي و الجماعي ، فأما الفردي فقد كان فيها عصمةٌ للنبي - صلى الله عليه وسلم - من الناس ، ووقايةٌ له من مكائدهم ، تحقيقاً لقوله تعالى : { واللهُ يَعصمُكَ من الناس } (المائدة : ٧٦) .

ولو استعرضنا سيرته عليه الصلاة والسلام لوجدنا عدداً من الحوادث التي تؤكّد هذه القضيّة على المستوى الشخصي ، فعلى الرغم من صولة قريشٍ وجبروتها ، وقسوتها وطغيانها ، إلا أن ذلك لم يكن ليقف أمام شخصيّة النبي – صلى الله عليه وسلم – المهيبة، والتي كان وقعها على أهل الكفر والعناد أشدّ من وقع الأسنّة والرماح ، فقد اجتمعت قريش تسخر من رسول الله - صلى الله عليه وسلم – و تستهزيء به ، فقال لهم : (تسمعون يا معشر قريش : أما والذي نفس محمد بيده ، لقد جئتكم بالذبح) فبلغ بهم الرعب مبلغاً عظيماً ، ووقعت هذه الكلمة في قلوبهم وكأنّ على رؤوسهم الطير ، حتى أن أشدّهم جرأة عليه يحاول أن يسترضيه بأحسن ما يجده من القول ، فيقول له « انصرف يا أبا القاسم راشداً ؛ فوالله ما كنتَ جهولاً « رواه أحمد .

ولمّا سمع عتبة بن ربيعة النبيّ - صلى الله عليه وسلم - يقرأ قوله تعالى : { فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} (فصلت : ٣١) أصابه الرعب وقالوهو يضع يده على فم النبي صلى الله عليه وسلم خوفاً من تحقيق وعد الله تعالى لنبيه : «حسبُك حسبُك « . «[١٤٢]

ولقد أثر عنه أنه كان صلى الله عليه وسلم يدارى المنافقين ولا يواجههم بالخصومة ويبش فى وجوههم،وعندما طلب اليه أن يلعنهم قال : لم أبعث فاحشا ولا متفحشا ولا لعانا ولا سخابا بالأسواق وانما بعثت هاديا ورحمة»[١٤٣]

وفي غزوة تبوك،كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق مكر به أناس من المنافقين وائتمروا أن يطرحوه من عقبة في الطريق . فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك العقبة أرادوا أن يسلكوها معه فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم فقال للناس اسلكوا بطن الوادي ، فإنه أسهل لكم وأوسع فسلك الناس بطن الوادي وسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة ، وأمر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام الناقة يقودها ، وأمر حذيفة بن اليمان يسوق من خلفه . فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في العقبة إذ سمع حس القوم قد غشوه فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر حذيفة أن يردهم فرجع حذيفة إليهم وقد رأوا غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يضرب وجوه رواحلهم بمحجن في يده .

وظن القوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أطلع على مكرهم فانحطوا من العقبة مسرعين حتى خالطوا الناس وأقبل حذيفة حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساق به . فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العقبة نزل الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا حذيفة هل عرفت أحدا من الركب الذين رددتهم ؟ قال يا رسول الله عرفت راحلة فلان وفلان وكان القوم متلثمين فلم أبصرهم من أجل ظلمة الليل .

وكانوا قد أنفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم فسقط بعض متاع رحله فكان حمزة بن عمرو الأسلمي يقول فنور لي في أصابعي الخمس فأضئن حتى كنا نجمع ما

١٤٢ http://www.islamweb.net/ver٢/archive/readArt.php?lang=A&id=١٣٣١٧٣

١٤٣ أنور الجندي . أقباس من السيرة العطرة ، ص٢١١

سقط من السوط والحبل وأشباههما ، حتى ما بقي من المتاع شيء إلا جمعناه . وكان لحق النبي صلى الله عليه وسلم في العقبة .

فلما أصبح قال له أسيد بن الحضير : يا رسول الله ما منعك البارحة من سلوك الوادي ، فقد كان أسهل من العقبة ؟ قال يا أبا يحيى ، أتدري ما أراد البارحة المنافقون وما اهتموا به ؟ قالوا : نتبعه في العقبة ، فإذا أظلم الليل عليه قطعوا أنساع راحلتي ونخسوها حتى يطرحوني من راحلتي . فقال أسيد يا رسول الله فقد اجتمع الناس ونزلوا ، فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذي هم بهذا ، فيكون الرجل من عشيرته هو الذي يقتله وإن أحببت ، والذي بعثك بالحق فنبئني بهم فلا تبرح حتى آتيكم برءوسهم وإن كانوا في النبيت فكفيتكهم وأمرت سيد الخزرج فكفاك من في ناحيته فإن مثل هؤلاء يتركون يا رسول الله ؟ حتى متى نداهنهم وقد صاروا اليوم في القلة والذلة وضرب الإسلام بجرانه فما يستبقى من هؤلاء ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسيد «إني أكره أن يقول الناس إن محمدا لما انقضت الحرب بينه وبين المشركين وضع يده في قتل أصحابه فقال يا رسول الله فهؤلاء ليسوا بأصحاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله ؟ قال بلى ، ولا شهادة لهم قال أليس يظهرون أني رسول الله ؟ قال بلى ، ولا شهادة لهم قال فقد نهيت عن قتل أولئك» قال حدثني يعقوب بن محمد عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده قال كان أهل العقبة الذين أرادوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر رجلا ، قد سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لحذيفة وعمار رحمهما الله . [١٤٤]

وهكذا رفض « محمد «صلى الله عليه وسلم أن يقتلهم أو ينتقم منهم واكتفى ما به كشف أمرهم.[١٤٥]

وحين دار الحوار المشهور بين هرقل وبين أبي سفيان ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ودعوته ، قال هرقل : « ليبلغنّ ملكه ما تحت قدميّ « ، فلما سمع ذلك أبو سفيان قال لأصحابه بعد خروجهم : « إنه ليخافه ملك بني الأصفر « .

١٤٤ السيرة : المغازي ، الجزء الثالث ، متاحة على mth.٧٨٦١agm=f?psa.yalpsid/moc.malsi-la.haris//:ptth

١٤٥ أنور الجندي . أقباس من السيرة العطرة ، ص٣٢١-٤٢١

وأما على الصعيد الجماعي، فقد انتصر النبي - صلى الله عليه وسلم – في غزوة بدر بعد أن قذف الله الرعب في قلوب أعدائه ، كما قال الله تعالى : { إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ}(الأنفال : ٢١) .

ولما انتهت غزوة أحد ، وتوجّه المشركون إلى مكّة ، ندموا حين لم يقضوا على المسلمين قضاءً تامّاً ، وتلاوموا فيما بينهم ، فلما عزموا على العودة ألقى الله في قلوبهم الرعب ، ونزل في ذلك قوله تعالى : { سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ} (آل عمران : ١٥١) أخرجه ابن أبي حاتم

وتحدّث القرآن الكريم في سورة كاملة ، عن الهزيمة الكبرى التي لحقت بيهود بني النضير، عندما أجلاهم النبي - صلى الله عليه وسلم - عن أراضيهم ، فكانت الدائرة عليهم وتخريب بيوتهم بسبب ما أصابهم من الرعب ، كما قال الله عنهم : { هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ } (الحشر : ٢) .

ولما ضرب المؤمنون الحصار على بني قريظة ، سارع أهلها بالاستسلام ، وفتحوا أبواب حصونهم ، ونزلوا على حكم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيهم ، بعد أن انهارت معنويّاتهم وقذف الله الرعب في قلوبهم ، قال سبحانه : { وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا*وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا} (الأحزاب : ٦٢ – ٧٢) .

وفي غزوة تبوك تسامع أهل الروم ومن معهم من القبائل العربية الموالية بقدوم النبي - صلى الله عليه وسلم - لقتالهم ، فتفرّقوا من بعد اجتماعهم ، وآثروا السلامة في نفوسهم وأموالهم وأراضيهم ، مما دفعهم إلى مصالحة النبي - صلى الله عليه

وسلم - ودفع الجزية ، على الرغم من تفوّقهم العددي والحربي ، وهو جزءٌ من الرعب الذي يقذفه الله في قلوب أعدائه .

ولم يكن هذا الأمر هو الوحيد من خصوصيّاته - صلى الله عليه وسلم – الحربيّة ، فقد كانت له خصوصيّاتٌ أخرى تتعلّق بهذا الجانب ، منها : إحلال الغنائم له دون من سبقه من الأمم ، فقد كان الناس في السابق يعتبرون الغنائم كسباً خبيثاً لأنها أُخذت من العدو، وكان مصيرها أن تُجمع ثم تنزل نارٌ من السماء فتحرقها ، كما في قصة نبي الله يوشع عليه السلام التي رواها البخاري .

أما الأمة المحمّدية ، فقد أباح الله لها الغنائم رحمة بها ، وتخفيفاً عنها ، وكرامةً لنبيّها - صلى الله عليه وسلم – ، قال عليه الصلاة والسلام : (... ذلك بأن الله تبارك وتعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيّبها لنا) رواه مسلم .

ومن خصوصيّاته - صلى الله عليه وسلم – الحربية ، أن الله تعالى أحلّ له مكة ساعةً من نهار، وذلك يوم الفتح ، فأباح له القتال فيها ، ولم يُبِح ذلك لأحد قبله ولا لأحدٍ بعده ، فقد حرّم الله هذا البلد يوم خلق السماوات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، كما في حديث البخاري.

وبذلك يتّضح كيف كان لخصوصيّاته عليه الصلاة والسلام أثرٌ بالغٌ في تمكين المؤمنين ونصرتهم من جهة ، وهيبة جانبهم من جهة أخرى.[١٤٦]

ورغم ذلك لم يغتر صلوات الله وسلامه عليه بتأييد ربه ، بل كان عفوا رفيقاً ، وفيا كريما حليما مع أعداءه ...ولكنه كان يأخذ على يد من ينقض العهد أو يغدر، «وليس كما تقول القصص المروِّعة التي تصفه صلى الله عليه وسلم بأنه متعطش للدماء، ومحب للحروب ... فقد أنصفه بعض الباحثين الموضوعيين ، وذكروا أنه لم يكن محباً للحروب ،وإنما كان يقاتل، إما للدفاع عن معتقداته الدينية ،أو عن أصحابه وأتباعه ؛ بدليل أنه أسر قلوب أعداءه حين دخل مكة فاتحاً منتصراً،دون أن يريق دم أحد «[١٤٧] مُعلناً أن ذلك اليوم هو يوم المَرحمة !!!

١٤٦ ٣٧١٣٣١=di&A=gnal?php.trAdaer/evihcra/٢rev/ten.bewmalsi.www//:ptth

١٤٧ no snoitcefleR milsuM :tehporP a erofeB gnieB namuH A. MdeyaS-lE ,nimA

كما شرع صلى الله عليه وسلم للحروب قواعد شريفة ألزم قواد جيوشه والجنود بالالتزام بها، ولم يسمح لهم بالخروج عنها بحال ، فقد روى سليمان بن بريدة عن أبيه قال : كان رسول اللّه إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه-كما سيلي الذكر- في خاصته بتقوى اللّه عز وجل ، وبمن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال ؛ كما روىأنَسُ بنُ مَالِكِ رضي الله عنه : « انْطَلِقُوا باسْم الله وَبالله وَعَلَى مِلّة رَسُولِ الله ، وَلا تَقْتُلُوا شَيْخاً فَانِياً وَلاَ طِفْلاً وَلا صَغيراً وَلا امْرَأةً ، وَلا تَغُلُّوا وَضُمُّوا غَنَائِمَكُم وَأصْلِحُوا وَأحْسِنُوا إنّ الله يُحِبُّ المُحْسِنِينَ » رواه أبو داود ..

وكان يأمر بالتيسير ويقول : (يسِّرواولاتعسرواوبشِّروا ولاتنفروا)(رواه أنس بن مالك وورد في صحيح البخاري) .

وكان إذا جاء قوماً بلَيْل لم يُغِرْ عليهم حتى يُصبِح ليتأكد إن كانوا مسلمين ، كما نهى أشد النهي عن التحريق في النار ، ونهى عن قتل الصبر[١٤٨] ، وقتل النساء وضربهن ، ونهى عن النهب ، فقد روى البخاري في صحيحه:< نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنالنُهبَىوالمثلة>(الجامع الصحيح) ، كما نهى عن إهلاك الحرث والنسل وقطع الأشجار إلا إذا اشتدت إليها الحاجة ، ولا يبقى سواه سبيل .

وعند فتح مكة -وقبل أي غزوة-نراه يقول لجنوده : (لا تُجهزن على جريح ، ولا تتبعن مدبراً ، ولا تقتلن أسيراً) ، كما أمضى السُنّة بأن السفير لا يُقتل ، وشدد في النهي عن قتل المعاهدين حتى قال : (من قتل معاهداً لم يُرِحْ رائحة الجنة ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة أربعين عاماً)(البخاري) ...إلى غير ذلك من القواعد النبيلة التي طهرت الحروب من أدران الجاهلية حتى جعلتها جهاداً مقدساً[١٤٩]

:morf elbaliava, retcarahC s‹dammahuM
oZ=emanegap&٥٤٦٢٠٨٩٤٦٤٨١١=dic&C_elcitrA=c?etilletaS/telvres/moc.malsignidaer.www//:ptth
tuoyaLEIDF٢٪malsI_revocsiD-hsilgnE-en

١٤٨ قتل الصبر هو التعذيب حتى الموت

١٤٩ السيرة النبوية : نظرة على الغزوات ، متاح في:

mth.xedni/tawazahg/anidam/hares/ten.haresla//:ptth

رحمته صلى الله عليه وسلم بأعداء دينه

في اللقطات المشرقة التالية يتضح بعضاً من جوانب أخلاقه الكريمة- صلى الله عليه وسلم- مع أعداءه في الحرب :

أولاً : رحمته صلى الله عليه وسلم بأعداء دينه

فقد شرع للحروب قواعد شريفة ألزم التقيد بها على جنوده وقوادها ، ولم يسمح لهم الخروج عنها بحال ،ففي غزوة مؤتة أوصى النبي صلى الله عليه وسلم صحابته قائلاً : (اغزوا باسم الله وفي سبيل الله ، وقاتلوا من كفر بالله . اغزوا ولا تغدروا ، ولا تغلوا ولا تمثّلوا ، ولا تقتلوا وليدا ولا أصحاب الصوامع) رواه أحمد وغيره من أصحاب السنن .

وكان صلى الله عليه وسلم يوصي جيشه المقاتل بألا يضرب إلا من يضربه أو يرفع عليه السلاح ، وكان يقول «لا تقتلوا امرأة ولا وليداً ولا شيخا ولا تحرقوا نخيلا ولا زرعا، كما كان يحرص على عدم التمثيل بهم أو المبالغة في إهانتهم،فيقول: «اجتنبوا الوجوه ولا تضربوها»!! [١٥٠]

ومن أمثلة رحمته بأعداءه، أنه كان يستجيب إلى توسلات الأعداء ويحاورهم، بل ويرضيهم بتحكيم رجل منهم بعد أن خانوعهده صلى الله عليه وسلم ؛ ففي غزوة بني قريظة لماُ علن عن نزول بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم توافد رجال الأوس على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت ، وهو أنه وهب بني قينقاع لابن أبي الخزرجي لما ألح عليه في ذلك شافعاً فيهم بوصفهم مواليه أي أحلاف الخزرج ، فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه : «ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟» قالوا: «بلى»، فقال «فذلك إلى سعد بن معاذ»

وفي نفس الغزوة لما أعدم النبي صلى الله عليه وسلم-نزولا على حكم سعد بن معاذ فيهم- كل من أنبت الشعر واحتلم من ذكران بني قريظة ،إلا رفاعة ، فقد استوهبته

١٥٠ المصدر السابق،ص٩١١

سلمى بنت قيس أم المنذر النجارية النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت: < بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، هب لي رفاعة فإنه قد زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل> ، فوهبه لها ،فاستحيَتْه [١٥١]

وعند فتح مكة أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رايته سعد بن عبادة وهو أمام الكتيبة ، فلما مر سعد براية النبي صلى الله عليه وسلم نادى : يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة اليوم أذل الله قريشا فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا حاذى أبا سفيان ناداه يا رسول الله أمرت بقتل قومك ؟ زعم سعد ومن معه حين مر بنا قال « يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة اليوم أذل الله قريشا « وإني أنشدك الله في قومك ، فأنت أبر الناس وأرحم الناس وأوصل الناس .

قال عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان : يا رسول الله ما نأمن سعدا أن يكون منه في قريش صولة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اليوم يوم المرحمة اليوم أعز الله فيه قريشا» قال وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد فعزله وجعل اللواء إلى قيس بن سعد ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اللواء لم يخرج من سعد حين صار لابنه . فأبى سعد أن يسلم اللواء إلا بأمارة من النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمامته فعرفها سعد فدفع اللواء إلى ابنه قيس . قال فحدثني ابن أبي سبرة عن سعيد بن عمرو بن شرحبيل عن أهله قالوا : دخل والله سعد بلوائه حتى غرزه بالحجون .

وقال ضرار بن الخطاب الفهري : ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليا رضي الله عنه فأخذ اللواء فذهب علي عليه السلام بها حتى دخل بها مكة فغرزها عند الركن[١٥٢]

وفي فتح مكة أيضا قال لهم : (لا تُجهزنّ على جريح ، ولا تتبعن مدبراً ، ولا تقتلن أسيراً) ، وأمضى السنة بأن السفير لا يقتل ، وشدد في النهي عن قتل المعاهدين حتى قال : (من قتل معاهداً لم يُرِحْ رائحة الجنة ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة

١٥١ أبو بكر الجزائري، مصدر سابق، ص٩٠٢

١٥٢ mth.٩٨٥١agm=f?psa.yalpsid/moc.malsi-la.haris//:ptthموسوعة السيرة النبوية ، متاح في:

أربعين عاماً) ، إلى غير ذلك من القواعد النبيلة التي طهرت الحروب من أدران الجاهلية حتى جعلتها جهاداً مقدساً .[١٥٣]

وفي حنين لما انتصر المسلمون نصراً سريعاً كان لذلك أثره على نفوسهم، فحنقوا على المشركين وقتلوهم حتى شرعوا في قتل الذرية، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : < ما بال أقوامبالغوا في اَلقتل حتى قتلوا الولدان > ؟ فقال أسيد بن خضير: أوليس آباؤهم أولاد المشركين؟ فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: « أوليس خياركم أولاد المشركين؟ إنه ليس من مولود يولد إلا على لفطرة حتى يبلغ فيعبر عنه لسانه، ويهوِّده أبواه أو ينصِّرانه).

١٥٣ نظرة على الغزوات ، متاح في:

mth.xedni/tawazahg/anidam/hares/ten.haresla//:ptth

عفوه عن المسيئين إليه من أعدائه

لقد بلغ الأمر فى الخصومة بينه وبين قريش حدا لم يصل يوما ما بين فريق وفريق فقد ألقوا عليه التراب وحاولوا قتله وأتهموا زوجه بالافك . واتهموه بأنه ساحر وكذاب ومجنون , وسقوا أصحابه كئوس العلقم خلال ثلاثة عشر حجة[١٥٤] ومع ذلك فلما أمكنه الله منهم عفا عنهم

، فقد لقي الرسول منذ اليوم الأول لدعوته خصوما وأعداء يكيدون له ويحسدونه ويحقدون عليه , ما وسعهم الكيد و الحسد والحقد وقد واجه ذلك كله بالصبر و الصمود و الإحسان لمن يسئ و العفو عمن يظلم .

وكان آل محمد من قريش , وأعمامه أول خصومه , وامتدت خصومة قريش له ثلاثة عشر عاما كاملا في مكة , فما كان يشغل قريشا إلا هذا الأمر الجديد الذي جاء به الرسول , فهي مصبحة وممسية وهو حديث سرها وجهرها , ونجواها في ناديها وقصتها التي لا تنتهي .

ولما انتقل الرسول إلى المدينة واجهته خصومة من نوع آخر , ممثلة في اليهود و المنافقين .

وبدأ الاضطهاد في مكة حين حوصر المسلمون فى الشعب ثلاث سنوات لا يباع لهم ولا يبتاعون , حتى اضطر أغلبهم إلى الهجرة للحبشة , واضطر محمد صلوات ربي وسلامه عليه بعد موت عمه أبى طالب إلى اللجوء للطائف يطلب المنعة , فلم يلق إلا لونا جديدا من العنت و الأذى .

وكان أبو لهب يمضى وراء رسول الله يحرض عليه كل من يستمع إليه , فلما عزم المسلمون على الهجرة دبرت قريش تلك المؤامرة الضخمة لقتل الرسول . وترصدوا له حول حجرته حتى علموا أن عليا هو النائم في فراشه و المتسجى ببرده .

---

١٥٤ حجة: أي سنة

وفى المدينة بدأ اليهود حملة من الحجاج والتأمر و الكيد و التكذيب , وأعانهم المنافقون الذين تظاهروا بالإسلام مبطنين له الكيد , محرضين على حرب المسلمين , وكان على رأس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول.

وكان الرسول حريصا على أن يُغضي الطرف عن هذه المؤامرات ويُعرض عنها آخذاً بالعفو آمراً بالمعروف، فلم يأذن بمواجهة هؤلاء المنافقين إلا بعد أن طفح الكيل وخيف على الدعوة نفسها[١٥٥]

وفي أُحد لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم في ألف مقاتل وسلك بمن معه من المؤمنين على البدائع في حرة بني حارث ، ومروا بحائط لمربع بن قيظي ، وكان منافقاً؛ فلما سمع حِس رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين رفع حفنة من تراب وقال :«والله لو أعلم أن لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك»، فبدره سعد بن زيد بضربة شج بها رأسه، وابتدره رجال ليقتلوه ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : «دعوه، لا تقتلوه،فإنه أعمى القلب ، أعمى البصر» [١٥٦]

وهذا موقف آخر في أُحد ، حين لم يدعُ على من تسببوا في جراحه فقد أخرج ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جريروابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في ناسخه و البيهقي في الدلائل عن أنس أن النبيصلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في وجهه حتى سال الدم على وجهه فقال: «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم؟» فأنزل الله : «ليس لكَ من الأمر شيءأو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون »(آل عمران-٨٢١)، فقال صلوات الله عليه وسلامه شفقة بهم : «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» .

وموقف ثالث في أُحُد مع من مثّل بجثمان عمه الحبيب سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ،قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما رأى جثمان حمزة لولا أن تحزن صفيّة أخت حمزة ويكون سُنَة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع و حواصل الطير؛ ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلنّ بثلاثين

١٥٥ أنور الجندي. أقتباس من السيرة ا لعطرة ، ص ١١١٣-١١٥

١٥٦ أبو بكر الجزائري، مصدر سابق، ص١٧٠-١٧١

رجلا منهم وهنا صاح أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم «والله لئن ظفرنا بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مُثله لم يمثلها أحد من العرب» ؛ و لم يكد رسول الله صلى الله عليه وسلم يفرغ من إلقاء وعيده هذا حتى جاءه الوحي وهو في مكانه لم يبرحه: «ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ «(النحل:٥٢١-٦٢١)

وكان نزول هذه الآيات خير تكريم لأسد الله ورسوله وسيد الشهداء الذي وقع أجره على الله ، فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر ،ونهى عن المُثلة بالقتلى[١٥٧] ثم اسلم وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وحسُن إسلامه ، ثم عفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم رغم كراهية النبي لفعله!

ويبدو واضحاً أنه لم يكن يحقد على أعداءه بسبب أذاهم له،وإنما يرجو لهم الخير ويأمل في هدايتهم ، ويتضح ذلك في القصة التي حدثت قبل سرية عمرو بن أمية الضمري ....فمازال أبو سفيان يتحسر على فوته قتل النبي حين خاب أمله في أُحُد، ومن هنا فكر في فكرة خسيسة وهي إرسال من يغتال محمداً صلى الله عليه ، فقال لنفر من قريش بمكة: «ما أحد يغتال محمداً ؟ فإنه يمشي في الأسواق فندرك ثأرنا» فأتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله وقال له: إن أنت وفيتني وخرجت إليه حتى أغتاله فإني هاد بالطريق خرّيت معي خنجر مثل خافية النسر. قال: أنت صاحبنا. وأعطاه بعيرا ونمقه وقال: اطو أمرك فإني لا آمن أن يسمع هذا أحد فينميه إلى محمد؛ فقال الأعرابي: « لا يعلمه أحد» فخرج ليلا على راحلته فسار خمسا وصبح ظهر الحي يوم سادسه ثم أقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المصلى فقال له قائل: قد توجه إلى بني عبد الأشهل. فخرج الأعرابي يقود راحلته حتى انتهى إلى بني عبد الأشهل فعقل راحلته ثم أقبل يؤم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده في جماعة من أصحابه يحدث في مسجده فلما دخل ورآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه إن هذا الرجل يريد غدرا والله حائل بينه وبين ما

١٥٧ محمد مهدي عامر،قصة كبيرة في تاريخ السيرة ،ص٣٨١-٤٨١

يريده فوقف وقال أيكم ابن عبد المطلب. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا ابن عبد المطلب فذهب ينحني على رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه يساره فجبذه أسيد بن حضير وقال تنح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجذب بداخلة إزاره فإذا الخنجر فقال يا رسول الله هذا غادر. فأسقط في يد الأعرابي وقال دمي دمي يا محمد وأخذه أسيد بن حضير يلببه.

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: اصدقني ما أقدمك فإن صدقتني نفعك الصدق وإن كذبتني فقد أطلعت على ما هممت به قال الأعرابي: فأنا آمن قال: وأنت آمن فأخبره بخبر أبي سفيان وما جعل له فأمر به فحبس عند أسيد بن حضير ثم دعا به من الغد فقال: قد آمنتك فاذهب حيث شئت أو خير لك من ذلك قال: وما هو؟ فقال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فقال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأنك أنت رسول الله ،والله يا محمد ما كنت أفرق من الرجال فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت ثم اطلعت على ما هممت به مما سبقت به الركبان ولم يطلع عليه أحد فعرفت أنك ممنوع وأنك على حق وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان» فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يتبسم وأقام أياما ثم استأذن النبي صلى الله عليه وسلم فخرج من عنده ولم يسمع له بذكر.[١٥٨]

وقصة أخرى: ذكر ابن إسحاق في سياقه لغزوة بني قريظة ما يفيد أن النبي صلى الله عليه وسلملما أمره جبريل عليه السلام بعد غزوة الخندق؛ بالخروج إلى بني قريظة لغدرهم، وخيانتهم، ونقضهم للعهد، أمر عليه الصلاة والسلام علياً أن يتقدم أمامه بالراية إلى بني قريظة، فسار علي بالراية حتى دنا من حصون القوم، فسمع مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلمبالطريق، فقال: يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخباث قال: ولِمَ؟ أظنك سمعت منهم لي أذى؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا»[١٥٩]

١٥٨ أبو بكر الجزائري . هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب، ص٨٨١

١٥٩ عبد العزيز سليمان السلومي. دور علي بن أبي طالب رضي الله عنه في غزوات وسرايا النبي صلى الله عليه وسلم : دراسة تاريخية توثيقة .-مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة ، ع ٠٢ ، متاح في : www.al-madinah.org/madina/docs/magazine_articles/٠٢-٦.doc

ومن أحاديث عفوه عن خصومه أنه في الحديبية ، كما روى أنس رضي الله عنه قال إن ثمانين نزلوا على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من جبل التنعيم عند صلاة الصبح، يريدون أن يقتلوه [١٦٠]فأخذوا فأعتقهم النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى سورة الفتح:

«وَهُوَ الّذِي كَفّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُم وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً « آية ٤٢- رواه مسلم والترمذي وأبو داود

و قصة « كعب بن زهير « ...ففي يوم الفتح الأعظم عفا عما فعله به أهله من قريش ، فعن علي بن محمد بن عبيد الله . عن منصور الحجبي عن أمه صفية بنت شيبة . عن برة بنت أبي تجراة قالت أنا أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من البيت فوقف على الباب وأخذ بعضادتي الباب فأشرف على الناس وبيده المفتاح ثم جعله في كمه .

قالوا : فلما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس وقد ليط بهم حول الكعبة فهم جلوس . قال «الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ماذا تقولون وماذا تظنون ؟ «قالوا : نقول خيرا ونظن خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإني أقول كما قال أخي يوسف : «قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ»[١٦١]

وفي يوم الفتح أيضاً خرج أناس هاربين ومن جملتهم كعب وأخوه بجير الذي كان شاعرا أيضا. ثمإن بجيرا أتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فسمع كلامه وآمن به وأقام عنده. فبلغ ذلك كعبا فشق عليه إسلام أخيه بجير فكتب إليه بأبيات يعتب عليه ويلومه،وأولها:

ألا بلغا عني بجيرا رسالة....فهل لك فيماقلت ويحك هل لكا

فلما وقف بجير عليها أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة

١٦٠ يلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد جاء وأصحابه يريدون أداءالعمرة وليس القتال

١٦١ موسوعة السيرة ، متاح في :
mth.٣٩٥١agm=f?psa.yalpsid/moc.malsi-la.haris//:ptth

والسلام: من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله ، وذلك عند انصرافه من غزوة الطائف التي كانت بعد فتح مكة. فكتب إليه يخبره : أن الرسول أهدر دمه , فان كان له حاجة فليذهب إليه فانه لا يقتل من جاءه تائبا. فبلغ ذلك كعب فأشفق على نفسه وقال قصيدة يمدح بها النبي عليه الصلاة والسلام ثم خرج إلى المدينة يريد الإسلام.

فلما وصل إليها نزل على رجل من جهينة يعرفه، فأتى به إلى المسجد ثم أشار إلى رسول الله صلىالله عليه وسلم وأمره أن يقوم إليه ويستأمنه. فقام كعب إلى النبي عليه الصلاةوالسلام حتى جلس بين يديه فوضع يده في يده، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايعرفه، ثم قال يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم، فقال كعب: يارسول الله أنا كعب بن زهير، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : الذي يقول ما قال،فوثب عليه رجل من الأنصار فقال يا رسول الله دعني والله أضرب عنقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعه عنك فقد جاءنا تائبا نازعا، أي خارجا من الكفر، ثم أنشدكعب بن زهير قصيدته «بانت سعاد» بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسمع فلما وصل إلى:

إن الرسول لسيف يُستضاء به*** مهنّد من سيوف الله مسلول

ألقى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بُردته التي كانت عليه.
وقد بذل معاوية بن أبي سفيان لكعب في هذه البردة عشرة آلاف منالدراهم، فقال كعب : ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا، فلمامات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفا من الدراهم فأخذها منهم.[١٦٢]

* * *

وطلب عمر من النبي أن يخلع ثنيتي سهيل بن عمرو فلا يقوم خطيبا فلم يقبل النبى صلى الله عليه وسلم وقال لعمر رضي الله عنه : «لا أمثِّل به فيمثّل الله بي»

---

١٦٢ أنور الجندي. أقباس من السيرة العطرة ، ص٦١١-٧١١

وعسى أن يقوم مقاما لا تذُمُّه وقد كان . فلما ارتدت العرب وهم أكثر أهل مكة . وخافهم عتاب بن أسيد عامل النبي . قام سهيل فحمد الله وأثنى عليه . ثم ذكر وفاة النبي وقال . ان ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة فمن رأينا ضربنا عنقه .

ويتجسد عفوه صلى الله عليه وسلم حين كان في غزوة ذي أَمَر ، وثيابه صلى الله عليه وسلم مبتلة من المطر الغزير الذي نزل بهم ، فجلس تحت شجرة ونشر ثيابه لتيبس من البلل ، فرآه المشركون المعتصمون برؤوس الجبال خالياً وحده ، فنزل رجل منهم يقال له غورث ، أو دعثور بن الحارث ، نزل بإيعاز من إخوانه المشركين، وكان أشجعهم وأقدرهم على القتال ، فمشى حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد سل سيفه ، وقال: «ما يمنعك مني؟» فقال صلى الله عليه وسلم: «الله!!» فسقط السيف من يده ،فأخذه النبي الكريم وقال: «من يمنعك مني؟» قال دعثور: «لا أحد ، وأنا أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ووالله لا أُكثر عليك جمعاً ً أبداً، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفاً فرجع إلى قومه ، فقالوا له : «ويلك مالك؟» فقال لهم : «نظرت إلى رجل طويل فدفع في صدري فوقعت لظهري، فعرفت أنه مَلَك ، وشهدت أن محمداً رسول الله ، ووالله لا أُكثر عليه جمعاً، وجعل يدعو قومه إلى الإسلام ،وقد نزل في هذه الحادثة وفي نظائرها قوله تعالى : «يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّه عَلَيْكُمْ إِذْ هَمّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتّقُوا اللّهَ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكّلِالمؤمنون» (المائدة-١١) «[١٦٣]

وهكذا نراه صلى الله عليه وسلم قد عفا عنه بعد أ ن تمكن منه ، لأن إسلامه كان أحب إليه من قتله !!!

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يوصي الجنود بأعدائهم ، ويضع لهم ضوابط القتال في الإسلام، التي توضح أخلاقه حتى مع أعداءه:

روى أبو داود عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

١٦٣ أبو بكر الجزائري، مصدر سابق ، ص٥٦١

انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّه، وَبِاللَّه، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا، وَلَا طِفْلًا صَغِيرًا، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا تَغُلُّوا، وَضُمُّوا غَنَائِمَكُمْ، وَأَصْلِحُوا، وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.

ويقول فيما رواه الإمام مسلم عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

اغزُوا فِي سَبِيلِ اللَّه، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا الْوَلِيدَ، وَلَا أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ.

هذه هي أخلاق الحروب في الإسلام، ليس فيها قتل لمدنيين أو غير محاربين وليس فيها إبادة جماعية ولا تدمير عشوائي، فليس في تاريخنا ما يشبه ما حدث في هيروشيما ونجازاكي وفيتنام وكوريا ودوسلدورف بألمانيا. ليس في تاريخنا ما يشبه ذلك من قريب ولا من بعيد.

والرائع في قصة القتال في الإسلام أن هذه الضوابط والتشريعات الأخلاقية لم تأت نتيجة تطور معين في الحضارة الإسلامية على مدار السنين والقرون، إنما نزلت في أول تشريع القتال، ونزلت بهذا التكامل وهذا السمو وهذه العظمة مما يثبت بما لا يدع أي مجال للشك أن هذا المنهج رباني، وأن هذه التشريعات إلهية، وأنه لا مقارنة مطلقًا بين قوانين السماء المتكاملة والتامة وبين قوانين الأرض الوضعية والتي يعتريها النقص في كل بند من بنودها[أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ] {المائدة:٥٠}.[١٦٤]

وقصة أخرى من قصص عفوه الكريم ، قصة عفوه عن حاطب ابن أبي بلتعة ، فقد روى علي رضي الله عنه قائلاً: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اوالزبير والمقداد ، فقال : إنطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب ، فخذوه منها ، فانطلقنا حتى أتينا روضة خاخ ، فقلنا : أخرجي الكتاب ، فقالت ما معي من كتاب ، قلنا لتُخرجِنّ الكتاب أو لنقلبنّ الثياب فأخرجوه من عقاصها فأتينا به النبي

١٦٤ راغب السرجاني. قصة الإسلام : فرض القتال على المسلمين /+, ١/٥/٢٠٠٦، شوهد في ٢٨/٧/٢٠٠٧، على الموقع : .=DInoitceS&٥,٢,١=DIelcitrA?xpsa.elcitrA/moc.yrotsmalsi.www//:ptth

صلى الله عليه وسلم فإذا فيه :من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين ، يخبرهم أمراً من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صلوات ربي وسلامه عليه : يا حاطب ما هذا ؟ فقال يا رسول الله لا تعجل عليّ إني كنت امرأ مُلصقاً في قومي وكان مَن معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهليهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك منهم من النسب أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي ،ولم أفعل ذلك كفراً ، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ولا ارتداد عن ديني ، فقال صلى الله عليه وسلم « إنه قد شهد بدراً وما يدريك ؟ لعل الله عز وجل اطّلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم (صحيح أخرجه أحمد)»[١٦٥]

ولما تآمر عليه المنافقون ليقتلوه وهو في طريق عودته من تبوك إلى المدينة ، وعلم بهم وقيل له فيهم،عفا عنهم وقال:» لا يُتحدّث أن محمداً يقتل أصحابه!!!) [١٦٦]

وحين كان الكفار ينادونه ب» مذمم» بدلاً من «محمد»، وغضب أصحابه صلى الله عليه وسلم...كان يقول لهم:» دعوهم فإنما يشتمون» مُذمّماً»، وأنا «محمد»!!! [١٦٧]

ولما دخل المسجد الحرام صبيحة الفتح ووجد رجالات قريش - الذين طالما كذّبوه ، و أهانوه ،وعذبوا أصحابه وشردوهم- جالسين مطأطئي الرؤوس ينتظرون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتح فيهم،فإذا به يقول لهم:» يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟» قالوا:» أخ كريم ، وابن أخ كريم»،قال:» إذهبوا فأنتم الطلقاء!!!» فعفا عنهم بعد أن ارتكبوا من الجرائم في حقه وحق أصحابه ما لا يُحصى عدده!!!

«وبهذا فقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم السّبق و الريادة في مجال العفو العام ،الذي لم يكن معروفا من قبله !!!»[١٦٨]

١٦٥ عصام الدين سيد الصبابطي.- القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩١، ص ٦٤

١٦٦ أبو بكر الجزائري،هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب، ص١٤٣-٢٤٣

١٦٧ المصدر السابق،ص٢٤٣-٣٤٣

١٦٨ no snoitcefleR milsuM :tehporP a erofeB gnieB namuHA. M deyaS-lE ,nimA :morf elbaliava, retcarahC s‹dammahuM

و لما استقر بالنبي صلى الله عليه وسلم المقام في مكة بعد فتحها، بعث عدداً من السرايا حول مكة تدعو إلى الله عز وجل، ولم يأمرهم بقتال، وكان ممن بعث خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة، فوطئ بني جذيمة وأصاب منهم، وقتل منهم، وانفلت منهم رجل فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلموأخبره الخبر فقال: ((اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد))، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلمعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: ((يا علي، اخرج إلى هؤلاء القوم، فانظر في أمرهم، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك))، فخرج علي رضي الله عنه حتى جاءهم، ومعه مال قد بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوَدَى[١٦٩] لهم الدِّماء وما أصيب لهم من الأموال، حتى إنه ليدي لهم ميلغة الكلب، حتى لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه، وبقيت معه بقية من المال، فقال لهم علي رضي الله عنه حين فرغ منهم: هل بقي لكم بقية من دم أو مال لم يود لكم؟ قالوا: لا، قال: فإني أعطيكم هذه البقية من هذا؛ احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما يعلم ولا تعلمون، ففعل ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره الخبر فقال: أصبت وأحسنت... الحديث([١٧٠])وأصل هذه الحادثة ذكرها البخاري في صحيحه.

ولما خرج وحشي – الذي قتل سيدنا حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد – وقدم على رسول صلى الله عليه وسلم المدينة ، ليشهد بشهادة الحق قال : فلما رآني قال : أوحشي قلت : نعم يا رسول الله . قال : اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة ، قال : فحدثته فلما فرغت من حديثي ، قال : ويحك ! غيب عني وجهك ، فلا أرينك . قال : فكنت أتنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يراني ، حتى قبضه الله (صلى الله عليه وسلم) ، ذلكم هو ضبط النفس والعفو في أحسن صوره رجل لا يستطيع رسول الله أن ينظر إلى وجهه ؛ وهو قاتل عمه ، وهو عبد لا أصل له ولا عشيرة يعفو عنه ، وأحب شئ إلى المسلمين أن يروا دمه كما رأوا أحشاء حمزة الذي طعنه بحبته[١٧١] (٢)

---

oZ=emanegap&٥٤٦٢٠٨٩٤٦٤٨١١=dic&C_elcitrA=c?etilletaS/telvres/moc.malsignidaer.www//:ptth
tuoyaLEIDF٢٪malsI_revocsiD-hsilgnE-en

١٦٩ ودى: أي دفع لهم المال على سبيل الدِّية (للقتلى الذين قتلهم خالد بن الوليد

١٧٠ ابن هشام ، عبد الملك. السيرة النبوية.

١٧١ المصدر السابق

ومن قصص العفو التي لا مثيل لها بين الناس عفو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سَلول ،فإن عبد الله هذا كان عدواً لدوداً بالمسلمين يتربص بهم الدوائر ويحالف عليهم الشيطان ويحيك لهم المؤامرات ولا يجد فرصة للطعن عليهم والنيل منهم إلا انتهزها ، وهو الذي أشاع قالة السوء على أم المؤمنين عائشة وجعل المرجفين يتهامسون بالإفك عليها ويهزون أركان المجتمع الإسلامي هزاً بهذا الاتهام الدنيء وتقاليد الشرق من قديم تجعل عِرض المرأة في الذروة من القداسة وتربط به كرامتها وكرامة أهلها الأبعدين والأقربين ولذلك كان حز الأمل قاسياً في نفس الرسول وأصحابه وكانت الغضاضة من هذا تلفيق الجرىء تملأ نفوسهم كآبة وغما حتى نزلت الآيات آخر الأمر تكشف مكر المنافقين وتفضح ما اجترحوا وتنوه بطهر أم المؤمنين ونقاء صفحتها ، ولقد أقيم الحد على من كانوا مخالب القط في هذه المأساة أما جرثومة الشر فإنه نجا ليستأنف كيده للمسلمين وسوق الأذى لهم ما استطاع وكتب الله الفوز لرسوله وجنده واكتسح الإسلام مخلفات القرون المخرفة وانحسر أعداؤه في حدود أنفسهم بل لقد دخلت عليهم من أقطارها وانكمش بن أُبي ثم مرض ومات بعدما ما ملأت رائحة نفاقه كل فج،وجاء ولده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب منه الصفح عن أبيه فصفح ثم طلب منه أن يُكفّن في قميصه فمنحه إياه، ثم طلب منه أن يصلي عليه وأن يستغفر له ، فلم يرد له الرسول الرقيق العفوّ هذا السؤال ، بل وقف أمام جثمان الطاعن في عِرضه بالأمس يستدر له المغفرة ،لكن العدالة العليا حسمت الأمر كله:(إستغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين) التوبة -٨٠ « [١٧٢]

١٧٢ محمد الغزاليخلق المسلم ،ج١ .- ص٣٢١-٤٢١

يوم فتح مكة _ رِقّتـــــه لأبي سفيان رغم ما فعله

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فاتحا عزيزا منتصرا، ودخل مكة في عشرة آلاف من أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم، وكما ذكرنا لم يلق مقاومة تذكر في مكة المكرمة، إلا عند منطقة واحدة، واستطاعت فرقة خالد بن الوليد رضي الله عنه أن تقضي على هذه المقاومة في لحظات، ودانت مكة لحكم المسلمين بعد أقل من يوم واحد من فتحها، والرسول صلى الله عليه وسلم دخل بموكبه المهيب إلى صحن الكعبة، اخترق مكة بكاملها حتى وصل إلى صحن الكعبة صلى الله عليه وسلم، وأول شيء فعله صلى الله عليه وسلم أنه بدأ في تكسير الأصنام، وكانت الأصنام كثيرة حول الكعبة، فقد كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما، وكانت موزعة حول الكعبة وفوقها وداخلها، غير هبل أعظم آلهتهم،وكان تكسير الأصنام خطوة سياسية في منتهى الروعة، فهذه الخطوة كسرت تماما كل معنويات مكة، فكل صنم يقع على الأرض يكسر من معنويات أهل مكة؛ لأن هذه الأصنام ظلت تعبد من دون الله ، لا أقول عشرات السنين، بل مئات السنين، ففي داخل مكة المكرمة أجيال وراءها أجيال تعبد هذه الأصنام، والجميع يعتقد في داخله أنها ستصيبه صلى الله عليه وسلم بضرر أو بسوء؛ لأنه كسرها، ومع ذلك لم يحدث له شيء، والجيش الإسلامي بكامله لم يحدث له شيء، وظهرت الحقيقة واضحة أمام أعين المشركين أنهم كانوا في ضلال مبين في كل هذه السنوات السابقة، وكانت خطوة كسر الأصنام مهمة للغاية؛ لأن القرشيين الكفار بعد هذا التكسير للأصنام خارت قواهم، وفقدوا كل أمل في المقاومة،

ولم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم بتكسير الأصنام في مكة المكرمة، بل حرص صلى الله عليه وسلم على تكسير الأصنام في كل المناطق المحيطة بمكة المكرمة، ونحن نعلم أن أهل مكة كانوا يعبدون كثيرا من الأصنام منها ما هو داخل مكة ومنها ما هو في خارج مكة، فأرسل صلى الله عليه وسلم سرية بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه وأرضاه لكسر العزى، وكان صنم العزى من أكبر الآلهة التي كانت تعبد من دون الله عز وجل، وأرسل سرية بقيادة سعد بن زيد رضي الله عنه وأرضاه لكسر صنم مناة، وكان من أشهر أصنام العرب أيضًا، وأرسل سرية بقيادة عمرو بن

العاص لهدم صنم سواع ، وصنم سواع من الأصنام المشهورة عند العرب، وكسر الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه صنم هبل في صحن الكعبة، ولم يبق إلا صنم مشهور من أصنام العرب، وهو صنم اللات، وكان موجودا في مدينة الطائف عند قبيلة ثقيف، وهو من أعظم الأصنام عند العرب، ولم يكسر إلا بعد إسلام ثقيف في السنة التاسعة من الهجرة، فالرسول صلى الله عليه وسلم كسر كل الأصنام حول مكة، وبذلك كسر كل معنويات قريش، وحطم كل أمل عندهم للمقاومة، وكانت هذه أول خطوة قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة.

واتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم خطوة مهمة في طريق تربية قريش على تعاليم الإسلام العظيمة، وحتى يفقهوا الإسلام على حقيقته، وهو أن الله عز وجل يعز من انتمى إلى هذا الدين، بصرف النظر عن جنسه وعن لونه وعن قبيلته، بل إن الذي لم ينتم إليه ذليل، ورآه المشركون من أهل قريش بأعينهم، فقد نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم على بلال رضي الله عنه وأرضاه ليؤذن للصلاة وهذه هي المرة الثانية التي يفعل فيها بلال هذا الأمر، فقد أَذّن في عمرة القضاء، والآن يقوم بنفس الأمر، ويصعد بلال رضي الله عنه وأرضاه فوق أشرف بقعة في الأرض؛ ليرفع الأذان لله عز وجل، وكلنا نتذكر ذكريات بلال في مكة، وهو يقول: أحد أحد.

في ذلك الوقت كان يهمس بها همسات لا يسمعها إلا من يعذبه، أما الآن فهو يعلو بها في كل أرجاء مكة المكرمة، والجميع مسلمهم و مشركهم يسمع إليه رضي الله عنه.

وكان أذان بلال رضي الله عنه من فوق الكعبة له أشد الأثر على المشركين، ودليل ذلك ما حدث من أبي سفيان بن حرب، وعتاب بن أسيد، والحارث بن هشام، وكان الثلاثة في فناء الكعبة يستمعون إلى بلال وهو يؤذن، وكان أبو سفيان قد أعلن إسلامه قبل ذلك بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن عتاب بن أسيد كان من الشباب في قريش، وكان عمره اثنتين وعشرين سنة، وهو ما زال مشركا، والحارث بن هشام أيضا ما زال مشركا، والحارث بن هشام أخو أبي جهل، فهم من كبار الزعماء في مكة، فقال عتاب بن أسيد وهو يعلق على أذان بلال رضي الله عنه وأرضاه فوق الكعبة:

لقد أكرم الله أسيدا ألا يكون سمع هذا، فسمع منه ما يغيظه، ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا؟

فقال الحارث بن هشام: أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته.

فقال أبو سفيان: لا أقول شيئا، فلو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصاة.

قد أدرك أبو سفيان أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي، وإذا تكلم سيعرف ذلك الوحي، وجاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هذه الكلمات، وقال قد علمت الذي قلتم، ثم ذكره لهم، وقال أنت يا فلان قلت كذا، وأما أنت يا فلان فقد قلت كذا كذا، فقال أبو سفيان:

أما أنا يا رسول الله فما قلت شيئا. فضحك صلى الله عليه وسلم

وقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله، ما اطلع على هذا أحد فنقول أخبرك.

وأسلموا في هذا الموقف العظيم، وعندما رأى بعض بني سعيد بن العاص بلالا يؤذن على الكعبة، قالوا: لقد أكرم الله سعيدا إذ قبضه قبل أن يسمع هذا الأسود على ظهر الكعبة.

وقال رجل من قريش للحارث بن هشام: ألا ترى هذا العبد أين صعد؟

فرد عليه الحارث بن هشام وقال: دعه فإن يكن الله يكرهه فسيغيره.

ونعتقد أن هذا الكلام قاله الحارث بن هشام بعد أن أسلم رضي الله عنه، وكان هذا في بداية إسلامه.

وسار بعض شباب قريش يستهزئ، ويقلد صوت بلال غيظا، حتى قلده أحد الشباب، وكان اسمه أبو محذورة الجمحي، وكان عمره ست عشرة سنة، ولكن صوته

كان جميلا، وكان من أحسن قريشا صوتا، فلما رفع صوته بالأذان مستهزئا سمعه الرسول صلى الله عليه وسلم، فاكتشف طاقة موجودة داخل مكة، فناداه، فمثل الرجل بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو يظن تمام الظن أنه مقتول؛ لأنه كان يستهزئ بالأذان، فمسح صلى الله عليه وسلم على صدر وناصية هذا الشاب بيديه الشريفة، فقال أبو محذورة:

فامتلأ قلبي بإيمان ويقين، فعلمت أنه رسول الله .

والرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن آمن هذا الشاب علمه الأذان وأصبح هو الذي يؤذن لأهل مكة بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، وظل الأذان في أبي محذورة، وعقبه بعد موته إلى فترة طويلة من الزمان، فقد وضح الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الأذان لقريش أن الله عز وجل يعز من يشاء ويذل من يشاء، وأن العزة الحقيقية لا تكون إلا بالإسلام، وفهم القرشيون ذلك في هذا الموقف العظيم.

وجاء رجل آخر قبيل الفتح ، كان عاقاً مسرفاً في هجوه وإيذائه للرسول وهو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وطلب الإذن عليه فقال : لا حاجة لي به وقد هتك عرضي ! وكان مع أبي سفيان ابناَ له ، فقال : والله ليأذن لي أو لأخذن بيد ابني هذا لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رق له فدخل عليه وعفا عنه فقال :

لعمرك إني يوم أحمل راية ... لتغلب خيل اللات خيل محمـد

لكالمدج الحيران أظلم ليلـة ... فهذا أواني حين أهدي وأهتدي

عن ابن عَبّاس رضي الله عنه قال: « لَمّا نَزَلَ النّبيُّ صلى الله عليه وسلم بِمَرّ الظّهْرَانِ قالَ الْعَبّاسُ قُلْتُ: وَ الله لَئِنْ دَخَلَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم مَكّةَ عَنْوَةً قَبْلَ أنْ يَأْتُوهُ فَيَسْتَأْمِنُوهُ إنّهُ لَهلاَكُ قُرَيْشٍ، فَجَلَسْتُ عَلَى بَغْلَةِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ : لَعَلّي أجِدُ ذا حَاجَةٍ يَأْتِي أهْلَ مَكّةَ فَيُخْبِرُهُمْ بِمَكَانَ رَسُولِ الله صلى الله عليه

وسلم لِيَخْرُجُوا إلَيْهِ فَيَسْتَأْمِنُوهُ فَإِنِّي لأَسِيرُ إِذْ سَمِعْتُ كَلاَمَ أبا سُفْيَانَ وَبُدَيْلُ بنُ وَرْقَاءَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا حَنْظَلَةَ، فَعَرَفَ صَوْتِي، فقالَ أَبُو الْفَضْلِ، قُلْتُ: نَعَمْ، قال مَالَكَ فِدَاكَ أبِي وَأُمِّي ؟ قُلْتُ: هذا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وَالنَّاسُ ، قال: فَمَا الْحِيلَةُ؟ قال: فَرَكِبَ خَلْفِي وَرَجَعَ صَاحِبُهُ، فَلَمّا أَصْبَحَ غَدَوْتُ بِهِ عَلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فَأَسْلَمَ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إنّ أبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هذا الْفَخْرَ فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئاً ، قال: نَعَمْ مَنْ دَخَلَ دَارَ أبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ المَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ. قال: فَتَفَرّقَ النّاسُ إلَى دُورِهِمْ وَإلَى المَسْجِدِ » رواه أبو داود ..[١٧٣]

حِكمة الرسول صلى الله عليه وسلم في إحكام التخطيط لفتح مكة:

لقد تم فتح مكة بحرب عسكرية، وحرب سياسية، وحرب معنوية، وأتقن الرسول صلى الله عليه وسلم كل هذه الحروب بمنتهى الدقة، حرب عسكرية أعد لها الجيش إعدادا قويا، وقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم خطة محكمة تخفي تحركات الجيش قدر المستطاع، حتى وصل إلى قريش دون أن تعلم بوصوله إلا على بعد اثنين وعشرين كيلو مترا من مكة المكرمة، وأدار حربا سياسية بارعة عندما حيد أبا سفيان زعيم مكة، بل استخدمه لصالح المسلمين في منع القرشيين من المقاومة عند دخول الجيش الإسلامي إلى مكة المكرمة، ثم مارس الحرب المعنوية بكل أشكالها ابتداءً من إظهار عدد الجيش الإسلامي، وإشعال النيران، وجَعْل أبي سفيان يرى الجيوش الإسلامية الكثيرة، والقبائل المتعددة، وكسر الأصنام، وأذان بلال فوق الكعبة، وكل هذا تحطيم لمعنويات القرشيين لتخمد عندهم روح المقاومة الحقيقية، إنه إعداد باهر ومتقن وحكيم، يبرز لنا كيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين القيادة وبين النبوة صلى الله عليه وسلم... لم يكتف الرسول بهذا الإعداد القوي ليفتح مكة، بل لجأ إلى وسيلة قلما يلجأ إليها زعيم من زعماء الدنيا بصفة عامة، وهى وسيلة امتلاك قلوب الشعب الذي فُتِح الآن على يدي الرسول صلى الله عليه وسلم، والرسول صلى الله عليه وسلم يعلم ما بداخلهم من الحقد

---

١٧٣ رحمة الحبيب صلى الله عليه وسلم مع الكفار والمشركين ، متاح في:

mth.neekrhsm/aamhar/moc.eebanla.www//:ptth

والحسد؛ لذلك أراد صلى الله عليه وسلم أن يؤلف قلوبهم، ورأينا أن الرسول صلى الله عليه وسلم ألف قلب أبي سفيان بإعطائه الفخر، وأبو سفيان زعيم قبيلة بني أمية، وبنو أمية قبيلة كبيرة داخل قريش،

وقد ألّف الرسول صلى الله عليه وسلم قلب أحد أكبر القبائل القرشية داخل مكة المكرمة، ثم يؤلف الرسول قلب قبيلة أخرى كبيرة في قريش، فعندما دخل الرسول الكعبة المكرمة، وصلى فيها، ثم خرج، نادى على عثمان بن طلحة رضي الله عنه الذي أسلم في أوائل العام الثامن من الهجرة قبل فتح مكة بعدة شهور مع عمرو بن العاص وخالد بن الوليد في يوم واحد، وعثمان بن طلحة من بني عبد الدار، وبنو عبد الدار من أعظم القبائل القرشية، وفيها شرف كبير، وهي حاملة مفتاح الكعبة لسنوات طويلة قبل ذلك، والرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت نادى على عثمان بن طلحة، وأمره أن يأتي بمفتاح الكعبة، والجميع ظن أن الرسول صلى الله عليه وسلم سيأخذ منه مفتاح الكعبة؛ ليعطيه لأحد أقاربه من بني هاشم، بل إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه طلب ذلك صراحة، وأن يضم مفتاح الكعبة إلى شرف بني هاشم، فعندهم السقاية، و الحجابة، فيكون عندهم أيضا مفتاح الكعبة، فيكون ذلك شرف لهم، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ المفتاح ووضعه في يد عثمان بن طلحة رضي الله عنه، ونرى في هذا الموقف مدي العظمة والحكمة، فقد دار بينه صلى الله عليه وسلم وبين عثمان بن طلحة حوار قبل الهجرة، وطلب فيه الرسول صلى الله عليه وسلم من عثمان بن طلحة أن يعطيه مفتاح الكعبة ليدخل الكعبة، ولكن عثمان بن طلحة رفض في ذلك الوقت، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: يَا عُثْمَانَ لَعَلَّكَ تَرَى هَذَا الْمِفْتَاحَ يَوْمًا بِيَدِي أَضَعُهُ حَيْثُ شِئْتُ. فقال عثمان: لقد هلكت قريش يومئذ وذلت.

فقال: بَلْ عَمَرَتْ وَعَزَّتْ يَوْمَئِذٍ.

ومرت الأيام وجاء صلى الله عليه وسلم فاتحا مكة المكرمة، وطلب المفتاح من عثمان بن طلحة، ودون تردد أتى عثمان بالمفتاح، وهو الآن قد أصبح من الصحابة المؤمنين البررة، فأتى بالمفتاح، ووضعه في يد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو يظن أن الرسول صلى الله عليه وسلم سيعطي المفتاح إلى إنسان غيره، ولكن الرسول

صلى الله عليه وضع المفتاح مرة ثانية في يد عثمان بن طلحة، وقال: هَاكَ مِفْتَاحُكَ يَا عُثْمَانُ، الْيَوْمَ يَوْمُ بِرٍّ وَوَفَاءٍ، خُذُوهَا خَالِدَةً تَالِدَةً، لَا يَنْزِعُهَا مِنْكُمْ إِلَّا ظَالِمٌ.

وظل مفتاح الكعبة مع بني عبد الدار، وهو إلى الآن في نسل بني عبد الدار، وهذا الموقف من أروع الموقف التي استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكسب به قلوب بني عبد الدار جميعا، وشعرت بنو عبد الدار أن الرسول صلى الله عليه وسلم ينزل الناس منازلهم، وسيبقى لهم على الفخر الذي كان لهم، وبذلك استطاع صلى الله عليه وسلم أن يسيطر على الموقف إلى درجة كبيرة في داخل مكة المكرمة، وقبل ذلك استطاع أن يكسب قلوب بني أمية، والآن هو يكسب قلوب بني عبد الدار.

لقد فعل صلى الله عليه وسلم أمرا من المستحيل أن تجده في تاريخ أي دولة من الدول، وقف الرسول الله صلى الله عليه وسلم في صحن الكعبة، ونادى على شعب مكة جميعا أن يأتوا إلى الكعبة، فأتوا جميعا وهم في حرج شديد بعد صراعهم الطويل مع الإسلام والمسلمين، وإيذاء للرسول صلى الله عليه وسلم، ومصادرة للأموال والديار، وقتل بعض الأصحاب وجلد وتعذيب، وغيرها، تاريخ طويل من العناء من أهل مكة، وسألهم الرسول صلى الله عليه وسلم –كما أسلفنا-سؤالا واحدا بسيطا: مَا تَظُنُّونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟

ما تنتظرون مني بعد الذي فعلتموه معي ومع أصحابي من إيذاء في هذه السنوات المتتالية، وكان الطبيعي أن يأخذ كل أهل مكة أسرى وسبايا وغنائم، فهذا فتح عسكري، ودخل الرسول صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة بالقوة، وأحاطها بعشرة آلاف مقاتل، ولكن الرؤية كانت واضحة عنده صلى الله عليه وسلم، فهو لم يدخل مكة؛ ليهلك أهلها، ولم يفتح بلدا من البلاد سواء مكة أو غير مكة ليهلك أهلها، بل كان دائما حريصا على إسلامهم، وإسلام رجل كان أحب إليه من أموال الدنيا جميعا، وعلم الرسول صلى الله عليه وسلم أن قوة أهل مكة قد انهارت، ورأوا أصنامهم قد كسرت، وأصبح صلى الله عليه وسلم يأمل في إسلامهم، فهم على مقربة من الإسلام ولم يبق إلا أن ينطقوا بالشهادة؛ لذلك قال لهم صلى الله عليه وسلم وهو يتلطف بهم، ويشعرون ذلك في نبرات صوته:

مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟

فقالوا: أخ كريم وابن أخ كريم.

فقريش الآن في أزمة شديدة، والرسول صلى الله عليه وسلم لم يرد عليهم: أنتم تعلمون ذلك منذ زمن بعيد، وتعلمون أني أشرف العرب نسبا، وأشرف قريش نسبا، والصادق الأمين، وكل ذلك أنكرتموه بعد أن نزلت عليه الرسالة، ولم يذكرهم الرسول صلى الله عليه وسلم، بكل ذلك ولم يعنفهم...

بل قال في سماحة ورحمة: أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفَ: [لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] {يوسف:٢٩}اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاء

فأطلقهم جميعا مَنّا بغير فداء، مع أنه كان من الممكن أن يأخذهم أسرى، والدولة الإسلامية في مرحلة النشأة، وتحتاج إلى أموال ومع ذلك أطلقهم؛ لأن إسلامهم أحب إليه من أموال الدنيا كلها.[١٧٤]

«إن النبي صلى الله عليه وسلم المنتصر لم يكن طالب ثأر ولا ناشد قِصاص ، بل كانت الرغبة المستولية عليه أن يفتح أقفال القلوب ، وأن ينقذ التائهين الحيارَى،وأن يعالج الأخطاء القديمة بالرفق ،وأن يتلقى الأحقاد القديمة بالعفو ، وأن يحبب الناس في الإسلام ،وان تقر عيناه برؤيتهم يدخلون فيه أفواجاً ، لأنه رحمة مهداه ، ورسول يقود العباد إلى ربهم، وليس بشراً ينزع إلى التسلط والجبروت ، ما انتقم لنفسه قط ولا طلب لها علواً في الأرض.

١٧٤ راغب السرجاني.إسلام مكة ، ١/٥/٦٠٠٢ ، شوهد في : ٧٢/٧/٧٠٠٢، على موقع: /moc.yrotsmalsi.www//:ptth ٥٢,٢,١=DIelcitrA?xpsa.tnirPelcitrA

عفوه عن صفوان بن أمية بن خلف

كان أبوه من أشد المعاندين للرسول صلى الله عليه وسلم، ومن الذين قتلوا في بدر، وورث صفوان بن أمية هذه الكراهية من أبيه للإسلام والمسلمين، وحارب الرسول صلى الله عليه وسلم بكل طاقته، وكان ممن التف حول ظهر المسلمين في أحد هو وخالد بن الوليد رضي الله عنه، واشترك اشتراكا كبيرا في قتل سبعين من شهداء الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، واشترك أيضا في غزوة الأحزاب، بل كان من الذين شاركوا في عملية القتال في داخل مكة المكرمة، بل إن صفوان بن أمية قبل ذلك دبر محاولة لقتل الرسول صلى الله عليه وسلم، فهناك عداء شخصي بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانت هذه المحاولة بينه وبين عمير بن وهب رضي الله عنه، وكان عمير وقتها لا يزال كافرا، وفيها تعهد صفوان بن أمية لعمير بن وهب أن يتحمل عنه نفقات عياله، وأن يسدد عنه دينه في نظير أن يقتل عمير رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأسلم عمير بن وهب في المدينة المنورة بعد أن أخبره الرسول صلى الله عليه وسلم بما دار بينه وبين صفوان في حجر الكعبة، ومرت الأيام، وجاء فتح مكة المكرمة وفر صفوان بن أمية، ولم يجد له مكانا في مكة المكرمة، وعلم أنه لن يستقبل في أي مكان في الجزيرة العربية، فقرر أن يلقي بنفسه في البحر ليموت، فخرج صفوان في اتجاه البحر الأحمر ومعه غلام اسمه يسار، وليس معه أحد غيره حتى وصل إلى البحر الأحمر، ورأى صفوان من بعيد أحد الرجال يتتبعه، فخاف وقال لغلامه: ويحك انظر من ترى؟

قال الغلام: هذا عمير بن وهب.

وكان عمير بن وهب صديقا حميما لصفوان بن أمية قبل أن يسلم عمير رضي الله عنه، فقال صفوان:

وماذا أصنع بعمير؟ والله ما جاء إلا يريد قتلي.

فهو قد دخل في الإسلام وقد ظاهر محمدا علي، ولحق عمير بن وهب رضي الله عنه بصفوان بن أمية، فقال له:

يا عمير ما كفاك ما صنعت بي؟ حملتني دينك وعيالك، ثم جئت تريد قتلي.

فقال: أبا وهب، جعلت فداك، قد جئتك من عند أبر الناس وأوصل الناس.

فعندما رأى عمير بن وهب صفوان قد هرب من مكة المكرمة، أسرع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتذكر صديقه القديم وتذكر الذكريات التي كانت بينه وبين صفوان بن أمية، فخاف عليه، وخشي عليه، وأحب له الإسلام، وأحب له أن يدخل فيما دخل فيه، فبدأ يحاول مع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يطلب له الأمان، فقال عمير بن وهب: يا رسول الله سيد قومي خرج هاربا ليقذف نفسه في البحر، وخاف ألا تؤمنه، فداك أبي وأمي.

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: قَدْ أَمّنْتُهُ.

فهل روى لنا التاريخ أخلاقا مثل أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم

مُحَمّدٌ أَشْرَفُ الْأَعْرَابِ وَالْعَجَمْ　　　مُحَمّدٌ خَيْرُ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ

مُحَمّدٌ بَاسِطُ الْمَعْرُوفِ جَامِعُهُ　　　مُحَمّدٌ صَاحِبُ الْإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ

وصل عمير بن وهب إلى صفوان، وقال له: إن رسول الله قد أمنك، فخاف صفوان، وقال: لا والله لا أرجع معك حتى تأتيني بعلامة أعرفها.

فرجع عمير بن وهب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقد بذل مجهودا كبيرا من البحر الأحمر إلى مكة المكرمة ما يقرب من ثمانين كيلومترا ذهابا، ثم يقطعها بعد ذلك عودة، وقال عمير: يا رسول الله، جئت صفوان هاربا يريد أن يقتل نفسه، فأخبرته بما أمنته، فقال: لا أرجع حتى تأتيني بعلامة أعرفها.

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: خُذْ عِمَامَتِي إِلَيْهِ.

والرسول صلى الله عليه وسلم يحاول قدر المستطاع أن يأتي بكل إنسان إلى الإسلام، فأخذ عمير العمامة وذهب إلى صفوان بن أمية، حتى وصل إلى صفوان بن أمية، وأظهر له العمامة وقال له: يا أبا وهب، جئتك من عند خير الناس، وأوصل الناس، وأبر الناس، وأحلم الناس، مجده مجدك، وعزه عزك، وملكه ملكك، ابن أمك وأبيك، أُذكّرك الله في نفسك.

فقال له صفوان في منتهى الخوف: أخاف أن أقتل.

قال: قد دعاك إلى أن تدخل في الإسلام، فإن رضيت وإلا سَيّرك شهرين. ولننظر إلى الكرم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن أسلمت الآن انتهت القضية ولك ما للمسلمين عليك ما على المسلمين، وإن أردت أن تأخذ شهرين كاملين تفكر فيهما فأنت في أمان، فرجع صفوان بن أمية مع عمير بن وهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودخل الحرم، والرسول صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس صلاة العصر فوقفا سويا، حتى ينتهي الرسول صلى الله عليه وسلم من الصلاة، فقال صفوان لعمير بن وهب: كم تصلون في اليوم والليلة؟

قال: خمس صلوات.

قال: يصلي بهم محمد.

قال: نعم.

فلما سلم الرسول صلى الله عليه وسلم وانتهى من صلاته، صاح صفوان يخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم: يا محمد.

من بعيد، حتى تكون عنده فرصة للهرب، يا محمد إن عمير بن وهب جاءني بعمامتك، وزعم أنك دعوتني إلى القدوم عليك، فإن رضيت أمرا وإلا سيرتني شهرين.

فقال صلى الله عليه وسلم في ليونة وسهولة: انْزِلْ أَبَا وَهْبٍ.

فقال صفوان: لا والله حتى تبين لي.

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: بَلْ تَسِيرُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.

تفكر أربعة أشهر كاملة، وبالفعل أطلق الرسول صلى الله عليه وسلم صفوان بن أمية أربعة أشهر كاملة ليفكر، ولم يأخذ صفوان بن أمية هذه الشهور الأربعة كاملة للتفكير، ولكن صفوان دخل الإسلام بهذه المعاملة الحسنة من الرسول صلى الله عليه وسلم.

عفوه عن عكرمة بن أبي جهل

كان عكرمة من أشد أعداء رسول الله ضراوة في التاريخ كله، وشرب عكرمة بن أبي جهل العداوة كل هذه المدة الطويلة من أبيه أشد أعداء الإسلام فرعون هذه الأمة، ولكن عكرمة استمر وزاد في العداوة للدرجة التي جعلت الرسول صلى الله عليه وسلم يريق دمه، فقد أراق الرسول صلى الله عليه وسلم دم مجموعة من المشركين، وقال: اقْتُلُوهُمْ وَلَوْ تَعَلّقُوا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ.

وكان من هؤلاء عكرمة بن أبي جهل، وكان ممن قاتل في الخندمة ضد خالد بن الوليد رضي الله عنه، ولكنه بعد هزيمته فر من مكة المكرمة، وحاول أن يصل في فراره إلى اليمن، وذهب بالفعل إلى البحر ليأخذ سفينة وينطلق بها إلى اليمن، إنه طريق طويل في الكفر، وهو مطلوب الدم، وإذا وجده الرسول صلى الله عليه وسلم سيقتله.

كانت زوجة عكرمة هي أم حكيم بنت الحارث بن هشام، فهي ابنة عمه، فذهبت هذه المرأة بعد أن أسلمت في يوم الفتح على جبل الصفا مع من أسلم من أهل مكة، فذهبت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لتستشفع عنده لعكرمة بن أبى جهل أن يعود إلى مكة المكرمة مؤمنا كما أمن صفوان بن أمية، وموقف عكرمة مختلف فهو مراق الدم، وقالت أم حكيم للرسول صلى الله عليه وسلم:

قد هرب عكرمة منك إلى اليمن، وخاف أن تقتله فأمنه.

فالرسول صلى الله عليه وسلم قال في يسر وسهولة: هُوَ آمِنٌ.

ولم يذكر لها أنه مهدر الدم، ولم يذكر لها التاريخ الطويل له، فخرجت أم حكيم الزوجة الوفية تبحث عن زوجها، وذهبت حتى وصلت في رحلة طويلة إلى عكرمة بن أبي جهل وهو يحاول أن يركب سفينة في ساحل البحر الأحمر متجها إلى اليمن، وعكرمة يتجادل مع ربان السفينة التي سيركبها؛ لأن ربان السفينة كان مسلما فقال له قبل أن يركب: أخلص.

فقال عكرمة بن أبي جهل: أي شيء أقول؟

فقال الربان لعكرمة: قل: لا إله إلا الله .

فقال عكرمة: ما هربت إلا من هذا.

وهو ما يزال في هذا الحوار مع ربان السفينة، إذا بأم حكيم رضي الله عنها تأتي في هذه اللحظة، فقالت:

يا ابن عم، قد جئتك من عند أوصل الناس، وأبر الناس، وخير الناس، لا تُهلك نفسك، إني استأمنت لك محمدا صلى الله عليه وسلم.

فقال لها: أنت فعلتِ هذا؟

قالت: نعم.

وعكرمة بن أبي جهل في ذلك الوقت يرى الدنيا كلها قد ضيقت عليه، فأين يذهب؟ هو يريد أن يذهب الآن إلى اليمن، واليمن بكاملها مسلمة وبقاع الأرض تتناقص من حوله، والجميع الآن يدخلون في حلف ودين محمد صلى الله عليه وسلم، فأخذ عكرمة قرارا سريعا بالعودة معها دون تفكير طويل.

عاد عكرمة بن أبي جهل إلى مكة المكرمة، و جلس عكرمة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا محمد، إن هذه أخبرتني بأنك أمنتني.

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: صَدَقَتْ فَأَنْتَ آمِنٌ.
فقال عكرمة: إلام تدعو يا محمد؟

بدأ عكرمة يسأل الرسول عن الإسلام،فقال له: أَدْعُوكَ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلّا اللّهُ، وَأَنّي رَسُولُ اللّهِ، وَأَنْ تُقِيمَ الصّلَاةَ، وَأَنْ تُؤْتِي الزّكَاةَ.

وتفعل و تفعل وأخذ يعدد عليه أمور الإسلام، حتى عدد له كل الخصال الحميدة، فقال عكرمة: ما دعوت إلا إلى الحق، وأمر حسن جميل.

القلوب بين أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، ففي هذه اللحظات شعر عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه أن كل ما ذكره صلى الله عليه وسلم حق، وأن كل ما تحدث عنه قبل ذلك أيام مكة، وبعد مكة كان صدقا، وكان حقا وكان من كلام النبوة والوحي، وهنا قال عكرمة بن أبي جهل:

قد كنت والله فينا تدعو إلى ما دعوت إليه، وأنت أصدقنا حديثا، و أبرّنا برا. ثم قال عكرمة:

فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله.

وفي لحظة واحدة انتقل عكرمة من معسكر الكفر إلى معسكر الإيمان، إنها حسن المعاملة والرفق بالناس.

وهكذا امتلك الرسول قلبه في لحظات، وانظروا إلى جهده رضي الله عنه وأرضاه بعد ذلك مع المسلمين في هذه اللحظات قال عكرمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أسلم:

يا رسول الله، علمني خير شيء.

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: تَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلّا اللّهُ وَأَنّ مُحَمّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

فقال عكرمة: ثم ماذا؟

قال: أَنْ تَقُولَ: أُشْهِدُ اللّهَ وَأُشْهِدُ مَنْ حَضَرَ أَنّي مُسْلِمٌ وَمُهَاجِرٌ وَمُجَاهِدٌ.

فقال عكرمة هذه الكلمات، فقال صلى الله عليه وسلم وهو يعرف أن عكرمة مازال حديث عهد بالإسلام ويحاول قدر المستطاع أن يقربه إلى الدين، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: لَا تَسْأَلُنِي الْيَوْمَ شَيْئًا أُعْطِيهِ أَحَدًا إِلّا أَعْطَيْتُهُ لَكَ.

فلم يطلب عكرمة بن أبي جهل مالا، أو سلطانا، أو إمارة، وإنما طلب عكرمة المغفرة، فقال:

فإني أسألك أن تستغفر لي كل عداوة عاديتكها، أو مسير وضعت فيه، أو مقام لقيتك فيه، أو كلام قلته في وجهك، أو أنت غائب عنه.

فقال صلى الله عليه وسلم: اللّهُمّ اغْفِرْ لَهُ كُلّ عَدَاوَةٍ عَادَانِيهَا، وَكُلّ مَسِيرٍ سَارَ فِيهِ إلَى مَوْضِعٍ يُرِيدُ فِي هَذَا الْمَسِيرِ إطْفَاءَ نُورِكَ، فَاغْفِرْ لَهُ مَا نَالَ مِنّي مِنْ عِرْضٍ فِي وَجْهِي، أَوْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهُ.

فقال عكرمة: رضيت يا رسول الله.

ثم قال وهو صادق: لا أدع نفقة كنت أنفقها في صد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قتالا كنت أقاتل في صد عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه في سبيل الله.

ثم اجتهد في القتال طوال حياته سواء في حروب الردة، أو في فتوح الشام، حتى قتل شهيدا رضي الله عنه وأرضاه في اليرموك، وانظروا كيف بدل الله عز وجل حياته كاملة بحسن استقبال الرسول صلى الله عليه وسلم له وبتأمينه إياه، وبغفرانه له كل التاريخ الأسود الذي كان له مع المسلمين؛ لأنه صلى الله عليه وسلم هو القائل: لَأَنْ يَهْدِي اللّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النّعَمِ، وَخَيْرٌ لَكَ مِمّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشّمْسُ.

فهذا رجل من أعظم شهداء المسلمين رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين.

إسلام فُضالة بن عُمير

كان فضالة بن عمير من أشد أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا الرجل من شدة عدائه للرسول صلى الله عليه وسلم قرر أن يقتل الرسول صلى الله عليه وسلم في وقت الفتح، والرسول صلى الله عليه وسلم في وسط هذا الجيش الكبير عشرة آلاف من الصحابة رضوان الله عليهم، وإذا قتل فضالة بن عمير الرسول فلا شك أنه مقتول، ومع ذلك ضحى بنفسه ليقتل الرسول صلى الله عليه وسلم، فمر بجوار الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت، فلما دنا من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يحمل السيف تحت ملابسه قال له صلى الله عليه وسلم:

أَفُضَالَةُ؟

قال:نعم، فضالة يا رسول الله.
كان يدعي الإسلام في ذلك الوقت، فقال صلى الله عليه وسلم: مَاذَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ؟

قال:لا شيء، كنت أذكر الله.
وضحك الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: اسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَا فُضَالَةُ.
ثم وضع يده على صدر فضالة فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه صلى الله عليه وسلم.

وأسلم فضالة رضي الله عنه، بل حسن إسلامه من أول لحظة من لحظات إسلامه، ولا نقول من أول يوم ولكن من أول لحظة لدرجة أنه عاد من عند الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أهله فمر بامرأة كان يتحدث إليها في الجاهلية، فقالت له المرأة: هلم إلى الحديث.

فقال: لا، يأبى عليك الله والإسلام.
لقد تغير رضي الله عنه تغيرا كاملا بعد هذا الإسلام، وهكذا الإسلام يصنع الرجال والنساء على نهجه بصورة تكاد تكون مختلفة تمام الاختلاف عن حياته قبل الإسلام.

إسلام هند بنت عتبة

من الذين ينبغي أن نقف أمام إسلامهم وقفة، والحقيقة وقفة هامة وطويلة، ليس إسلام أحد رجال مكة، ولا أحد زعمائها، ولكن إسلام إحدى نساء مكة، وإحدى النساء التي حاربت الإسلام طويلا، ولسنوات عدة، ولها ذكريات مؤلمة عند المسلمين وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم شخصيا، وهي هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان رضي الله عنه، وهند بنت عتبة موتورة من المسلمين، فقد قتل أبوها عتبة بن ربيعة في بدر، وقتل عمها شيبة بن ربيعة كذلك في بدر، وقتل ابنها حنظلة بن أبي سفيان أيضا في بدر، وقتل أخوها الوليد بن عتبة بن ربيعة أيضا في بدر، فقدت أربعة من أقرب الأقرباء إليها، قُتلوا جميعا في بدر، وهم جميعا من سادة قريش، فموقفها في الحقيقة كان في غاية الصعوبة، وحملت في قلبها كراهية لم يحملها أحد مثلها إلا قليل القليل، وظلت على هذا الأمر سنوات طويلة منذ بدر، وحتى فتح مكة، أي ست سنوات متصلة وقبل ذلك أيضا كانت معادية للإسلام، ولكن ظهرت العداوة بشدة بعد مقتل هؤلاء الأربعة في بدر، وخرجت بنفسها مع جيش الكفار في موقعة أحد، و حمست الجيش قدر ما تستطيع لقتال المسلمين،

ولما فر الجيش من أمام المسلمين في أول المعركة كانت تقذف في وجوههم التراب وتدفعهم دفعا لحرب المسلمين، ولم تفر كما فر الرجال، ثم إنه بعد انتصار أهل مكة على المسلمين في نهايات موقعة أحد قامت بفعل شنيع، قامت بالتمثيل بالجثث وبدأت تمثل بواحدة تلو الأخرى بنفسها، حتى وصلت إلى حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عم الرسول صلى الله عليه وسلم فبقرت بطنه رضي الله عنه، وأخرجت كبده، ولاكت من كبده - يعني أكلت من كبده قطعة - فما استساغتها فلفظتها، وأثر هذا الموقف بشدة في رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرجت مع المشركين في غزوة الأحزاب، بل استمرت في حربها ضد الإسلام حتى اللحظات الأخيرة من فتح مكة، ورفضت هند بنت عتبة ما طلبه زوجها من أهل مكة من أن يدخلوا في بيوتهم؛ طلبا لأمان الرسول صلى الله عليه وسلم، بل دَعَت أهل مكة لقتل زوجها عندما أصر على مهادنة الرسول صلى الله عليه وسلم، ودفعتهم دفعا إلى القتال، إنه تاريخ طويل وشرس لهند بنت عتبة مع المسلمين.
عندما جلس الرسول صلى الله عليه وسلم ليبايع الناس على الإسلام، جاءت هند بنت

عتبة، وهي منتقبة متنكرة لا يعرفها صلى الله عليه وسلم، والرسول يبايع النساء في ذلك اليوم ويبايعهن شفاهة، فما وضع يده صلى الله عليه وسلم في يد امرأة أجنبية قط، وكانت بيعة النساء على: أن لا يشركن بالله شيئا، ولا يسرقن، ولا يزنين، ولا يقتلن أولادهن، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن، ولا يعصينه في معروف.

فبدأت النساء تبايع وقال صلى الله عليه وسلم لهن: بَايِعْنَنِي عَلَى أَلّا تُشْرِكْنَ بِاللّهِ شَيْئًا.

فقالت هند وهي منتقبة والرسول صلى الله عليه وسلم لا يعرفها، فقالت هند: والله إنك لتأخذ علينا ما لا تأخذه من الرجال.

أي أن هناك تفصيلات كثيرة للنساء، والرجال قد بايعوا بيعة واحدة، وأكمل الرسول صلى الله عليه وسلم: وَلَا تَسْرِقْنَ.

فوقفت هند وقالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني، ويكفي بَنِيّ، فهل على من حرج إذا أخذت من ماله بغير علمه؟

فقال صلى الله عليه وسلم: خُذِي مِنْ مَالِهِ مَا يَكْفِيكِ وَبَنِيكِ بِالْمَعْرُوفِ.

ثم انتبه صلى الله عليه وسلم على أن هذه التي تتكلم هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: وَإِنّكِ لَهُنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ؟

وتذكر الرسول صلى الله عليه وسلم تاريخها الطويل، وتذكر حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وأرضاه، وما حدث له على يد هند بنت عتبة، قالت: نعم، هند بنت عتبة، فاعف عما سلف عفا الله عنك.

فهي تعرف تاريخها الطويل مع الرسول صلى الله عليه وسلم، والرسول يعفو ويصفح، وتنازل الرسول صلى الله عليه وسلم عن كل هذا التاريخ الطويل وقبل إسلامها،

وأكمل البيعة مع النساء وقال: وَلَا تَزْنِينَ.
فقالت هند: يا رسول الله، وهل تزني الحرة؟

فقال صلى الله عليه وسلم: وَلَا تَقْتُلْنَ أَوْلَادَكُنّ؟

فقالت هند: قد ربيناهم صغارا، وقتلتهم كبارا، هل تركت لنا ولدا إلا قتلته يوم بدر؟ أنت قتلت آباءهم يوم بدر، وتوصينا بأودلاهم.

فتبسم صلى الله عليه وسلم، وضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى على قفاه رضي الله عنه، وأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم الموضوع بشيء من البساطة وقدر موقف هند بنت عتبة، ومدى صعوبة الإسلام عليها، ومع ذلك هي تسلم الآن عن قناعة، ثم قال صلى الله عليه وسلم:

وَلَا تَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ تَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيدِيكُنّ وَأَرْجُلِكُنّ.

فقالت هند: والله إن إتيان البهتان لقبيح.

فقال صلى الله عليه وسلم: وَلَا تَعْصِينَنِي فِي مَعْرُوفٍ.

فقالت هند: والله ما جلسنا هنا وفي أنفسنا أن نعصيك في معروف.

وتمت البيعة المباركة، وبايعت نساء مكة جميعا بما فيهن هند بنت عتبة رضي الله عنها، وأرضاها هذه المبايعة المباركة.

وسبحان الله! حسن إسلام هند بنت عتبة، وكما كانت تخرج مع جيوش الكفار لتحمسها لحرب المسلمين، بدأت تخرج مع جيوش المسلمين لتحمسهم لحرب الكفار، ومن أشهر المواقف لها يوم اليرموك عندما بدأت تشجع المسلمين على القتال في سبيل الله، وعلى خوض غمار المعركة الهائلة ضد مائتي ألف رومي، فكانت من أدوات النصر العظيمة في ذلك اليوم المجيد.

وفتح الله عز وجل قلوبا غلفا في يوم الفتح، وأسلمت مكة وهي من أعظم مدن الجزيرة العربية، وأسلمت بكاملها في ذلك اليوم، ولم يتخلف أحد منهم عن الإسلام.

وقد سمى الله هذا الصلح فتحًا ، إذ نزلت سورة الفتح منصرف النبي rمن الحديبية ، مفتتحةً بقوله تعالى : }إنّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ، لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخّرَ وَيُتِمّ نِعْمَتَهُ عَلَيكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ، وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا {([١٧٥]).

نعم ؛ كان فتحًا ولم يكن ذُلاً ولا دنية ، كما كان يتصور بعض كبار الصحابة ، لأمور منها :

١ - أن هذا الصُلح أنهى الحرب المستمرة التي بين النبي صلى الله عليه وسلم وكفار قريش ، وهذا هيّأ المجال للدعوة الإسلامية في مواطن أخرى .

٢ - أن قريش اعترفت في هذا الصلح بوجود النبي صلى الله عليه وسلم وبدولته .

٣ - أنه كان تمهيدًا لفتح مكة ، وكسر شوكة المشركين .

٤ - أن النبي صلى الله عليه وسلم تفرّغ لليهود في المدينة ، فطهرها من رجسهم .

٥ - فيه اعتراف بحق المسلمين بقصد البيت الحرام وأداء الشعائر فيه .

٦ - إقبال الناس على هذا الدين في ظل هذه الهُدنة؛ لأمنهم من الحروب ، والدليل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة ، ثم خرج في عام الفتح في عشرة آلاف([١٧٦])

---

١٧٥ الفتح : ١-٣ .

١٧٦ يحي بن عبد الله بكري. أثر معاملة الرسول في نشر الإسلام .

أم هانئ والجِوار

ومن المواقف الرائعة في فتح مكة لإحدى نساء المسلمين، وهي السيدة أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها أخت علي بن أبى طالب رضي الله عنه، فلما نزل الرسول صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة ودارت الحرب في أسفل مكة بين مجموعة من المشركين وبين سرية خالد بن الوليد رضي الله عنه وأرضاه، وهرب رجلان من بني مخزوم، ولم يجدا أي ملجأ في ذلك الوقت، إلا أن يدخلا عند السيدة أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها، ولماذا السيدة أم هانئ خاصة ؟

لأن زوجها هو هبيرة بن أبي وهب المخزومي، أي هما من أقارب زوج السيدة أم هانئ، وطلبا منها أن تجيرهما، وهذا شيء فيه إهانة كبيرة للعرب أن يطلبوا الإجارة من امرأة ؛ ولكن ليس أمامهم إلا أن يطلبا الإجارة من أم هانئ، فأجارتهم أم هانئ رضي الله عنها، ودخل علي بن أبى طالب رضي الله عنه يقول: والله لأقتلنهما.

فأغلقت عليها الباب رضي الله عنها، وقالت: قد أجرتهما.

وعلي رضي الله عنه مصمم أن يقتلهما، فقالت: نذهب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

وذهبا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وعرضت السيدة أم هانئ أمرها وقالت:

يا رسول الله، زعم ابن أمي أنه قاتل رجلا أجرته.

فقال صلى الله عليه وسلم: قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِي وَأَمَّنَّا مَنْ أَمّنْتِ، فَلَا يَقْتُلْهُمَا.

وقبل الرسول بإجارة أم هانئ في اثنين كانا يقاتلان المسلمين، وهذا فتح عسكري، وحرب عسكرية كبيرة، ومع ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم يجير من أجارت أم هانئ رضي الله عنها وأرضاها: قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ وَأَمّنّا مَنْ أَمّنْتِ.

وهذه هي قيمة المرأة في الإسلام، ورأينا أم حكيم بنت الحارث بن هشام وهي تؤمّن عكرمة بن أبي جهل مع أنه كان مُهدر الدم، ورأينا قبل ذلك أم سلمة، وهي تتوسط عند الرسول صلى الله عليه وسلم ليقبل توبة أبي سفيان بن الحارث وعبد الله بن أمية بعد أن رفض الرسول صلى الله عليه وسلم في البداية أن يقابلهما، إنه تكريم الإسلام للمرأة، وإعطائها المكانة العظيمة الراقية التي لا نجدها في أي تشريع غير الإسلام.

عَتّاب بْن أَسِيْدٍ الأموي أول والٍ على مكةكان من عادة الرسول صلى الله عليه وسلم أنه إذا فتح بلدا، ودخل الإسلام إليها أن يولي عليها أحد من رجالها، ولكن المشكلة أن أبا سفيان وهو والي مكة قبل ذلك أو زعيمها قبل ذلك في السنوات الست الأخيرة بعد مقتل أبي جهل لم يطمئن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد لإسلامه، ولا يستطيع أن يعطيه إمارة مكة، وخاصة أن مكة من أعظم مدن العرب، بل هي أعظمها على الإطلاق، ولا يستطيع الرسول أن يعطيها لرجل لا يثق بعد في إسلامه؛ لأن الحوار الذي دار بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن أبو سفيان حتى اللحظات الأخيرة مقتنعا تمام الاقتناع بقضية النبوة، والرسول صلى الله عليه وسلم إذا أعطى الإمارة لغيره، قد يحزن أبو سفيان وينقلب على المسلمين، وقد تثور بنى أمية قبيلة أبي سفيان، والرسول صلى الله عليه وسلم لا يريد أن تحدث قلاقل أو اضطرابات في هذه المدينة، وقد أسلمت بكاملها منذ أيام قليلة، فأعطى الرسول صلى الله عليه وسلم إمارة مكة في لفتة بارعة لعتاب بن أسيد رضي الله عنه.

وكان عتاب بن أسيد من شباب مكة وعمره عشرون عاما تقريبا، ومن قبيلة بني أمية؛ أي من نفس قبيلة أبي سفيان، فإذا أعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم إمارة مكة، فهذا سيزيد من تأليف قلوب بني أمية، ولن تقف بنو أمية عند تنحية أبي سفيان عن إمارة مكة؛ لأن الأمير الجديد منها أيضا، وعتاب بن أسيد هذا الشاب لم يتلوث كثيرا بعقائد المشركين، وليس هناك تاريخ عداء بينه وبين المسلمين، فسيسهل قياده، وبالفعل فقد حسن إسلام عتاب بن أسيد، وكان كثير الصلاة والصيام والصدقة، وكان من المقربين من الرسول صلى الله عليه وسلم، واستطاع بحكمته أن يحفظ الأمن والأمان داخل مكة، فلم نسمع عن قلاقل حدثت في حياته في فترة حكمه لمكة المكرمة، ومن حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم أنه ترك مع عتاب بن أسيد

معاذ بن جبل الأنصاري؛ ليعلم الناس أمور دينهم، وكان عتاب بن أسيد حديث عهد بالإسلام، ومعلوماته عن الإسلام قليلة، فترك الرسول صلى الله عليه وسلم معهم بحرا من بحور العلم، إمام العلماء يوم القيامة، وأعلم أمته بالحلال والحرام، وأهل مكة فيهم الكثير من المفكرين والمبدعين؛ لذلك يحتاجون إلى رجل من علماء الأمة؛ ليرجعون إليه فيما يختلفون فيه، ولا ننسى أن لهم تاريخ طويل مع الرسول صلى الله عليه وسلم وهناك شبهات كثيرة قالوها قبل ذلك، وخير من يرد عليهم في ذلك الوقت معاذ بن جبل رضي الله عنه وأرضاه، وبذلك استقر الوضع في داخل مكة المكرمة، ودخل الناس جميعا في الإسلام بفضل الله عز وجل.[١٧٧]

ويتجلى حرصه صلى الله عليه وسلم على هداية أعداءه ونجاتهم من النار حين قيل له صلى الله عليه وسلم في حصار الطائف بعد فتح مكة:يارسول الله ،أدعُ الله على ثقيف ، قال: «اللهم اهدِ ثقيفاً وائتِ بهم»!!!

ولذلك كان وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن قول الله عز وجل: «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ» [التوبة:٨٢١]

١٧٧ راغب السرجاني.إسلام مكة ، ١/٥/٦٠٠٢ ، شوهد في : ٧٢/٧/٧٠٠٢، على موقع: http://www.islamstory.com/ArticlePrint.aspx?ArticleID=١,٢,٢٥

رفقه صلى الله عليه وسلم بخصومه

يتجلى حرصه صلى الله عليه وسلم على مواجهة خصومه بالرفق في صلح الحديبية فقد أملى الرسول الى كاتبه أن يكتب « بسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيل سفير قريش: ما الرحمن الرحيم , اكتب باسمك اللهم .

ولما ذهب يملى عليه : قال النبى اكتب :

هذا ما صالح عليه محمد رسول الله . قالوا : لو شهدنا انك رسول الله لم نقاتلك ولكن اكتب باسمك وباسم أبيك .

و رضي النبي ؛ والمسلمون غاضبون يكاد الحنق يذهب بألبابهم .

ومضى الرسول رحيما بأعدائه يعفو عنهم فقد عفا عن فضالة بن عمير وقد أراد أن يقتله . ووضع الرسول يده على صدر فضالة فسكن قلبه وقال : والله ما رفع يده عن صدري حتى كان أحب خلق الله الى . وما أحد من خلق الله أحب الى منه .

وعفا عن صفوان , اذ خرج بعد أن دخل النبي مكة هاربا إلى البحر , يريد أن يقذف نفسه فيه . فذهب عمير بن وهب الى رسول الله يطلب له الأمان فأمنه . فقال اعطني آية يعرف بها أمانك .

فأعطاه عمامته التي دخل بها مكة فأدركه عمير وهو يريد ان يركب البحر . فناداه : يا صفوان . فداك أبي وأمي، الله الله فى نفسك أن تهلكها. فهذا أمان رسول الله قد جئتك به . قال إني أخافه على نفسي . قال : هو أحلم من ذلك وأكرم .

ذهب صفوان إلى رسول الله وقال له : ان هذا يزعم انك أمنتني . قال. صدق قال فاجعلني بالخيار شهرين ., قال أنت بالخيار أربعة أشهر .

و كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعفو عفو القادرين الكرام ويحلم حِلم الشجعان

، ويفرح بإسلام من كان بالأمس ألد الأعداء ،كما سنرى في السطور التالية :

في الطائف :

حين أوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة فخرج إلى الطائف،وقف أهلها في صفين يرمونه بالحجارة ،فدميت قدماه الشريفتان ، وشكا إلى الله تعالى ضعف قوته وقلة حيلته وهوانه على الناس ...فنزل جبريل عليه السلام ، (وقال يا محمد: «لو شئت أن أطبق عليهم الأخشبين «جبلين بمكة» لفعلت» ، فقال له رسول الرحمة والتسامح:» لا ، لعل الله يخرج من بين ظهرانيهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا» ، و قد صحت نظرة الرحمة والحلم المحمدية ، ودخل الناس في هذه الأماكن وغيرها في دين الله أفواجا !!!

وفي بدر ، حينما أشار عليه الحباب بن المُنذر بتغوير بعض آبار الماء لكي يشرب المسلمون ولا يشرب الكفار أعداؤهم ، وسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى الماء شطر الليل وصنعوا الحياض ...سمح رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن وردها من الكفار بالشُرب ولم يمنعهم»[١٧٨]

لمّا شُجّت وجنتاه صلى الله عليه وسلم وكُسرت رباعيته يوم أُحد رفع يديه إلى السماء،فظن الصحابة أنه سيدعو على الكفار،ولكنه قال:» اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» !!!

«كان العفو من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم،وقد أمره به المولى تبارك وتعالى حين تنزل جبريل بالآية الكريمة:»خُذ العفوَ وَأْمُر بالعُرف وأعرِض عن الجاهلين» فسأله صلى الله عليه وسلم عن معنى هذه الآية،فقال له:» حتى أسال العليم الحكيم»،ثم أتاه فقال :» يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك،و وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك»

وقد امتثل صلى الله عليه وسلم لأمر ربه،فنراه:

ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً- فإن كان إثماً كان ابعد الناس عنه،كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها.

١٧٨ نظمي خليل أبو العطا مرسي. مواقف سياسية من سيرة خير البرية، ص٨٤-٦٥

وفاؤه صلى الله عليه وسلم لأعداءه

كان صلى الله عليه وسلم وفياً حتى لأعداءه :ففي غزوة بدر كما قال ابن إسحاق وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومئذ إني قد عرفت أن رجالا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا ولا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله فإنه إنما أخرج مستكرها . قال فقال أبو حذيفة أنقتل آباءنا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس والله لئن لقيته لألحمنه السيف قال ابن هشام ويقال لألجمنه السيف قال فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعمر بن الخطاب يا أبا حفص قال عمر والله إنه لأول يوم كناني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي حفص أيضرب وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال عمر: يا رسول الله دعني فلأضرب عنقه بالسيف فو الله لقد نافق فكان أبو حذيفة يقول ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قُلتُ يومئذ ولا أزال منها خائفا إلا أن تكفرها عني الشهادة فقتل يوم اليمامة شهيدا ، قال ابن إسحاق وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبي البختري لأنه كان أكف القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وكان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطلب فلقيه المجذر بن زياد البلوي حليف الأنصار ثم من بني سالم بن عوف فقال المجذر لأبي البختري إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتلك.[١٧٩]

وقصة وفاء أخرى ، قال ابن إسحاق : هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط في تلك المدة ، فخرج أخواها عمارة والوليد ابنا عقبة ، حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه أن يردها عليهما بالعهد الذي بينه وبين قريش في الحديبية ، فأنزل الله تعالى على رسوله الكريم الآية :

«يأيُّها الّذينَ ءَامنوا إذا جآءَكم المؤمناتُ مُهاجراتٍ فامتحِنوهنّ* اللهُ أعلمُ بإيمانِهن فإن علِمتُموهنّ مؤمناتٍ فلا تَرجِعُوهنّ إلى الكفّارِ لاَ هُنّ حِلٌ لّهُم ولا هُم يَحِلونَ لَهُنّ

١٧٩ ابن هشام، عبد الملك .السيرة النبوية

وءَاتُوهُم ما أنفقوا ولا جُناحَ عليكُم أن تنكِحوهُنّ إذا ءَاتيتموهُنّ أُجُورَهُن ولا تُمسِكوا بِعِصَمِ الكوافِرِ وسئلوا مآ انفقتم وليسئلوا مآ أنفقوا ذلِكُم حُكمُ اللهِ يَحكُم بينكم والله عليمٌ حكيمٌ» الممتحنة-١٠

فكتب إليه عروة بن الزبير : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صالح قريشاً يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن وليه ؛ فلما هاجر النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الإسلام ، أبى الله أن يرددن إلى المشركين إذا هن امتحن بمحنة الإسلام ، فعرفوا أنهن إنما جئن رغبة في الإسلام ، وأمر برد صدقاتهن إليهم إن احتبسن عنهم ، إن هم ردوا على المسلمين صداق من حبسوا عنهم من نسائهم ، فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ورد الرجال ، وسأل الذي أمره الله به أن يسأل من صدقات نساء من حبسوا منهن ، وأن يردوا عليهم مثل الذي يردون عليهم ، إن هم فعلوا ...ولا الذي حكم الله به من هذا الحكم لرد رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء كما رد الرجال ، ولولا الهدنة والعهد الذي كان بينه وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء ، ولم يردد لهن صداقاً ، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد[١٨٠]وبهذا الحكم الإلهي تكون المرأة المسلمة أول إنسان قد منح حق اللجوء الديني (أي حرية الرأي والمعتقد)، أو قُلْ اللجوء السياسي على لغة العصر إن صح التعبير. إذ ما زالت المعاهدات السياسية تبرم بين مختلف الدول حتى اليوم دون الالتفات إلى ذكر المرأة، أو تخصيصها بالاسم ليشملها هذا الحق مساواة مع الرجل! وهنا لا بد من تسجيل الإشارة إلى أن المرأة المسلمة قد منحت هذا الحق حتى قبل الرجل المسلم بسبب معاهدة الحديبية التي تمت بين الرسول والمشركين. في حين أن الرجل غير المسلم لم يمنح هذا الحق إلا منذ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة ٨٤٩١ الذي تنص المادة ٤١ منه على ما يلي: «يحق لكل فرد حق التماس ملجأ في بلدان أخرى والتمتع به خلاصاً من الاضطهاد»

١٨٠ محمد مهدي عامر . قصة كبيرة في تاريخ السيرة، ص٤٩٢-٠٥١

حلمه -صلى الله عليه وسلم - على أعداءه

لما تطورت الظروف في الجزيرة العربية إلى حد كبير لصالح المسلمين ، أخذت طلائع الفتح الأعظم ونجاح الدعوة الإسلامية تبدو شيئاً فشيئاً ، وبدأت التمهيدات لإقرار حق المسلمين في أداء عبادتهم في المسجد الحرام ، الذي كان قد صد عنه المشركون منذ ستة أعوام .؛أُري رسول اللهصلى الله عليه وسلمفي المنام ، وهو بالمدينة ، أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام ، وأخذ مفتاح الكعبة ، وطافوا واعتمروا ، وحلق بعضهم وقصر بعضهم ، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا ، وحسبوا أنهم داخلو مكة عامهم ذلك ، وأخبر أصحابه أنه معتمر فتجهزوا للسفر .ولكن قريشاً صدتهم ومنعتهم من دخول مكة رغم إفصاحه صلى الله عليه وسلم بأنه ما جاء وأصحابه إلا لأداء العمرة ، وحينئذ أراد رسول الله صلى الله عليه وسلمأن يبعث عثمان بن عفان سفيراً يؤكد لدى قريش موقفه وهدفه من هذا السفر ،ولكنهم حبسوه ، ولما أشيع أن عثمان قد قتل ، وتمت بيعة الرضوان بين الرسول وأصحابهعلى الجهاد وعدم الفرار، وبايعته جماعة على الموت، وعرفت قريش ضيق الموقف ،فاستجابت قريش لنداء الرّسول صلى الله عليه وسلم لمّا رأت قوّته وإصراره على ما يريد، وأدركت ما بها من ضعف وعجز عن المقاومة؛فأسرعت إلى بعث سُهَيْل بن عمرو لعقد الصلح ، وأكدت له ألا يكون في الصلح إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، لا تتحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبداً ، فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه عليه السلام قال : (قد سهل لكم أمركم) ، أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل ، فجاء سهيل فتكلم طويلاً، ثم اتفقا على قواعد الصلح ، وهي هذه :

١. الرسول صلى الله عليه وسلميرجع من عامه ، فلا يدخل مكة ، وإذا كان العام القابل دخلها المسلمون فأقاموا بها ثلاثاً ، معهم سلاح الراكب ، السيوف في القُرُب ، ولا يتعرض لهم بأي نوع من أنواع التعرض .

٢. وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين ، يأمن فيها الناس ، ويكف بعضهم عن بعض .

٣. من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد

قريش وعهدهم دخل فيه ، وتعتبر القبيلة التي تنضم إلى أي الفريقين جزءاً من ذلك الفريق ، فأي عدوان تتعرض له أي من هذه القبائل يعتبر عدواناً على ذلك الفريق .

٤. من أتى محمداً من قريش من غير إذن وليه ـ أي هارباً منهم ـ رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد ـ أي هارباً منه ـ لم يرد عليه .

ثم دعا علياً ليكتب الكتاب ، فأملى عليه : (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال سهيل : أما الرحمن فو الله لا ندري ما هو ؟ ولكن اكتب : باسمك اللّهم . فأمر النبي صلى الله عليه وسلمبذلك . ثم أملى : (هذا ما صالح عليه محمد رسول الله) فقال سهيل : لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ، ولا قاتلناك ، ولكن اكتب : محمد بن عبد الله فقال : (إني رسول الله وإن كذبتموني) ، وأمر علياً أن يكتب : محمد بن عبد الله ، ويمحو لفظ رسول الله ، فأبي علي أن يمحو هذا اللفظ . فمحاه صلى الله عليه وسلمبيده ، ثم تمت كتابة الصحيفة ، ولما تم الصلح دخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلمـ وكانوا حليف بني هاشم منذ عهد عبد المطلب ، فكان دخولهم في هذا العهد تأكيداً لذلك الحلف القديم ـ ودخلت بنو بكر في عهد قريش .ولما اطلع المسلمون على نص المعاهدة ، قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : «أتكتب هذا يا رسول الله ؟ كيف نرد إليهم من جاءنا مسلماً ولا يردون إلينا من جاءهم مرتداً ، فقال لهم عليه الصلاة والسلام: مطمئناً : «من ذهب إليهم ، فهذا قد أبعده الله ، ومن جاءنا منهم فرددناه ، فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً» [١٨١]ولقد حكى القرآن الكريم قصة بيعة الرضوان هذه في سورة الفتح حين قال: «لَقَدْ رَضِيَ اللّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا»(الفتح-٨١)

ولقد أثنى»جوستاف لوبون» العالم النفسي و الاجتماعي الفرنسي المعروف على حلمه- صلى الله عليه وسلم - قائلاً :» إن محمد رغم ما يشاع عنه من قبل خصومه و مخالفيه في أوروبا قد أظهر الحلم الوافر و الرحابة الفسيحة إزاء أهل الذمة جميعا»

١٨١ محمد مهدي عامر.المصدر السابق، ص٣٤٢-٧٤٢، بتصرف يسي

حفاظه صلى الله عليه وسلم على أمانات أعداءه

في غزوة الخندق، لما كان النبي صلى الله عليه وسلم محاصراً لبعض حصون خيبر أتاه راع أسود ، ومعه غنم له كان فيها أجيرا لرجل من يهود فقال «يا رسول الله اعرض علي الإسلام» فعرضه عليه فأسلم - وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يحقر أحدا أن يدعوه إلى الإسلام ويعرضه عليه - فلما أسلم قال يا رسول الله إني كنت أجيرا لصاحب هذه الغنم وهي أمانة عندي ، فكيف أصنع بها ؟ قال اضرب في وجوهها ، فإنها سترجع إلى ربها - أو كما قال - فقال الأسود فأخذ حفنة من الحصى ، فرمى بها في وجوهها ، وقال ارجعي إلى صاحبك ، فو الله لا أصحبك أبدا ، فخرجت مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن .

ثم تقدم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين فأصابه حجر فقتله وما صلى لله صلاة قط ; فأتي به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فوضع خلفه وسجي بشملة كانت عليه . فالتفت إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعه نفر من أصحابه ثم أعرض عنه فقالوا : يا رسول الله لم أعرضت عنه ؟ قال إن معه الآن زوجتيه من الحور العين»[١٨٢]

١٨٢ أبو بكر الجزائري. مصدر سابق، ص ٧٣٢-٨٣٢، بتصرف يسير

حزمه صلى الله عليه وسلم مع الخائنين من أعداءه

على الرغم من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عفوّاً كريما حليماً ، وأنه لم يكن يستمرأ عداوة أحد أو الحقد عليه وقتله بيده،إلا أن صنفاً من الناس غلبت عليهم الشقاوة فلجوا في عماهم حتى واجهوا وقفة محمدية أصيلة أورتهم النار وكانوا أشقى البشر .... ففي غزوة أحد ، وبعد أن خالف المسلمون تعليمات الحبيب صلى الله عليه وسلم ودارت عليهم رحى الحرب وأخذوا يتساقطون واحداً تلو الآخر بين شهيد وجريح و مهزوم ، أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الموقف لم يعد في صالحه وأن قواته في المعركة تتحرك على غير هُدى ، فانحاز هو ومن بقي ثابتاً معه من خُلّص أصحابه إلى طرف الجبل لعلهم يستطيعون فعل شيء في هذه اللحظة الرهيبة ،وتكالبت قريش آنذاك ونفثت غلها وحقدها القديم وأخذ رجالها يبحثون في كل اتجاه وبإصرار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى الرغم من المحاولات العديدة للصحابة الكرام أن يفدوه صلى الله عليه وسلم بأنفسهم ،ومهجهم إلا أنه صلى الله عليه وسلم قد أصيب إصابات مختلفة ، ولكنها – بحمد الله - لم تكن بالغة (فقد كُسرَت رُباعيته - صلوات ربي وسلامه عليه- وشُج وجهه الشريف، ودخلت بعض حلقات المغفر[١٨٣]في وجنته ، وسقط في حُفرة كانت ضمن حُفر عديدة حفرها أبو عارم الراهب ، ثم أخفاها مكراً ومكيدة ، فلما سقط رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحداها جُرحت ركبته)، وبينما هو والبقية الباقية معه من أصحابه يتحركون صوب الجبل ليسندوا ظهورهم إليه ويحتموا به ،إذا بفارس مذعور من فرسان مكه يجري بفرسه يتخطى الرجال ، يصيح بأعلى صوته : أين محمد أين محمد ، لا نجوتُ إن نجا

ونظر الجميع إلى هذا الفارس الهائج فعرفوه ، إنه أُبي بن خلّف ،ولقد خرج على فرسه من مكة يحادّ الله ورسوله ويتعهد لأهل مكة أن يبر بيمينه التي تقدمت قبل سنين سابقة فيقتل محمداً على فرسه الأصيل هذه ...ولم يكن من السهل أن يُترك هذا الفاجر ليصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاعترض سبيله الشاب مصعب بن عمير رضي الله عنه يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ولكن أبي المندفع بقوة عاجله بضربة من سيفه فقتله دون أن ينال مصعب منه شيئاً ،فقد كان عدو الله لابساً درعاً من حديد فوق جسمه وبيضة من حديد فوق رأسه ، وكان على فرس

١٨٣ زرد يلبس على قدر الرأس تحت القلنسوة

، بينما مصعب على الأرض، وعاد ثانيةً بعد دورة دارها حول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، عاد يصيح بتحدٍّ واستفزاز:» أين محمد ، دلوني عليه ، لا نجوتُ إن نجا»

وهنا هب رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً –وكان قد جلس يستريح قليلاً من إصاباته – فتصدى له بكل شجاعة في ساعة عصيبة رهيبة على الرغم مما به من جراح وألم ، وتلفت النبي صلى الله عليه وسلم حوله يستعد له وينتظر وصوله إليه ، فقال لبعضهم في فداء المحب : أيعطف عليه رجل منا يا رسول الله ، فرد النبي صلى الله عليه وسلم في إصرار بعد أن قرر مواجهته بنفسه : لا ، دعوه ، ولعله صلى الله عليه وسلم قد طافت بذهن آنذاك كلماته لهذا الفاجر : بل أنا أقتلك عليه إن شاء الله (بقصد على فرس أُبَيّ)

وترك الحاضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يتصدى له وهم على يقين أنه لن يفلت من يديه سليماً ، إذ لم يكن باس الرسول صلى الله عليه وسلم وغضبه إذا غضب مما يستطيع أحد الوقوف أمامه فلما دنا أُبي بن خلف تناول رسول الله الحربة من الحارث بن الصمة ، ثم انتفض بها انتفاضة تطاير القوم عنه ومن حوله تطاير الشَعراء[١٨٤] عن ظهر البعير إذ انتفض بها ، ثم استقبله بسرعة بطعنة في عنقه بين الدرع والبيضة حيث كانتُ رجة ظهر منها بدنه ،دون أن يترك له فرصة للانقضاض أو الهجوم عليه ، فتدأدأ عن فرسه مرارا ًمنشدة الضربة وعنفها حتى ابتعد رسول الله صلى الله عليه وسلم متدحرجا ًفوق الأرض ،وتكاثر القرشيون حول أبي بن خلف بسرعة فاحتملوه وهم يرون أن لا بأس به أن لا داعي للخوف على حياته ، على الرغم من أنه كان يخور خوار الثور ، وأراد البعض أن يهدىء من روعه فقال له مشجعا ً: ما أجزعك وأشد خوفك ، إنما هو خدش غير كبير لم يظهر له دم ، فرد أُبي خائر القوى موقنا ًبما يقول : قتلني والله محمد ، فقالوا يردون عليه روحه : ذهب والله فؤادك والله إنْ بك من بأس ...ولكن أُبي أجاب مستذكرا ً: إنه قد قال لي بمكة : أنا أقتلك ، فو الله لو بصق عليّ لقتلني !!!

وقفل الجيش القرشي إلى مكة حاملاً معه فتات النصر الذي اختلسه في أحد ،عائداً

١٨٤ نوع من الذباب يكون على ظهر البعي

إلى قريش بعض جرحاها و مصابيها ، ولكن الطريق لم يطُل بأبي بن خف ، بل مات في سَرَف ، قبل مكة بقليل .

ولعل ذلك يذكّرنا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله « [١٨٥]

إلا أنه كان يأخذ على يد من ينقض العهد أو يغدر:

فعن أبي هريرة قال : قال أبو عزة يوم بدر : يا رسول الله ! أنت أعرف الناس بفاقتي وعيالي ، وإني ذو بنات ، قال : فرقّ له ومنّ عليه وعفا عنه ، وخرج إلى مكة بلا فداء ، فلما أتى مكة هجا النبي صلى الله عليه وسلم وحرض المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأُسر يوم أحدٍ ، وأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر بضرب عنقه ، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول : ((لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين))أخرجه البيهقي في السنن الكبرى

ونلمح في هذا ما كان عليه الصلاة والسلام من الرحمة والرأفة ، ولكنه اتخذ موقف القائد الشجاع ، الذي لا يمكن أن يُخدع مرتين ، ويمثل هذا التربية الصارمة والشدة في موضعها.[١٨٦]

وفي غزوة الفتح: حدثنا محمد بن عبد الله عن الزهري ، عن محمد بن جبير بن مطعم قال لما ولى أبو سفيان راجعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة جهزينا وأخفي أمرك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم خذ على قريش الأخبار والعيون حتى نأتيهم بغتة ويقال قال اللهم خذ على قريش أبصارهم فلا يروني إلا بغتة ولا يسمعون بي إلا فجأة قالوا : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأنقاب فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف على الأنقاب قيما بهم فيقول لا تدعوا أحدا يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه - وكانت الأنقاب مسلمة - إلا من سلك إلى مكة فإنه يتحفظ به ويسأل عنه أو ناحية مكة . قالوا : فدخل أبو بكر على عائشة وهي تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم تعمل قمحا سويقا ودقيقا وتمرا

١٨٥ عبد الله نجيب سالم . مواقف إنسانية في السيرة النبوية ، ص ٧٥- ١٦، بتصرف يسير

١٨٦ يحي عبد الله البكري، مصدر سابق

، فدخل عليها أبو بكر فقال يا عائشة أهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغزو ؟ قالت ما أدري . قال إن كان رسول الله هم بسفر فآذنينا نتهيأ له . قالت ما أدري ، لعله يريد بني سليم لعله يريد ثقيفا ، لعله يريد هوازن فاستعجمت عليه حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو بكر : يا رسول الله أردت سفرا ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم . قال أفأتجهز ؟ قال نعم . قال أبو بكر : وأين تريد يا رسول الله ؟ قال قريشا ، وأخف ذلك يا أبا بكر وأمر رسول الله [بالجهاز] ، قال أوليس بيننا وبينهم مدة ؟ قال إنهم غدروا ونقضوا العهد فأنا غازيهم . وقال لأبي بكر : اطو ما ذكرت لك فظان يظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الشام وظان يظن ثقيفا ، وظان يظن هوازن.

استعانته صلى الله عليه وسلم بربه على أعداءه

كان صلى الله عليه وسلم عندما تأزمه الأمور يتجه إلى الله:

« اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة . وشيبة بن ربيعة و الوليد بن عتبة . وأمية بن خلف وابن ابى معيط و عمارة بن الوليد ويقول : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحاول أن تكذب رسولك : اللهم فنصرك الذى وعدتنى « .

وفى مواقف الرحمة يقول :

« اللهم أذقتَ أول قريش نكالا فأذق آخرهم نوالاً» [١٨٧]

وأخيراً: بعض الشبهات والرد عليها :

ذهب بعض الفقهاء إلى أنه يصح هدم البناء وقطع الأشجار واحتجوا بما يلي:

أ – قوله تعالى: «مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ» سورة الحشر-٥

الجواز قطع النخل وفُسرت اللينة بالنخلة، فهذا يسوّغ على سبيل

ب - أن المؤمنين خربوا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بيوت بني النضير، وذكر القرآن فيهم أنهم يخربون بيوتهم

بأيديهم وأيدي المؤمنين

ج- أنه عليه الصلاة والسلام أمر - فيما يروى-بتحريق قصر مالك بن عوف، وكان أمير الجيوش بالطائف، وأمر برمي حصن ثقيف بالمنجنيق.

د-أنه عليه السلام أمر بقطع كروم ثقيف، وقد ذكر في السيرة أنهم عجوا عند

١٨٧ أنور الجندي . أقباس من السيرة العطرة ،ص٣١١

إرادة قطعها، وقالوا كيف نعيش بعد
هذه بعض الأدلة التي عوّل عليها بعض الفقهاء في التدمير وجواز التخريب،

ولكن هذه الأدلة لا تسلم من الأخذ والرد وليست موضع إجماع على جواز التدمير،

ففي الدليل الأول: ليس المراد باللينة النخلة، وإنما المراد بها الثمرة، والنص القرآني

يفيد ذلك إذ يقول: (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله)

، ولا يمكن فرض قيامها على أصولها إلا إذا كانت هي الثمرة، لا أصل النخلة، وقطع الثمرة لا يعد تخريبا، وأما تخريب بيوت بني النضير فلأنهم اتخذوها حصونا واعتصموا بها وأنزلوا الأذى بالمسلمين، فكان لابد لزوال أذاهم من تخريبها، أو محاولة تخريبها، فليس في تخريب بيوت بني النضير ما يؤدي إلى إباحة التخريب.

ولأن ثقيف اعتصموا بحصونهم كان لابد من إنزالهم منها، وقد كانوا قوماً غلاظاً أشداء فيهم قسوة
فكان لابد أن يصل الجيش إلى حصونهم ليصل إليهم، فليس تخريب الحصون لذات التخريب، وإنما هو لإضعاف قوة العدو

وأما الدليل الرابع وهو قطع كروم الطائف، فلأن أهل الطائف كانوا يتخذون منها الخمر، والنبي صلى الله عليه وسلم أمر بالقطع وذلك ليحملهم على التسليم وحقن الدماء بدل الاستمرار على القتل والقتال ولذلك سلموا لمجرد أن رأوا النبي، صلى الله عليه وسلم، قد أمر بالقطع، ولم يقطع وظنوا أن المسلمين ينفذون أمر نبيهم فتلك الأدلة التي يأخذ بها بعض الفقهاء في جواز التخريب لا تسلم لهم وتؤكد أن الحرب الإسلامية لا تعرف هدماً ولا قطعاً للشجر اللهم إلا إذا كان لا مناص من التخريب ذلك فيكون قطع الشجر وتخريب العمران مقصور على الضرورة ، وليس

الأصل في الحرب والهدم[١٨٨]

ومن ثم ، فإن ما جاء بهذا الفصل يرد على استفسار يدور بأذهان بعض الغربيين المعاصرين ؛ كما جاء على أحد مواقع الشبكة العالمية للمعلومات[١٨٩] ،وفيما يلي هذا الاستفسار:

,os fI ?(em ekil) reveileb-non a si “ledfini” na taht eurt ti sI llik ot smilsuM stcurtsni yllautca na‘ruQ eht taht eurt ti si ?nevaeh ni ecalp a meht eetnaraug ot sreveileb-non

وترجمة الاستفسار: «هل صحيح أن «الكافر» هو غير مؤمن (مثلي)؟ إذا كان الأمر كذلك ، فهل صحيح فعلا أن القرآن يأمر المسلمين بقتل غير المؤمنين لكي يضمنوا لهم مكانا في الجنة؟» انتهى الاستفسار.

لقد ظن من توجه بهذا الاستفسار أن الإسلام أمر بقتل غير المؤمنين بالإسلام لمجرد أنهم لا يؤمنون به أو لأنهم غير مسلمين .

مع أن الآية رقم ٢من سورة المائدة تنهى المسلمين عن قتال المشركين الذين صدوهم من قبل عن المسجد الحرام ، وتأمرهم بأن يتركوهم ليقيموا شعائرهم الخاصة بهم ويذبحون عند البيت الحرام

، فعن ابن عباس: أن المشركين كانوا يحجون البيت ويهدون الهدايا ويعظمونه الشعائر وينحرون ، فأراد المسلمون أن يُغيروا عليهم فنزلت الآية : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا

١٨٨ حماية الشريعة للبيئة في حال الحرب.- مجلة الوعي الإسلامي ، ع ٣٩٤، ٢٠٠٢/١/٣٢ ، متاح في:
٢٢=dds&٥٩٤=eussi?php.elcitra/tnerruc/scipot/moc.ieawla//:ptth

١٨٩ -enilnOmalsI=emanegap&٤٧٤٦١٠٦٩٩٣٢١١=dic?etilletaS/telvres/moc.malsignidaer.www//:ptth
EmalsItuobAksA/EmalsItuobAksA/malsI_tuobAA-hsilgnE

تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُالعقاب}المائدة -٢

كما كرر الله تعالى الأمر بالعدل مع الأعداء في نفس السورة -ليؤكد المعنى- قائلاً : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَاتعملون} المائدة-٨

أي: «ولا يحملنكم شدة بغضكم للأعداء على ترك العدل فيهم ، والاعتداء عليهم، فالعدل مع من تبغضونهم اقرب لتقواكم لله المطلع على أعمالكم والذي سوف يجازيكم عليها «

وفي غزوة مؤتة التي خرج فيها المسلمون تأديباً لشرحبيل بن عمرو الغساني-عامل هرقل على بصرى- الذي قتل سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يحمل رسالة إلى هرقل وانتقاماً لكرامة المسلمين، أنظروا إلى الرسول القائد العظيم بمَ يوصيهم وهم ذاهبون للانتقام :(اغزوا باسم الله وفي سبيل الله ، وقاتلوا من كفر بالله . اغزوا ولا تغدروا ، ولا تغلوا ولا تمثّلوا ، ولا تقتلوا وليدا ولا أصحاب الصوامع)رواه أحمد وغيره من أصحاب السنن

كما أمرالإسلام المسلمين ببر من أحسن إليهم من الأعداء فلم يقاتلهم ولم يخرجهم من ديارهم ؛ والدليل قول الله سبحانه: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} الممتحنة-٨

كما أمر الإسلام المسلمين بالوفاء بالعهود مع الأعداء ما وفوا معهم، حيث قال تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} التوبة -٤، كما حرم النبي صلى الله عليه وسلم قتل المعاهِد من الكفار ، فقال عليه الصلاة والسلام كما في الصحيح: (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة) هذا هو التعامل مع الكفار على ضوء الكتاب والسنة وهو تعامل يتضمن حفظ الدين وحفظ ذمة المسلمين,

وكذلك يجوز للمسلمين التعامل مع الكفار بالبيع والشراء والاتجار المباح، كما أباح الله لنا الاستفادة من خبرات الكفار. وكل هذه الأمور مع البغض لهم في القلوب لان الله يبغضهم. قال تعالى: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ} (البقرة ٨٩). وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَالسَّبِيلِ}الممتحَنة -١.

ولا يجوز الخلط بين ما أباح الله وما حرم الله في حق الكفار بل لابد من التفصيل والبيان. قال الأستاذ ابو السمح: «فنحن وهم خلفاء الله في الأرض لإعمارها ومعرفة أسرار الكون وتطويعها دون تفرقة»[١٩٠]

ولم يتوقف الأمر عند حد العدل مع الكفار المسالمين إنما تجاوز الاذن بالإحسان إليهم ومعلوم إن الإحسان أعلى مرتبة من العدل كما قال الله جل وعلا :((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)) (النحل -٠٩) فالعدل أن تقابل السيئة بالسيئة والحسنة بالحسنة وأما الإحسان فهو مقابلة السيئة بالحسنة فالكافر المسالم حتى لو كان مسيئاً إليك في أقواله أو أفعاله فيجوز لك شرعاً أن تقابل السيئة بالحسنة من باب الفضل لا من باب العدل وهذا ما كان عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم - مع اليهود والنصارى ومشركي العرب في المدينة المنورة وكم من يهودي ونصراني ومشرك اسلم بسبب فضله وإحسانه -صلى الله عليه وسلم - وهي صفة له مذكورة في التوراة كما شهد بها يهودي لرسول الله -صلى الله عليه وسلم - فقال : والله أنها لصفتك في التوراة لا تقابل السيئة بالسيئة واسلم بعد ذلك. وفي أثر رواهُ البخاري عن عبد الله بن عمروُ بن العاص - رضي الله عنه - انه كان يقرأ العبرية وقرأ فيما قرأ من وصف رسول الله - صلى الله عليه وسلم – في (انه لا يقابل السيئة بالسيئة ولكنه يعفو ويصفح) الشاهد : أننا كمسلمين مأمورون شرعاً وديناً بالقسط مع الكفار المسالمين والإحسان إليهم كما ورد في الحديث الذي رواه الإمام احمد

١٩٠ صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان.مناهجنا الدراسية لا تعلم التكفير والإرهاب ، مقال متاح على :
mth.١/jehanam/ten.diaas//:ptth

في مسنده والشيخان في الصحيحين من حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنه قالت: قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذا عاهدوا ، فأتيت النبي - صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله ، أن أمي قدمت وهي راغبة ، أفأصلُها ؟ قال:(نعم) صلي أمك. وروى الإمام أحمد من حديث عبد الله بن الزبير، قال قدمت قُتيلة على ابنتها أسماء ابنة أبي بكر الصديق بهدايا: صنباب وقرض وسمن، وهي مشركة ، فأبت أسماء أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها ، فسألت عائشة النبي - صلى الله عليه وسلم - فانزل الله قوله : ((لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)) (الممتحَنة -٨) ، فأمرها أن تقبل هديتها، وان تدخلها بيتها[١٩١]

ولذلك فالناس في عُرف القرآن -كتاب الإسلام -مختلفون كما أن المؤمنين ؛درجات فمنهم الظالم لنفسه، ومنهم المقتصد، ومنهم السابق بالخيرات(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) (هود: ٨١١)، وهكذا يعرف الاختلاف هنا على أنه التباين في الرأي والمغايرة في الطرح فهو دليل على سلامة المجتمع وتفاعل أفراده وتكاملهم.

أما الجدال: هو أقوى من الحوار وذلك لاعتداد أحد المخالفين أو كليهما برأيه أو موقفه وحاول الدفاع عنه أو إقناع الآخر به، بل والأكثر أن يحاول حمل الآخر عليه. ويعرف في اللغة كما جاء في المفردات للراغب الأصفهاني: هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله، ومنه الجدال أي كأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه. قال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)(النحل-٥٢١) (وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ)الحج ٨٦

و لقد تبنى الإسلام الرحمة كمنهج مهم عند التحاور مع المخالف حتى مع أشد المخالفين طغياناً وبغياً كما ضرب الله لنا مثلاً في توجيهه سبحانه لموسى وهارون حين أرسلهما لمخاطبة فرعون الذي ملأ الأرض ظلماً قال سبحانه: (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى*فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (طه:٣٤-٤٤)، وكذلك أرشد

١٩١ عبد المنعم البدراني. القول المبين في وجوب ا لتفريق بين المسلمين والمحاسبين، متاح في: ٦٩٤٢=di?php.swen/moc.swenreasab.www//:ptth

سبحانه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في قوله: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)آل عمران:٩٥١. فالغاية هي الوصول إلى الحق وتحقيق العدل ونشر الأمن والسلام والرحمة بين الناس

ترسيخ منهجية (قُل هاتوا برهانكم) فلا يكن الحوار مثمراً في مجال معرفة الحق إلا إذا كان قائماً على البراهين والأدلة (ءإلهٌ مع الله؟! قُل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) النمل: ٤٦، (وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) القصص: ٥٧. وهنا يرسخ الإسلام معاني أدب الاختلاف الصحيح بالمطالبة بالدليل من جميع الأطراف، حيث يطرح الإسلام منظومته خاصة في مجال الأفكار ونطاق المنهج العقلي من خلال طرح الفروض المحتملة وإسقاط الفروض الخاطئة وإبقاء الصحيح منها من خلال منهج النفي والإثبات العقلي أو منهج عرض الأفكار ،والأفكار المضادة، واتخاذ مختلف السبل السلمية في الوصول إلى الحق.

وأخيراً: فلنتأمل قول الله تعالى : «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» الممتحنة:(٨.)[١٩٢]

وبنفس الكلمات السابقة نرد على «آخر الهجمات العنصرية التي كشفتها دراسة حديثة للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الأيسسيكو» والتي أكدت الصور السلبية التي ترسمها الولايات المتحدة لأبنائها تجاه المسلمين والعرب على المستوى التعليمي، حيث قامت بتغيير مناهجها مؤخراً ، تُصور فيها المسلمين على أنهم سفاحون وإرهابيون ومحاربون متطرفون ومضطهدون للمرأة ويعتنقون الجهاد والحرب المقدسة!»[١٩٣]

---

١٩٢ زينب العلواني. آداب الاختلاف في الإسلام ، متاح في:
١٤٧٩=dis?php.wohs/ten.mahsabado.www//:ptth

١٩٣ عبد الرحمن أبو عوف. المناهج الأمريكية : العرب بدو يعشقون الدماء ، ٢٠٠٣/٥/١٢ متاح في:
٠٨٢٢=ditra&٦٧=ditac&٧٣=di?mfc.tnetnoc_selcitra_wohs/selcitra/ten.yadotmalsi.www//:ptth

أخلاقه صلى الله عليه وسلم في الحرب مع الأسرى

إن أسير الحرب هوالذي يقع في حوزة أعداءه، إما في أثناء نشوب الحرب، أو في أعقابها[١٩٤].

وإذا نظرنا إلى مواد القانونالدولي الإنساني المعاصر-ونخص بذلك معاهدات جنيف ٩٢٩١م، ٩٤٩١م ولاهاي لحقوق الإنسان، وحقوق أسرى الحروب-لوجدنا أنها لم تبلغ إلى سماحة الإسلام ورحمته...فلقد أفردت اتفاقية جنيف الثالثة لعام ٩٤٩١م –على سبيل المثال- معاملة خاصة لأسرى الحروب؛كما يقول الأستاذ الدكتور أحمد أبو الوفا أستاذ القانون الدولي بحقوق القاهرة، ومن الضمانات التي كفلتها لهم:

أولاً:أنهم يكونون تحت سلطة دولة العدو

لا سلطة الأفراد أو الوحدات العسكرية التي أسرتهم

(المادة ٢١ من الاتفاقية)؛لذا تعتبر الدولة الحاجزة مسئولة عن كيفية معاملة الأسرى.

ثانياً: ترحيلهم لمنطقة آمنة بعيدة عن القتال

وذلك في أقرب وقت ممكن بعد الأسر، حتى يكونوا في مأمن من الخطر(المادة ٩١ من الاتفاقية).

ثالثا: مزايا يتمتع بها الأسير:

١- توفير الأماكن والملابس والأغذية.

٢- توفير العناية الصحية والطبية لهم.

---

١٩٤ عبد العظيم المطعنى. معاملة الأسرى في الإسلام ، متاح في:
٧٤٠٢٤٢=t?php.daerhtwohs/bv/ten.mlsum.www//:ptth

٣- له الحق في ممارسة الشعائر والواجبات الدينية.

٤- يجب توفير الاتصال بينه وبين العالم الخارجي(كاستلام وإرسال الخطابات، والطرود والبرقيات..).

٥- يمكن تكليفه ببعض الأعمال كالزراعة أو النقل والخدمات مقابل أجر.أ.هـ [١٩٥]

أما إذا نظرنا إلى تعاليم الدين الإسلامي،لوجدنا فيه العدالة الحقيقية والمطلقة ، لأن المشرِّع في الإسلام هو الله سبحانه وتعالى ، والخلق كلهم عيال الله وعباده، لذا فقد أمر عز وجل بالعدل المُطلق حتى مع الأعداء الذين يبغضوننا ، قائلا ً: < يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تعملون >(المائدة -٨) أي أن الله سبحانه يأمرنا أن نكون قوامين بالحق لله ، لا لأجل الناس والسمعة ، شهداء بالحق دون محاباة ولا جَوْر سواء للمشهود له أو عليه : أي : أدوا الشهادة بالعدل ، لأن العدل هو ميزان الحقوق ،إذ متى وقع الجَوْر في أمة انتشرت المفاسد فيها؟!

و قال تعالى أيضاً : «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقِسط شهداء لله ولو على أنفسكم» النساء -٥٣١

أي لا يحملكم بغض قوم وعداوتهم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في معاملتكم مع الجميع : الصديق والعدو .

فقد حرص الإسلام «على احترام آدمية المغلوبين في الحرب ومن بينهم الأسرى.. وبهذا يسبق ديننا الحنيف القوانين الدولية واتفاقيات جنيف بشأن أسرى الحرب في تقرير معاملتهم بالحسنى، ورعايتهم جسدياً ونفسياً.» [١٩٦]

وقد بيّن الله في كتابة العزيز ثلاثة أوجه في شأنهم:.

الأول: التلطف معهم وترغيبهم في الإسلام .

١٩٥ أحمد أبو الوفا. الإعلام بقواعد القانون الدولي: العلاقات الدولية في الإسلام، متاح في: www//:ptth. /AawtaF/ralohcS_ksA-cibarA-enilnOmalsI=emanegap?etilletaS/telvres/ten.enilnomalsi ٢٧٩٠٢٦٨٢٥٢٢١١=dic&AawtaF

١٩٦ ممدوح إبراهيم الطنطاوي.أخلاقيات الحرب في الإسلام.- مجلة الجندي المسلم، ع١،٢١١/٨/٣٠٠٢متاح في: ٦٤٠٤٢١=DImetIsweNnI?psa.liateD/moc.jeesan.milsumj//:ptth

وقد جاء هذا الوجه في قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» الأنفال-٧٠

والوجه الثاني: هو إطلاق سراحهم مجاناً بشرط ألا يُخشى منهم خطرا في المستقبل ،وهذا يرجع إلى إمام المسلمين .

أما الوجه الثالث فهو أخذ الفِدية منهم شخصيا أو من دولتهم وتُقدّر الفدية حسب ما يراه ولى أمر المسلمين شريطة ألا يكون فيها إجحاف أو تعجيز للأسير عن دفعها؛ ولقد ورد هذان الوجهان في قوله تعالى:(فإما منّاً بَعدُ وإما فداءَ)سورةمحمد –وقد أضاف الفقهاء إلى ما ورد في القرآن الكريم وجهين آخرين هما:

الاسترقاق، أي بقاؤهم في الأسر مملوكين لمن أسرهم ملك يمين*
*والقتل، إذا خشي منهم الضرر في المستقبل على المسلمين

أما النساء فلا يجوز قتلهن ولا قتل الذراري الصغار، ويكون التصرف معهم إما بالعفو مجانا أو أخذ الفدية ، أو البقاء فى الاسترقاق.

وفى كل الأحوال تجب معاملتهم بالحسنى، ولا تجوز الإساءة إليهم أو الاعتداء عليهم لأنهم صاروا ضعفاء،والإسلام شديد العطف على الضعفاء أيا كان نوع ضعفهم[١٩٧]

وهذا هو العدل المطلق والرحمة المطلقة اللذان لا نجدهما إلا في الإسلام ؛أما المسلم الذي لا يطبق ذلك فآثم بعيد عن التقوى

١٩٧ عبد العظيم المطعنى،المصدر السابق

وصية النبي صلى الله عليه وسلم بالاسرى

إن الحبيب صلى الله عليه وسلم كان خير مطبِّق للتعاليم الربانية؛ فقد كان صلى الله عليه وسلم:

أولاُ : يوصي بالأسرى خيراً:

فقد أخرج الإمام الطبراني من حديث أبي عزيز ابن عمير قال: كنت في الأسرى يوم بدر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استوصوا بالأُسارى خيراً» وكنت في نفر من الأنصار ، فكانوا إذا قدّموا غداءهم وعشاءهم أكلوا التمر وأعطوني البُرّ لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأخرج الواقدي من حديث الزهري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إستوصوا بالأسارى خيرا» فقال العاص بن الربيع كنت في رهط من الأنصار ، جزاهم الله خيرا ، كنا إذا تعشينا أو تغدينا آثروني بالخبز وأكلوا التمر ،والخبز معهم قليل ، والتمر زادهم حتى إن الرجل لتقع في يده الكِسرة فيدفعها إليّ ، وكان الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك ويزيد: وكانوا يحملوننا ويمشون.[١٩٨] (المقصود : يحملوننا على بعير ويمشونهم < المسلمون> على الأقدام)

كما يقول أبو عزيز : « كانوا كلما توفرت لديهم قطعة من الخبز أعطوني إياها، فلما كنت أردها إليهم خجلاً كانوا يعيدونها إلي على الفور «[١٩٩]

فهذه شهادات من بعض الأسرى بمبلغ رحمة النبي الكريم، وطاعة صحابته الأبرار لأوامره صلى الله عليه وسلم .

١٩٨ نظمي خليل أبو العطا موسى. مواقف سياسية من سيرة خير البرية ، ص٧٥-٥٦

١٩٩ The Ethics Of War In Islam.-The Revival Voice of the Muslim Youth , January ٨٢, ٢٠٠٦, available at:http://www.therevival.co.uk/?p=٢٨٩

ثانياً :يرفق بهم ويحترم آدميتهم

فلما نزل المسلمون قريباً من بدر بعث النبي صلى الله عليه وسلم علياً ًوالزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر ،فأصابوا غلماناً ًوعبيداً لقريش يرتوون ، فأمسكوا باثنين منهم وأفلت الباقون إلى قريش ،أما الاثنان فهما أسلم غلام بني الحجاج، وأبو يسار غلام بني العاص، أتوا بهما وكان النبي صلى الله عليه وسلم قائماً يصلي فسألوهما: < لمن أنتما ؟> قالا:< نحن سُقاة قريش بعثوا بنا نستقي لهم من الماء» فكره القوم خبرهما وظنوا أنهما لأبي سفيان ونكران العير ، فضربوهما ، فلما أوجعوهما ضرباً قالا: «نحن لأبي سفيان» فأمسكوا عن الضرب فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته قال لأصحابه معاتباً ً: «إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما؟ والله لقد صدقا : إنهما لقريش ، ثم قال صلى الله عليه وسلم للغلامين : «أخبراني عن قريش» وظل يسألهما .[٢٠٠]

ولما فرّق رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرى بدر بين أصحابه بالقرعة قال لهم : «استوصوا بالأُسارى خيراً» فكانوا يؤثرونهم بالطعام الشهي ويُحسنون معلماتهم استجابة لأمره صلى الله عليه وسلم .

وفي غزوة بني قريظة قبل قسمة السبايا اصطفى رسول الله صلى الله ريحانة من بني عمرو بن قريظة ،وعرض عليها الزواج بها ويضرب عليها الحجاب فأبت وقالت :«يا رسول الله .. أتركني في ملكك فهو أحق علي وعليك» فتركها ، وعرض عليها الإسلام فأبت إلا اليهودية ؛فعزلها ووجد في نفسه ذلك من أمرها... فبينما هو مع أصحابه إذ سمع نعلين خلفه فقال: «إن هذا لثعلبة يبشرني بإسلام ريحانة» ، فجاء فقال«يا رسول الله قد أسلمت ريحانة»، فسره ذلك من أمرها فكانت عنده صلى الله عليه وسلم حتى توفي وهي في ملكه رضي الله عنها[٢٠١]

فلم يأمرها بالزواج به ، بل عرض عليها، ولم يُجبرها على الزواج بعد رفضها ، رغم أنها أسيرة لا حول لها ولا قوة ؛ ولم يُكرهها على الإسلام ، بل أعطاها حرية

٢٠٠ محمد مهدي عامر. قصة كبيرة في تاريخ السيرة ،ص ١٣١-٢٣١

٢٠١ أبو بكر الجزائري. هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا مُحب ، ص٠١٢

الاختيار ، حتى اختارت الإسلام ، واختارت أيضا عدم الزواج منه صلى الله عليه وسلم بعد إسلامها ، فأي احترام هذا لحقوق الأسرى؟!

في غزوة الخندق ، سقط نوفل بن عبد الله عن فرسه في الخندق،فدقت عنقه ورُمي بالحجارة حتى قُتل ، ،فلما انتهت الحر ب أرسل بنو مخزوم يطلبون جثة نوفل بن عبد الله ، يشترونها بعشرة آلاف درهم ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ الثمن وخلى بينهم وبينه،وقال : «خذوه ، فإنه خبيث الديّة ، خبيث الجُثة»

ثالثاً :يعاملهم بالرحمة

ولما نزل أهل خيبر على شروط رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه أن يعاملهم في الأموال على النصف ، وقالوا: «نحن زُرّاع ، وأعلم بأرضنا منكم ،وأعمر لها» فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف .

ولقد وقعت السيدة صفية بنت حيى بن أخطب زعيم اليهود ، في الأسر بعد فتح خيبر ، وكان أبوها وأخوها وزوجها قد قُتلوا في المعركة وجاءت مع الأسرى، فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع بلال إلى رحله ، فمر بلال بها وبابنة عمها على القتلى ، فصاحت ابنة عمها صياحاً شديداً ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع بلال ،وقال له : «أذَهبَت منك الرحمة ؟ تمر بجارية حديثة السن على القتلى؟» فقال بلال: «يا رسول الله ما ظننتُ أنك تكره ذلك ، وأحببتُ أن ترى مصارع قومها» فخيّرها الرسول صلى الله عليه وسلم -رفقا ورحمة بها- بين إطلاق سراحها وإلحاقها بقومها إن أرادت البقاء على يهوديتها ، وبين الزواج منه إن أسلمت ، فقالت له : ((يا رسول الله ، لقد هويت الإسلام وصدّقت بك قبل أن تدعوني .. و خيرتني بين الكفر والإسلام ، فالله ورسوله أحب إلى من العتق ومن الرجوع إلى قومي .. فتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجعل تحريرها من الأسر هو مهرها . [٢٠٢]

---

٢٠٢ زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، مقال متاح في:_wi&elcitrA=s_wi?/moc.yawmalsi.www//:ptth ٩١٢=di_elcitra&weiv=a

نقلاً عن : طبقات ابن سعد – الجزء الثامن – ص ٨٤١:٨٣١.

ومن الواضح أنه كان من الضروري ألا يتزوج ابنة ملك اليهود سوى من يفوق أباها منزلة ومكانة ، وهو سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم .. وليس معقولا و لا مقبولا أن تترك هذه المسكينة بعد ما كانت فيه من عز ورفاهية ورفعة لمن قد يسئ معاملتها ، أو يضرب وجهها ..

ويؤيد هذه الرؤية رواية دحية الكلبي – رضي الله عنه – فقد قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أعطني جارية من سبى يهود . فقال عليه السلام له : ((اذهب فخذ جارية)) ، فذهب دحية فأخذ صفية .. فرآها الصحابة فقالوا : ((يا رسول الله ، إنها سيدة بنى قريظة وبنى النضير ، ما تصلح إلا لك)) (٠٢).. فتزوجها صلى الله عليه وسلم لذلك السبب [٢٠٣].

ولقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذٍ عن أشياء : عن إتيان الحبالى من السبايا ، وعن أكل الحمار الأهلي ، وعن لحوم البغال وعن أكل كل ذي ناب من السِّباع ، وكل ذي مخلب من الطير ، وعن بيع المغانم حتى تقسّم ،وعن زواج المُتعة ، وعن قتل النساء والأطفال .

وبعد فتح مكة ، لما رجع خالد بن الوليد من هدم العزّى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني جذيمة بن عامر يدعوهم إلى الإسلام ، فخرج في الأول من شوال في ثلاثمائة وخمسين إلى أسفل مكة ،حتى انتهى إليهم فقالوا له : «نحن مسلمون» ووضعوا السلاح ، فأمر بهم خالد فكُتِّفوا ودفع إلى كل رجل من أصحبه رجلاً منهم ، فباتوا في وثاق إلى السحر فنادى خالد : «من كان معه أسير فليُجهز عليه» فقتل منهم نحو ثلاثين رجلاً ، أما المهاجرون والأنصار فأطلقوا أسراهم ،وقالوا لهم «اذهبوا حيث شئتم» فغضب خالد على من أرسل أسيره ، فقال له أبو سعيد الساعدي: «إتق الله يا خالد ، ما لنا نقتل قوماً مسلمين ؟!» فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء ، ثم قال : «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد» ولما قدم خالد عاب عليه عبد الرحمن بن عوف ما صنع ، وقال له : «عملت بأمر الجاهلية في الإسلام» وكاد يقع بينهما الشر

٢٠٣ زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، مقال متاح في:http://www.islamway.com/?iw_s=Article&iw_a=view&article_id=219
نقلاً عن : أسد الغابة – الجزء السابع – ص ٩٦١

فأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خالد ، وقد بلغه ما صنع بعبد الرحمن بن عوف ، وقال له : «مهلاً يا خالد ، دع عنك أصحابي فو الله لو كان لك أُحُد ذهباً ثم أنفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحته» ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً بن أبي طالب ، فقال: «يا علي أخرج إلى هؤلاء القوم ، فانظر في أمرهم ،واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك» فخرج ومعه مال كثير ،حتى جاء بني جذيمة ، فودي لهم الدماء(دفع لهم دية القتلى) وما أصيب لهم من أموال حتى أنه أهدى غليهم ميلغ الكلب ، وبقي مع علي شيء من المال ، فقال لهم: «هذه البقية من هذا المال لكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أصاب خالد مما يعلمه ولا تعلمونه» فأعطاهم ذلك كله وعاد فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما صنع ، فقال له صلى الله عليه وسلم : «أصبتَ ، ما أمرت خالداً بالقتال إنما أمرته بالدعاء» ، ثم أقبل على خالد ،وقال : «لا تسُبوا خالد بن الوليد ، فإنما هو سيف من سيوف الله سلّهُ على المشركين» [٢٠٤]

وبعد أن ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف بغير فتح قفل راجعاً إلى الجعرانة وهي في طريق عودته للمدينة ، فانتهى إليها ليلة الخميس ،لخمس خلون من ذي القعدة، وكان السبي والغنائم التي غنمها من هوازن محبوسة بها ، وقد اتخذ السبي حائر يستظلون بها من الشمس ،وكانوا ستة آلاف ،والإبل أربعة وعشرين ألفاً ، والغنم أربعين ألفاً ، وقيل أكثر، وكان قد أمر ابن سفيان الخزاعي أن يقدم مكة فيشتري للسبي ثياباً يكسوهم، فكساهم كلهم ...ثم قدم وفد هوازن للجعرانة ، وقد أسلموا ، فقالوا: يا رسول الله إننا أصل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما يخفى عليكم ، فامنُن علينا من الله عليكم ،وإما في هذه الحظائر عماتك وخالاتك اللاتي كُن يكفلنك ،حضنك في حجورهن وأرضعنك بأثدائهن ولو أنا أرضعنا للحارث بن شمر ملك الشام أو للنعمان بن المنذر ملك العراق ثم نزل منا أحدهم بمثل الذي نزلت به رجونا عطفه و عائدته علينا ، وأنت خير الكفولين ، وأنشدوا أبياتاً من الشعر مطلعها :

امنن علينا رسول الله في كرم *** فإنك المرء نرجوه وندخر

---

٢٠٤ محمد مهدي عامر . قصة كبيرة في تاريخ السيرة ، ص٤٩٢

، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أحسن الحديث أصدقه وعندي من ترون من المسلمين فأبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟» قالوا يا رسول الله خيرتنا بين أموالنا و أحسابنا وما كنا نعدل بالأحساب شيئاً ، فرد علينا أبناءنا ونساءنا ولا نتكلم في الشاة والبعير ، فقال : «أما ما كان لي ولبني عبد المطلب من السبي ، فهو لكم ، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله في أبناءنا ونسائنا ؛ فسأطلب لكم إلى الناس وأعطيكم عند ذلك.»

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر بالناس قام وفد هوازن ، فتكلموا بما اتفقوا عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم»

فقال المهاجرون : «وما كان لنا فهو لرسول الله ، فقام الأقرع بن حابس وقال: «أما أنا وبنو تميم فلا» وقال عيينة بن حصن : «أما أنا وبنو فزارة فلا» وقال عباس بن مرداس : أما أنا وبنو سليم فلا» فردت عليه بنو سليم وقالت: «بلى ما كان لنا فهو لرسول الله» فقال لهم عباس: «وهنتموني» أي أضعفتم مركزي ...ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً ، فقال : «إن هؤلاء القوم جاءوا مسلمين ، وقد كنت استأنيت بهم فخيرتهم بين النساء والأبناء والأموال ، فلم يعدلوا بالنساء والأبناء ،فمن كانت عنده منهن شيء ،فطابت نفسه أن يرده ، فسبيله إلى ذلك ،وأما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان ست فرائض من أول سبي أصيبه ، فردوا إلى الناس أبناءهم ونسائهم.»

فقالوا : «يا رسول الله ،رضينا وسلمنا» قال : «فمروا عرفاءكم أن يرفعوا ذلك النبأ حتى نعلم» فكان زيد بن ثابت الأنصاري على الأنصار يسألهم ، فخبروه أنهم سلموا ورضوا ، ولم يتخلف منهم رجل واحد

وكان عمر بن الخطاب على المهاجرين ، فلم يتخلف منهم رجل واحد؛وكان أبو ذر الغفاري يطوف على قبائل العرب ، ثم جمعوا العرفاء مع الأمناء الذين أرسلهم رسول الله فاتفقوا على قول واحد : أنهم سلموا ورضوا .

ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك السبي إلى وفد هوازن ،ما عدا أهل مالك بن عوف ، فحبسهم بمكة عند عمتهم بهمة ابنة أبي أمية ،كما أوقف ماله ، فلم تجز فيه السهام،وقال للوفد : «ما فعل مالك بن عوف ؟» قالوا : «هرب فلحق بحصن الطائف مع ثقيف» فقال : إنه إن جاء مسلما رددت إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل ، فلما بلغ ذلك مالكاً خاف من ثقيف أن يحبسوه ، ففر من الطائف ليلاً حتى لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم،فرد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل ، واستعمله على من أسلم من قومه ؛ فكان مالك يقاتل أهل الشرك وانقلب على بني ثقيف التي آوته فشن عليها غارة وغنم كثيراً حتى ضيق عليهم ، فلا يخرج من الطائف سرح إلا باغته ،وكان يبعث إلى رسول الله خمس ما يغنم .

رابعاً :يعاملهم بالعدل

فلا يتحيز لأقاربه من الأسرى ولا يفضِّلهم على غيرهم ، بل كان يحكم بالحق ويستأذن أصحابه بأدبٍ جم في ذلك ،منهم على سبيل المثال :

أبا العاص بن الربيع زوج ابنته زينب قبل دخوله في الإسلام ...فلما بعث أهل مكة في فداء أسراهم يوم بدر ، بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء زوجها أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بمال وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى بها ، فلما رآها صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة ، وقال: «إن رأيتم أن تُطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا ، فقالوا : نعم يا رسول الله فأطلقوه، وردوا عليها الذي لها» عن عائشة، بإسناد حسن

ومنهم أيضاً عمه العباس بن عبد المطلب الذي كان يكتم إيمانه عن قومه من الكفار لأنه يهابهم ويكره خلافهم ، فلما خرجت قريش لقتال المسلمين أكرهه أبو جهل على الخروج معهم في بدر ، فتظاهر بالقتال معهم...فلما أُسر طلب منه الرسول صلى الله عليه وسلم أن يفدي نفسه ، فقال العباس: «من يأخذ مني الفداء وقد أسلمت أنا وأم الفضل وبقية آل بيتي، ولكن القوم أكرهوني على الخروج؟» فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «كان ظاهر حال ك أنك كنت علينا فافد نفسك والله تعالى يجزيك عما أخذ منك» ثم كفله النبي صلى الله عليه وسلم

حتى يفدي نفسه ،وابني أخيه عقيل بن أبي طاب ، ونوفل بن الحارث، ففعل ، فأنزل الله تعالى : «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ» (الأنفال -٧٠) ولقد عوضه الله تعالى بعد فتح مكة حتى رضي وقال : «وعدني الله أن يؤتيني خيراً مما أُخذ مني وقد أنجزني وعده »[٢٠٥]

خامساً :يحرص على سلامتهم النفسية والبدنية

في غزوة الخندق قسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم السبي خمسة أجزاء ،فأخذ خمسها فكان يعتق منه ويهب منه ويخدم منه من أراد ،ونهى صلى الله عليه وسلم عن أن يُفرّق في القسم والبيع بين النساء والذُّرّية ، وقال «لا يفرق بين الأم وولدها حتى يبلغوا» فقيل : يا رسول الله ، وما بلوغهم ؟ قال : «تحيض الجارية ، ويحتلم الغلام» وكان يفرق يومئذٍ بين الأختين إذا بلغتا وبين الأم وابنتها إذا بلغت، وبيعت الأمهات ببناتهن الصغيرات إلى يهود تيماء، وخيبر وإلى المشركين ،وأما الولد الصغير فلم يُبَع لليهود ولا للمشركين وإنما للمسلمين،كما اصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسائهم ريحانه بنت عمرو بن خناقة، وكانت من السبي، فعزلها حتى أسلمت ، ثم بعثها إلى بيت سلمى بنت قيس أم المنذر، فبقيت حتى حاضت، ثم طهرت، فجاءها وخيّرها ،أيعتقها ويتزوجها أو تكون في مُلكه،فاختارت أن تكون في مُلكه عليه الصلاة والسلام [٢٠٦]

وفي غزوة خيبر سُمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذٍ وهو يقول : «مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسقي زرعه ماء غيره –أي لا يجامع جارية وهي حِبلى من غيره- ولا يلبس ثوباً من المغنم حتى إذا أخلقه رده، ولا يأتي امرأة من السبي حتى تستبرأ بحيضة ، وإن كانت حِبلى حتى تضع الحمل» [٢٠٧]

وفي خيبر أيضاً : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعسكر أن يحول عن الرجيع إلى الشق، وبه عدة حصون فنازلها حتى فتحها ، ووجد في الحصن منها

٢٠٥ المصدر السابق، ص١٥١-٤٥١

٢٠٦ محمد مهدي عامر،المصدر السابق، ص٥٢٢-٦٢٢

٢٠٧ المصدر السابق ، ص ٢٦٢-٣٦٢

صفية بنت سيدهم ، حُيي وابنة عمها و ذراري مختبئين فيه ، ثم حاصر حصن الكتيبة أربعة عشر يوماً ، والكتيبة أكثرها عنوة،حتى صالحه كنانة بن أبي الحقيق على أهل الكتيبة ، فأمّن الرجال والذرية ، ودفعوا الأموال من الذهب والفضة والحلقة.

سادساً :يكسو العاري منهم

وإذا كان القانون الدولي واتفاقيات جنيف الثالثة تنص على ضرورة توفير أمتعة مناسبة وملابس للأسرى، فإن الإسلام كان له قصب السبق في ذلك الأمر...إذ أن من الواجبات التي قررها الإسلام كسوة الأسير كسوة لائقة به تقيه حر الصيف وبرد الشتاء، فقد قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «لما كان يوم بدر أُتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب، فطلب النبي صلى الله عليه وسلمله قميصاً فوجدوا قميص عبد الله بن أُبي يقدر عليه فكساه النبي إياه»رواه البخاري[٢٠٨]

«كما ورد أنه عليه السلام كسا بعض الأسارى من ملابسه.»[٢٠٩]

سابعاً :يُكرم الكِرام منهم، ويُنزلهم منازلهم

في غزوة بنى المصطلق ،أكرم النبي صلى الله عليه وسلم جويرية بنت سيد الحي الحارث بن أبي ضرار زعيم بنى المصطلق .. فقد حارب أبوها المسلمين ، ولحقت به هزيمة منكرة كادت تتسبب في فناء قبيلته أو إذلالهم أبد الدهر .. فقد سقط المئات من بنى المصطلق أسرى ، ومنهم السيدة جويرية بنت الحارث؛ ففي الحديث عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : (لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بني المصطلق، وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له ، وكاتبته على نفسها ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه في كتابتها ، فقالت.. وجاءت إليه فقالت : ((يا رسول الله ، أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه ، و قد أصابني من الأمر ما قد علمت [تقصد الأسر والذل

٢٠٨ ممدوح إبراهيم الطنطاوي.أخلاقيات الحرب في الإسلام.- مجلة الجندي المسلم،ع١٠٢١١/٨/٢٠٠٣متاح في: milsumj//:ptth. nasej.com/Detail.asp?InNewsItemID=٦٤٠٤٢١

٢٠٩ صالح بن عبد الله الشثري .متاح في: /ralohcS_ksA-cibarA-enilnOmalsI=emanegap?etilletaS/telvres/ten.enilnomalsi.www//:ptth ٢٧٩٠٢٦٨٢٥٢٢١١=dic&AawtaF/AawtaF

]فوقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبني على تسع أواق ، فأعِنى في فكاكي [تطلب معاونته صلى الله عليه وسلم في دفع المتفق عليه لتحريرها من الأسر]فقال لها صلى الله عليه وسلم : أو خير من ذلك ؟ فسألته: ما هو ؟ فقال صلى الله عليه وسلم أؤدي عنك كتابك وأتزوجك ..فقالت :نعم يا رسول الله، قال صلى الله عليه وسلم:((قد فعلت))

وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج جويرية بنت الحارث، فقال الناس : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسلوا ما بأيديهم- أي أعتقوا-من السبي، فأعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها) رواه الإمام أحمد في مسنده.

وموقفه صلوات ربي وسلامه عليه مع الكريمة بنت الكريم ، (سفانة بنت حاتم الطائي)كان أبوها مضرب الأمثال فى الكرم فى الجاهلية، فلما ظهر الإسلام وانتشرت الفتوح، غزت خيلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيلتها «طَـيِّئ»، وأخذوها بين مَنْ أخذوا من السبايا. وكانت امرأة بليغة عاقلة، مرّ عليها النبي صلى الله عليه وسلم فقالت له: يا رسول الله! امْــنُنْ عَلَي، مَنّ الله عليك، فقد هلك الوالد، وغاب الوافد (تَنَصّرَ أخوها وفرّ حتى كان قريبًا من أرض الروم، وكان ذلك قبل أن يُسلم ويَحْسُنَ إسلامه) ولاتُشَمّتْ بى أحياء العرب، فإنى بنتُ سيد قومي، كان أبى يفك الأسير ويحمى الضعيف، ويَقْرِى (يكرم) الضيف، ويشبع الجائع، ويفرّج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشى السلام، ولم يرد طالب حاجة قط، أنا بنت حاتم الطائي.

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا جارية، هذه صفة المؤمن، لو كان أبوك مسلمًا لترحمنا عليه». ثم قال لأصحابه: «خلوا عنها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق». ثم قال لها: «فلا تعجلى حتى تجدى ثقة يبلغك بلادك، ثم آذنيني» [ابن هشام].

فلما قدم ركب من أهلها، أرادت الخروج معهم، وذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذنه، فأذن لها وكساها من أحسن ما عنده من الثياب، وجعل لها ما تركبه،

وأعطاها نفقة تكفيها مؤنة السفر وزيادة.
ثم قدمت على أخيها -عدى بن حاتم- وكان أكبر منها سنّا، وأرادت أن تدعوه إلى الإسلام، وتدله على الخير، بعدما رأت من النبي صلى الله عليه وسلموأصحابه مارأت، وعلمت عن الإسلام وفضائله ما علمت، فسألها أخوها: ما ترين فى هذا الرجل؟ فانتهزتها فرصة، وهى الفصيحة العاقلة، تقدم الدين الجديد لأخيها وتدعوه، وتعرّفه برسول اللّه صلى الله عليه وسلم فى أسلوب حكيم، وعرض مؤثّر، وسبيل مقنع، قالت: أرى أن تلحق به، فإن يكن الرجل نبيّا فاتبعْه ؛ فللسابق إليه فضله، وإن يكن غير ذلك لم يُخَفْ عليك، وأنت من أنت عقلا وبصيرة، وإنى قد أسلمتُ. فقال عدي: والله إن هذا هو الرأى السليم. وخرج حتى قدم على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فدخل عليه وهو فى مسجده، فأسلم وحمد اللّه. ونالت أخته بذلك ثواب هدايته إلى دين الحق.

ثامناً : يعفو عنهم

لما هرب من أسرى بدر سهيل بن عمرو وهم في الروحاء، فقال صلى الله عليه وسلم: «من وجده فليقتله» فوجده النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه، إلا أنه لم يقتله ، وإنما أمر بربط يديه إلى عنقه ثم قرنه إلى راحلته ، فلم يركب خطوة حتى قدم المدينة .[٢١٠]

وقدم شقران بالأسرى بعد يوم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه واستشارهم في الأسرى وخيرهم بين أن تُضرب أعناقهم أو يؤخذ منهم الفداء ،فاختلف الصحابة فيما يفعل ،وأخذ أبو بكر يكلم النبي فيهم ، ويطلب منه أن يمن عليهم، أو يفاديهم، بينما رأى عمر بن الخطاب قتلهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : «إن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم ، قال «فمن تَبِعني فإنه مني ، ومَن عصاني فإنّكَ غفورٌ رحيم» إبراهيم ٣٦وإن مثلك يا عمر مثل نوح ، قال «ربِّ لا تذَر على الأرض من الكافرين ديّاراً» نوح ٢٦ وأخذ عليه الصلاة والسلام برأي أبي بكر ، فقبل منهم الفداء!!!

٢١٠ محمد مهدي عامر. مصدر سابق،ص ٩٤١

فجعل فداء الرجل أربعة آلاف، أو ثلاثة آلاف ، أو ألفين أو ألفاً بحسب ثراءه ،ومنهم مَن منّ عليه بغير فداء، لأنه لا مال له ، ومنهم من قبل منه أن يعلم عشرة من أولاد الأنصار الكتابة ويخلي سبيله ،ولم يخشَ النبي صلى الله عليه وسلم على أبناء المسلمين من تأثير هؤلاء المشركين على عقول هؤلاء الصغار من ذراري المسلمين؛ فإن محو الأمية لا يمحو فكراً ولا اعتقاداً ، كما أن هؤلاء الأسرى في قلب مجتمع المسلمين ، وتحت إشرافه ورقابته ورعايته... بدليل أن زيد بن ثابت- كاتب الوحي، وأحد كتبة المصحف- قد تعلم الكتابة يومئذٍ مع جماعة من الأنصار.

وبهذا كان النبي الأُمّي أول من حارب الأُمِّية بطريقة عملية ،تعتبر خطوة سباقة ، [٢١١].وهي خطوة سبّاقة في ذلك الزمن السحيق[٢١٢]

وفي غزوة حنين ، بعدما فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصر حصن الطائف، و نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أيُّما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر» ، فخرج بضعة عشر رجلاً ،فأعتقهم ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين ،وأمرهم أن يُقرئوهم القرآن ويعلموهم السّنن.[٢١٣]

إلا أن عفوه صلى الله عليه وسلم كان بحكمة ، ومع من يستحق:

في بدر عُرض الأسرى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقرع فيهم بين المسلمين ، وأمر بقتل النصر بن الحارث ، ثم خرج صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بعرق الظبية أمر بقتل عقبة بن أبي معيط وكان من بين الأسرى ، فقال عقبة <فمن للصبية يا محمد؟ قال: النار > فقتله عاصم بن ثابت الأنصاري.[٢١٤]

وكذلك حدث مع «عمرو بن عثمان الشاعر القرشي الذي اشتهر بلقبه (أبي عزة) نسبة إلى إحدى بناته ، حيث لم يكن له من العقب سوى البنات ، هذا الشاعر كان رقيق الحال ، قليل ذات اليد ، يتكسب من شعره ،وكان يلقي في أندية قريش ومجالسها قصائد يمدح فيها زعماءها ويذكر أمجادهم ويعدد مآثرهم ، ثم إذا عرج

٢١١ يوسف عبد الله القرضاوي. هل يجوز قتل أسرى الكفار في الحروب؟ أم يجب تبديلهم بالأسرى المسلمين؟، متاح في: ٧٤٠٢٤٢=t?php.daerhtwohs/bv/ten.mlsum.www//:ptth

٢١٢ محمد مهدي عامر.مصدر سابق ، ص٠٥١-١٥١

٢١٣ المصدر السابق ، ص٣٠٢

٢١٤ المصدر السابق، ص ٨٤١-٩٤١

على شيء من حياتهم لم يجد أفضل من الوقيعة في رسول الله (الصابئ) ودينه (الغريب) ،وأصحابه (الأشتات) ولا يزال كذلك حتى يحوز إعجاب قريش ورضاها ؛ وكان يقبض ثمن ذلك سريعا وربما قبل أن يقوم من مقامه .

وفي معركة بدر استصحبت جحافل المشركين أبا عزة دون أن تدري تلك الجموع أو يعلم الشاعر بما أعده الله سبحانه لهم من هزيمة نكراء، سرعان ما فرقت جمعهم وشتت شملهم وأطاحت برؤوس صناديدهم ، وجمع الأسرى في مكان واحد بعد نهاية المعركة ، يدفعهم المسلمون بغيظ وحنق ، ويسوقونهم أمامهم في مشهد مروع من الذل لم تعرفه قريش من قبل ، فيمضون إلى المدينة مطأطئي الرؤوس ، يلجمهم الخوف فلا يجرؤون على التناجي فيما بينهم ، إلا بنظرات كسيرة وتأوهات مكتومة ، حتى إذا بلغوها وقد هدأت ثورة المسلمين أخذت النبي صلى الله عليه وسلم شفقة عليهم فأعرض عن قتلهم وقال كلمة الفصل فيهم : لا يفلتن أحد إلا بفداء أو ضربة عنق ...وكان من بين الأسرى السبعين شاعر قريش أبو عزة ،وقد امتقع لونه وجف ريقه واضطرب فؤاده خشية أن يذكِّر أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم -وما كان ناسياً- ببعض سيئاته و خزاياه .

وسارعت قريش في افتداء أسراها وكان أسبق الناس إلى ذلك و أعجلهم الأغنياء من أصحاب الأموال ، والزعماء من أهل الشرف ،حتى تم إطلاق سراح معظم الأسرى ،وعادوا إلى مكة سالمة رقابهم وأرواحهم وبقيت في الأسرى بقية عجزت عن الفداء ، ولم تجد ما تدفعه ثمناً للحرية ، فتوجست شراً وأيقنت بالهلاك والموت المحقق .

إلا أن رحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكمته جعلته يعيد النظر في أمر هؤلاء فيقبل من بعضهم أن يعلِّم أولاد المسلمين الكتابة والقراءة ، إن كان يُحسنها ، فقام نفر منهم بذلك أياماً عديدة ، حتى استحقوا حياتهم وحريتهم فعادوا إلى أهلهم فرحين ...أما أبو عزة –كما سلف الذكر- فلم يكن غنياً تفديه أمواله ، ولا ممن يصلح لتعليم شيء ...إلا أنه أبصر ما في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعة وحلم ورأفة ولين ، فعادت خيوط الأمل في ذهن أبي عزة تنسج بيوتها ، حتى استجمع شجاعته وتمالك نفسه وتعرض للنبي صلى الله عليه وسلم ذات مرة وهو في طريقه ، فصاح مستجيراً مسترحماً: يا محمد ...لقد عرفت مالي من مال

وإني لذو حاجة وذو عيال ، فامنُن عليّ وتوقف النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ذلك الرجاء الصادق ثم تذكر بنات أبي عزة،وكان يعلم فقره وفاقته فغلبت عليه الرحمة ، ونسي ما كان من أبي عزة من إساءة ، فأمر بإطلاق سراحه ومنّ عليه بلا مقابل من مال أو سواه ...إلا أنه قبل أن يعجل بالخروج إلى مكة واللحاق ببناته وأهله أخذ عليه النبي صلى الله عليه وسلم : أن لا يظاهر عليه أحداً ما عاش أبداً ، وأن لا يجلس في مجلس فيؤلب عليه عدواً ، وأن لا يعود إلى استخدام شعره ولسانه في تهيج الناس على الإسلام .فقبل أبو عزة بالشرط ، و لم يكن ليبخل عن نفسه بمثل هذا القبول ، بل زاد من شدة فرحه وعظيم تأثره برحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم له ولبناته ، أن وقف على باب المسجد أمام الملأ ينشد مادحاً:

مَن مُبلغ عني الرسول محمداً*** بأنك حق والمليك حمد

وأنت امرؤ تدعو إلى الحق والهدى*** عليك من الله العظيم شهيد

وأنت امرؤ بُئت فينا مباءة *** لها درجات سهلة وصعود

فإنك من حاربته لمحارَب *** شقي ومن سالمته لسعيد

ولكن إذا ذُكرتَ بدراً وأهله ***تأوب ما بي حسرة وقعود

ثم انطلق صوب مكة مسرعاً ...ولكن هناك في مكة البلد الذي يمور بالأحزان وصيحات الثأر لم يترك له الناس مجالاً للوفاء والثبات على عهده لرسول الله صلى الله عليه وسلم بل تكاثر أهل مكة عليه وألحوا عليه،تدفعهم إلى ذلك جراحات بدر وحقد دفين في الصدر، فمازالوا به حتى نقض عهده وعاد سيرته الأولى الخبيثة يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم...ومما لا شك فيه أن أمره قد بلغ رسول الله ، كما بلغه أنه كان يتندر في مجالس قريش مزهواً بقوله : خدعتُ محمداً!!!!

ثم يمر بكفه على عوارض وجهه زيادة في الخُبث والاستهزاء .

وأغلب الظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن نادماً على عفوه عنه ، فهو لم يفعل إلا خيراً وحكمة ، ولكن من المؤكد أنه قد غير وجهة نظره فيه ، وقرر

بحقه أمراُ لا بد منه إذا أمسك به ثانية .

وهكذا قضي الأمر بالنسبة لأبي عزة ، فلم تمر سنة أو زهاؤها إلا ومعركة أحد تضطرم نارها وتتأجج لافحة حارقة ،اكتوى المسلمون هذه المرة بنيرانها بسبب مخالفتهم لأمر النبي صلى الله عليه وسلم «[٢١٥]

«وعندما رجع المشركون من الغزوة تركوا أبا عزة عمرو بن عبد الله نائماً مكانه حتى ارتفع النهار عليه ، فأسره عاصم بن ثابت ،وأخذه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو عزة < يا محمد مُن عليّ > فقال صلى الله عليه وسلم:«إن المؤمن لا يُلدغ من جُحرٍ مرتين» ، لا ترجع إلى مكة تمسح عارضيك تقول: < خدعتُ محمداً مرتين> ويتعجل الأسير قبل أن يصل إلى نهايته يسترحم : < مَن للبنات يا محمد ؟ >فيجيبه النبي صلى الله عليه وسلم بشدة :< لهن النار...لهن النار > ثم أمر به فضرب عنقه!!

وهكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الحزم وعدم اللين مع من لا يستحق...فقد كان قلبه صلوات الله عليه وسلامه واسعاً لكل تائب ، وكانت شدته بالمرصاد لكل غادر «[٢١٦] ، [٢١٧]

و بهذا تتضح أخلاق الإسلام الذي سبق جميع الحضارات في التأكيد على حقوقالأسرىالذين كان من المعتاد لهم أن يعملوا مقابل الطعام أو أن يحصلوا عليه بوسائلهم الخاصة؛ أما الإسلام، فقد أكرمهم وجعل المسلمين يؤثرونهم على أنفسهم في الطعام ، ويكسونهم ويحمونهم من حر الشمس ، بل وجعل إطعام هؤلاء الأسرى صدقة تحسب في موازين حسناتهم، لقوله تعالى:

«وَيُطْعِمُونَ الطّعَامَ عَلَى حُبّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا*إِنّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا»(الإنسان ٨ ـ ٢١)!!![٩]

٢١٥ عبد الله نجيب سالم.مواقف إنسانية في السيرة النبوية، ص٩٨- ٣٩

٢١٦ محمد مهدي عامر. قصة كبيرة في تاريخ السيرة ، ص٩٨١-٠٩١

٢١٧ عبد الله نجيبسالم . مواقف إنسانية في السيرة النبوية ، ص٨٨-٥٩

«فالإسلام لم يحارب الأمم،وإنما حارب المتسلطين فقط، كما كان هدفه من الحرب هو التحرير وليس الإكراه على الدين ، بدليل أنه أعطى الحق لغير المسلمين في الاحتفاظ بأديانهم مقابل دفع الجزية لكي يحميهم الجيش المسلم وقت الضرورة «[٢١٨]...لأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي حارب من أجل إقرار السلام ، فهو يرى أن كل البشر إخوة لأنهم خلقوا من ضلع آدم ، لقوله تعالى : «يَا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ إِنّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»لحجرات - ٣١،فالخلق إذن كلهم إخوة، سواسية عند الله ،لا يتفاضلون إلا بالتقوى [٢١٩]

ولعل أحد الأدلة على ذلك أن كلمة «حرب» وردت في القرآن الكريم ست مرات فقط، بينما تكرر لفظ «السلم» ومشتقاته في ما يربو على مائة وثلاثين مرة؛ لأن السلام هو القاعدة الرئيسة التي تنطلق منها العلاقات الدولية في الإسلام، ولكنه السلام الذي ينطلق من مقام القوة ويحمي الحقوق... وأما الحرب فهي الاستثناء عن تلك القاعدة، ويعدها الإسلام جريمة إن لم تكن عادلة، ولغرض مشروع كالدفاع عن الدين ونشره، وإخضاع الناس لسلطان الإسلام لأنه الحق، والعدل، ونصرة المستضعفين من المسلمين، وكذلك لتأديب الناكثين الذين ينقضون الهدنة أو المعاهدة مع المسلمين والله عز وجل يقول: «وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ الّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنّ اللّهَ لَا يُحِبّ الْمُعْتَدِينَ» {البقرة: ٠٩١}، وقال الله تعالى: «وَقَاتِلُوهُمْ حَتّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدّينُ لِلّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلّا عَلَى الظّالِمِينَ»{البقرة ٣٩١}، وقال تبارك وتعالى: «وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمّةَ الْكُفْرِ إِنّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلّهُمْ يَنْتَهُونَ» {التوبة: ٢١} فإذا اضطر المسلمون إلى خوض الحرب ضد أعدائهم فإنه يجب على المقاتل المسلم التوكل على الله والثبات والتضحية في سبيل الله تعالى، وأن يكون الهدف الأسمى نصب عينيه إما النصر أو الشهادة..يقول رسول الله {: «من قُتِلَ دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد»(٤١).

٢١٨ War Ethics in Islam,available at: http://www.iviews.com/articles/Articles.asp?ref=WD٠٤٠٨-٢٤٢٨

٢١٩ The Ethics Of War In Islam,op.cit

وإذا دارت رحى الحرب وطلب العدو أو مال إلى السلم فإن الإسلام الحنيف يدعو ذويه إلى قبوله والترحيب به؛ ولكن مع أخذ الحذر والحيطة؛ وذلك حقناً للدماء.. يقول الله عز وجل في كتابه العزيز: <وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ> {الأنفال: ٦١}.[٢٢٠]

شُبهة قتل بعض الأسرى والرد عليها

«لقد أخذ بعض المستشرقين على النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمر بقتل بعض الأسرى بعد غزوة بدر، كما أنه خرج إلى ساحة الحرب لرؤية صرعى المعركة وغنائمها بعد انتهائها .. فهو أمر لا يصلح الحكم فيه إلا بالنظر إلى موضعه وموقعه وأشخاصه ، لأنه ليس بالحكم العام الذي اتبعه الإسلام في جميع الأسرى وجميع الحروب ،وإنما هي حالة أفراد كانوا معروفين بتعذيب المسلمين والتنكيل بهم في غير مبالاة ولا نخوة . وليست هي كحالة الأسرى الذين يقعون في أيدي أعدائهم ،غير معروفين بماض ولا بحاضر سوى أنهم جند كسائر الجند الذين يحشدهم الأعداء ؛

فقتل الأسرى بعد بدر إنْ هو إلا قِصاص كقصاص المتَّهَمين بالتعذيب , وقد وقعوا في أيدي من يتولى عقابهم من الغالبين ؛ ولقد جاز هذا في كل قانون , وجاز أن يحاسب المغلوب على جرائمه التي ليست هي من فروض القتال أو من مباحاته في شيء .

وهناك فرق بين معاملة هؤلاء ومعاملة أسير كل ما تعلمه في شأنه أنه جندي لا بغضاء بينك وبينه قبل حمل السلاح ولا بعد وضع السلاح , وليس في عمله محل للثأر والمحاسبة بعد انقضاء واجبه وهو القتال الشريف.

أما رؤية القتلى في ساحة الحرب , فقد نسى فيها أولئك الناقدون أن اغتباط المنتصر بفوزه طبيعة إنسانية لا غضاضة فيها .. ما لم تجاوز حدها إلى الفرج

٢٢٠ ممدوح إبراهيم الطنطاوي.أخلاقيات الحرب في الإسلام.- مجلة الجندي المسلم، ع١١١،٢/٨/٢٠٠٣م متاح في: milsumj//:ptth. naseej.com/Detail.aspx?InNewsItemID=١٢٤٠٤٦

برؤية الدماء لمحض الفرح برؤية الدماء. وهذا ما لم يزعمه أحد من شاهدي المعركة عن النبي صلى الله عليه وسلم , ولا نمّ عليه كلام أحد من المشركين أو المسلمين .

ونسى أولئك الناقدون كذلك أن الرجل الذي يرى الدم في المدينة العصرية ، غير الرجل الذي يرى الدم في حروب البادية , وفى حياة البادية على الإجمال .. ونعني بها حياة الرعاة التي تتكرر فيها إراقة الدم كل يوم , وحياة القبائل التي كانت تغزو وتُغزى في كثير من الأيام !

فإنك لا ترمى بالقسوة طبيباً قد ألف النظر إلى الجثث وأشلائها والأجسام الحية وجراحها .. لأن الطب لن يكون في الدنيا رحمة من الرحمات إن لم يألف الأطباء هذه المناظر ويملكوا جأشهم وهم يفتحون أعينهم عليها . ولكنك قد ترمى بالقسوة إنسانا لم تقع عينه على منظر مثلها ثم هي تفاجئه فلا ينفر منها . وما من رجل عاش في البادية وشهد غزوة من غزواتها يمكن أن يُقال فيه إن ساحة الحرب تفاجئه بما لم يكن يراه . أو بما يستلزم النظر إليه قسوة في الطباع واستراحة إلى رؤية الدماء. كان على أولئك الناقدين أن يشهدوا بدراً , لينظروا بعين النبي صلى الله عليه وسلم إلى عواقب هذه الوقعة التي أوشكت أن تصبح الوقعة الحاسمة في تاريخ الإسلام .

كان عليهم أن ينظروا هنالك بعين النبي صلى الله عليه وسلم إلى جيشين .. أحدهما فيه السلاح والخيل والعدد, والآخر في ثلث من يقاتلونه عدداً , ويكاد أن يتجرد من كل سلاح غير السيف ومن كل مطية غير الأقدام .. وكان عليهم أن يلمسوا إشفاق النبي صلى الله عليه وسلم من عاقبة هذه الوقعة , ويستمعوا إليه وهو يناشد ربه : «اللهم هذه قريش قد أتت بخيلها وخيلائها تكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تُعبد ..»

وكان عليهم أن ينظروا إليه, وقد مد يديه وشخص ببصره وجمع نفسه في صلاته .. حتى جعل رداؤه يسقط عن منكبيه وأبو بكر يرده ويناديه :» يا نبي الله ، كفاك بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك .. وهو لا يلتفت إلى سقوط ردائه ولا إلى مناداة صفيِّه لاستغراقه في الدعاء.. «.

وكان عليهم أن يعلموا حرص قريش أن يستبقوا رجالاً منهم يرجعون إلى مكة قبل المعركة أو بعدها ليثابروا على مناوأة النبي صلى الله عليه وسلم ، وإعادة الكرة عليه حتى لا يهدأ له بال بعد الصبر على هذا الجهد ، وليس الصبر عليه بيسير .

كان على الناقدين أن يعلموا هذا كله ليعلموا أن الشعور بالفرح في مثل هذا الموقف العصيب أمر لا غرابة فيه، وأنه شعور مطبوع فى نفس حية تجاوب كل ما يحيط بها من بواعث الحياة في مواقف السلم أو مواقف القتال ، فأول ما يبادر النفس الحية من شعور مطبوع صادق في ذلك الموقف أن تغتبط بالنصر ، وتخرج من الضيق إلى الفرج ، وتنظر في ساحة الحرب إلى من قضى فيها من قريش ومن عاد منها إلى وكره ليعيد الكرة ويستأنف الإيذاء والمكيدة , وأن ترى ما هي تلك الأسلاب والغنائم التي أوشكت أن تفتن بعض المقاتلين ، لأنها أول شيء شهدوه من نوعه ، ولما يتنزل حكم الدين في سلب أو غنيمة .

إن محمداً صلى الله عليه وسلم رجل حي جياش النفس بدوافع الحياة ، وليس بناسك مهزول من نساك الصوامع الذين يكبون في جوانحهم كل دافعة وكل إحساس.. فامتناعه أن يشهد نتيجة المعركة التي سبقتها كل تلك المخاوف، وستلحق بها كل تلك العواقب ، أمر لم يكن بالمنتظر من قائد في مثل موقفه ، ولم تكن توجبه الفطرة الإنسانية على المقاتل .. وهو في اللحظة الأولى بعد الظفر خليق أن يعلم مدى انتصاره ، ومدى ما يتوقعه بعده ، ومدى ما فعلته الفئة القليلة بالفئة الكثيرة ، ليقيس عليه ما تفعله مثلها فيما يليها من وقعات ، وهؤلاء مراسلو الصحف الحربيون الذين يدرسون اليوم أشباه هذه المواقف ، يجدون من واجبهم ألا يتخلفوا عن ساحات القتال بعد انجلاء الفريقين ، ليشرحوا دروس النصر والهزيمة بينهما ، ويسجلوا ما لا غنى عن تسجيله في جميع الحروب ، فانصراف النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن ساحة بدر على أثر النصر عمل غريب يخل بمكانة القائد ، وبواجب التحقيق , والاستفادة من كل ما يفيد .

بعد معركة الخندق(أو الأحزاب):

ونحن في صدد الحديث عن الرحمة والقسوة يحسن بنا أن نستقصى ما ذكره المؤرخين الأوربيون من مآخذ في هذا الباب , وأهمه عدا ما قدمناه قتل المقاتلين من بني قريظة بعد معركة الأحزاب .. فإن أولئك المؤرخين يستعظمون قتلهم ويحسبونه مخالفاً للعرف المتبع في الحروب, وينسون أموراً لا يصدق الحكم في هذه المسألة ما لم يذكروها ويستحضروها أتم استحضار , وهى أن بني قريظة حنثوا في أيمانهم مرات فلا يُجدي معهم أخذ المواثيق من جديد , وأنهم قبلوا حكم سعد بن معاذ وهم الذين اختاروه , وأن سعداً إنما دانهم بنص التوراة الذي يؤمنون به كما جاء فى التثنية : < حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح , فإن إجابتك إلى الصلح , وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستبعد لك , وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها , وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف , وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمة فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك > (إصحاح ٠١ إلى ٥١ تثنية).

و ينبغى أن يسأل الناقدون أنفسهم بعد هذا : ماذا كان مصير المسلمين لو ظفرت بهم الأحزاب؟

فالقضاء الذي قضاه النبي صلى الله عليه وسلم فى بنى قريظة عدل وحكمة وصواب , وما من أحد يقضى غير ذلك القضاء, وهو مؤتمن على مصير أمة يرحمها من غدر أعدائها , ومن شِدّتهم في خصومتها , ومن استباحتهم كل منكر في التربص والوثبة بعد الوثبة عليها.

وإن حملة تأديبية واحدة من حملات العصور الحديثة يحملها قوم مسلحون على قوم عزل يذودون عن أوطانهم وحقوقهم , لفيها من البطش والتعذيب ما لم يحدث قط نظير له فى عقاب بني قريظة , ولا في جميع الحروب التي نشبت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أعداء له ولدينه , هم المتفوقون عليه في العدد والثروة والسلاح .

إن عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم في قيادته لعبقرية ترضاها فنون الحرب , وترضاها المروءة , وترضاها شريعة الله والناس , وترضاها في أحدث عصورها , كما يرضاها المنصفون من الأصدقاء والأعداء «[٢٢١]

٢٢١ عباس محمود العقاد .عبقرية محمد ، ص٥٥- ٩٥، بتصرف يسير



تصميم واخراج موقع نصره رسول الله

نسخة مجانية تهدى ولا تباع

www.rasoulallah.net